مفاتيح السعادة الزوجية

تأليف
الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت
لبنان

مفاتيح السعادة الزوجية

تأليف

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت
لبنان

الكتاب: مفاتيح السعادة الزوجية
MAFĀTĪḤ AS-SA'ĀDA AZ-ZAWJIYAH
المؤلف: الشيخ علي عبد العال الطهطاوي
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 320
سنة الطباعة: 2005 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4805-2
9 782745 148056 90000

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فالزواج مودة ورحمة، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، سبق لي عزيزي القارئ أن قدمت لك في مصر كتابنا «مفاتيح السعادة الزوجية» في حجم وسط.

وقمت بعرضه على الصديق الحميم الحاج محمد على بيضون واتفقنا أن نجعله في ثوب جديد واليوم نقدم لك كتابنا «مفاتيح السعادة الزوجية» بعد الزيادة والتنقيح وجعلته في أربعة فصول:

الفصل الأول: ويشمل الخطبة والزواج والجهاز والمهر والحقوق المتبادلة.

الفصل الثاني: ويشمل بدع الأفراح وحكم الغناء والمعازف.

الفصل الثالث: ويشمل أصل الكتاب.

الفصل الرابع: ويشمل نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة.

لذلك أرجوك عزيزي القارئ أن تقرأ بتدبر وعلى مهل، ثم قدمه هدية لأهلك وأولادك وجيرانك لكي تعم الفائدة.

وكم أتمنى من الله تعالى أن يوفقك في أن ندعو الله تعالى لي ولكم بالتوفيق والسداد وأن يجعله في ميزان حسناتنا ولله الحمد والمنة.

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل القرآن والسنة



الفصل الأول

الخطبة والزواج والمهر والحقوق المتبادلة

تمهيد
ذكر الزواج والأزواج في القرآن الكريم

١- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٢- وقال تعالى: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٥٠].

٣- وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٢٢].

٤- وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٢٠].

٥- وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٧].

٦- وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠].

٧- وقال تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

٨- وقال تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٥].

٩- وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

١٠- وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾ [المجادلة: ١].

١١- وقال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

١٢- وقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧].

١٣- وقال تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

١٤- وقال تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

١٥- وقال تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ [الزمر: ٦].

١٦- وقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ [ص: ٥٨].

١٧- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

١٨- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

١٩- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ٣٨].

٢٠- وقال تعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨].

٢١- وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ [طه: ٥٣].

٢٢- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [طه: ١٣١].

٢٣- وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

٢٤- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [فاطر: ١١].

٢٥- وقال تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ﴾ [الشورى: ١١].

٢٦- وقال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ [الواقعة: ٧].

٢٧- وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النبأ: ٨].

٢٨- وقال تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: ٥].

٢٩- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ [التحريم: ١].

٣٠- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

٣١- وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤].

٣٢- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم

مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النحل: ٧٢].

٣٣- وقال تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

٣٤- وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢].

٣٥- وقال تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة: ١١].

٣٦- وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

٣٧- وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩].

٣٨- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

٣٩- وقال تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦، والمعارج: ٣٠].

٤٠- وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ [النور: ٦].

٤١- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

٤٢- وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن

تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٤٣- وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ [التحريم: ٣].

بحث في لفظ الزواج[1]

زوج: الزوج: خلاف الفرد، يقال: زوج أو فرد، كما يقال: خسًا أو زكًا. أو شفع أو وتر، قال أبو وجزة السعدي:

ما زلن ينسبن وهناً كل صادقة باتت تباشر عرمًا غير أزواج

لأن بيض القطا لا يكون إلا وترًا، وقال تعالى: ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [ق: ٧]، وكل واحد منهما أيضًا يسمى زوجًا، ويقال: هما زوجان للاثنين وهما زوج، كما يقال: هما سيان وهما سواء؛ ابن سيده: الزوج الفرد الذي له قرين، والزوج الاثنان، وعنده زوجًا نعال زوجًا حمام؛ يعني ذكرين أو أنثيين، وقيل: يعني ذكرًا وأنثى، ولا يقال: زوج حمام لأن الزوج هنا هو الفرد، وقد أولعت به العامة، قال أبو بكر: العامة تخطئ فتظن أن الزوج اثنان، وليس ذلك من مذاهب العرب، إذا كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدًا في مثل قولهم زوج حمام، ولكنهم يثنونه فيقولون: عندي زوجان من الحمام، يعنون ذكرًا وأنثى، وعندي زوجان من الخفاف يعنون اليمين والشمال، ويوقعون الزوجين على الجنسين المختلفين نحو الأسود والأبيض والحلو والحامض، قال ابن سيده: ويدل على أن الزوجين في كلام العرب اثنان قول الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥].

فكل واحد منهما كما ترى زوج، ذكرًا كان أم أنثى، وقال تعالى: ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

---

(١) لسان العرب (مادة زوج).

وكان الحسن يقول في قوله عز وجل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، قال: السماء زوج، والأرض زوج، والشتاء زوج، والصيف زوج، والليل زوج، والنهار زوج، ويجمع الزوج أزواجًا وأزاويج؛ وقد ازدوجت الطير افتعال منه؛ وقوله تعالى: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣]؛ أراد ثمانية أفراد، دل على ذلك؛ قال: ولا تقول للواحد من الطير زوج، كما تقول للاثنين زوجان، بل يقولون للذكر فرد وللأنثى فردة؛ قال الطرماح:

خـرجن اثنـتين واثنـتين وفردة ينـادون تغليسًـا سمال المداهن

وتسمي العرب، في غير هذا، الاثنين زكا، والواحد خسا؛ والافتعال من هذا الباب: ازدوج الطير ازدواجًا، فهي مزدوجة، وفي حديث أبي ذر: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة**»؛ قلت: وما زوجان من ماله؟ قال: «**عبدان أو فرسان أو بعيران من إبله**»، وكان الحسن يقول: دينارين ودرهمين وعبدين واثنين من كل شيء، وقال ابن شميل: الزوج اثنان، كل اثنين زوج، قال: واشتريت زوجين من خفاف أي أربعة؛ قال الأزهري: وأنكر النحويون ما قال، والزوج الفرد عندهم. ويقال للرجل والمرأة: الزوجان، قال الله تعالى: ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ يريد ثمانية أفراد؛ وقال: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ قال: وهذا هو الصواب يقال للمرأة: إنها لكثيرة الأزواج والزوجة؛ والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيئين مقترنين، شكلين كانا أو نقيضين، فهما زوجان؛ وكل واحد منهما زوج، يريد في الحديث من أنفق صنفين من ماله في سبيل الله، وجعله الزمخشري من حديث أبي ذر قال: وهو من كلام النبي ﷺ، وروى مثله أبو هريرة عنه.

وزوج المرأة: بعلها، وزوج الرجل: امرأته؛ ابن سيده: والرجل زوج المرأة، وهي زوجه وزوجته، وأباها الأصمعي بالهاء، وزعم الكسائي عن القاسم بن معن أنه سمع من أزد شنوءة بغير هاء، والكلام بالهاء، ألا ترى أن

القرآن جاء بالتذكير ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] ؟ هذا كله قول اللحياني. قال بعض النحويين: أما الزوج فأهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤنث وضعًا واحدًا، تقول المرأة: هذا زوجي ويقول الرجل: هذه زوجي قال الله عز وجل: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾؛ وقال: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ أي امرأة مكان امرأة، ويقال أيضًا: هي زوجته؛ قال الشاعر:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب

وبنو تميم يقولون: هي زوجته، وأبى الأصمعي فقال: زوج لا غير، واحتج بقول الله عز وجل: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ فقيل له: نعم كذلك قال الله تعالى، فهل قال عز وجل: لا يقال زوجة؟ وكانت من الأصمعي في هذا شدة وعسر، وزعم بعضهم أنه إنما ترك تفسير القرآن لأن أبا عبيدة سبقه بالمجاز إليه، وتظاهر أيضًا بترك تفسير الحديث وذكر الأنواء؛ وقال الفرزدق:

إن الـــذي يســـعى يحرش زوجتي كســـاع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقال الجوهري أيضًا: هي زوجته، واحتج ببيت الفرزدق، وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الجمل من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾؛ فقال: هو زوج الناقة؛ وجمع الزوج أزواج وزوجة، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ وقد تزوج امرأة وزوجه إياها وبها، وأبى بعضهم تعديتها بالباء. وفي التهذيب وتقول العرب: زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة، ولا زوجت منه امرأة، قال: وقال الله تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي قرناهم بهن من قوله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أي وقرناءهم وقال الفراء: تزوجت بامرأة، لغة في أزد شنوءة، وتزوج في بني فلان: نكح فيهم.

وتزاوج القوم وازدوجوا تزوج بعضهم بعضًا؛ صحت في ازدوجوا لكونها في معنى تزاوجوا.

وامرأة مزواج كثيرة التزوج والتزاوج؛ قال والمزاوجة والازدواج بمعنى. وازدوج الكلام وتزاوج أشبه بعضه بعضًا في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى، وزوج الشيء بالشيء، وزوجه إليه قرنه، وفي التنزيل: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي قرناهم؛ وأنشد ثعلب:

ولا يلبث الفتيان أن يتفرقوا إذا لم يزوج روح شكل إلى شكل

وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ معناه: نظراءهم وضرباءهم، تقول: عندي من هذا أزواج أي أمثال؛ وكذلك زوجان من الخفاف أي كل واحد نظير صاحبه؛ وكذلك الزوج المرأة، والزوج المرء، قد تناسبا بعقد النكاح، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ أي يقرنهم. وكل شيئين اقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان. قال الفراء: يجعل بعضهم بنين وبعضهم بنات، فذلك التزويج. قال أبو منصور: أراد بالتزويج التصنيف؛ والزوج الصنف، والذكر صنف، والأنثى صنف، وكان الأصمعي لا يجيز أن يقال لفرخين من الحمام وغيره: زوج، ولا للنعلين زوج، ويقال في ذلك كله: زوجان لكل اثنين. التهذيب وقول الشاعر:

عجبت من امرأة حصان رأيتها لها ولد من زوجها وهي عاقر

فقلت لها: بجراً فقالت مجيبتي أتعجب من هذا ولي زوج آخر؟

أرادت من زوج حمام لها، وهي عاقر؛ يعني للمرأة زوج حمام آخر، وقال أبو حنيفة: هاج المكاء للزواج يعني به السفاد، والزوج: الصنف كل شيء. وفي التنزيل: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ قيل: من كل لون أو ضرب حسن من النبات، التهذيب والزوج اللون؛ قال الأعشى:

وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة مَحْبُوًّا بذاك معا

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾؛ قال: معناه ألوان وأنواع

من العذاب، ووصفه بالأزواج، لأنه عنى به الأنواع من العذاب والأصناف منه، والزوج: النمط، وقيل: الديباج، وقال لبيد:

من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلّة وقرامها

قال: وقال بعضهم: الزوج هنا النمط يطرح على الهودج؛ ويشبه أن يكون سمي بذلك لاشتماله على ما تحته اشتمال الرجل على المرأة، وهذا ليس بقوي.

ذكر النكاح في القرآن الكريم

١- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٢].

٢- وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

٣- وقال تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

٤- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٥- وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٦- وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ [النساء: ١٢٧].

٧- وقال تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

٨- وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [النساء: ٢٥].

٩- وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور: ٣].

١٠- وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

١١- وقال تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء: ٣].

١٢- وقال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ ﴾ [النساء: ٢٥].

١٣- وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ ﴾ [القصص: ٢٧].

١٤- وقال تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

١٥- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

١٦- وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

١٧- وقال تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٦].

١٨- وقال تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾ [النور: ٦٠].

بحث في لفظ النكاح[1]

نكح: نكح فلان امرأة ينكحها نكاحًا إذا تزوجها، ونكحها ينكحها: باضعها أيضًا، وكذلك دحمها وخجأها، وقال الأعشى في نكح بمعنى تزوج:

ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحنْ أو تأبَّدا

الأزهري: وقوله عز وجل: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣]، تأويله لا يتزوج الزاني إلا زانية، وكذلك الزانية لا يتزوجها إلا زان؛ وقد قال قوم: معنى النكاح ههنا الوطء، فالمعنى عندهم: الزاني لا يطأ إلا زانية والزانية لا يطؤها إلا زان؛ قال: وهذا القول يبعد لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلا على معنى التزويج؛ قال الله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ [النور: ٣٢].

فهذا تزويج لا شك فيه؛ وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٤٩] فاعلم أن عقد التزويج يسمى النكاح، وأكثر التفسير أن هذه الآية نزلت في قوم المسلمين فقراء بالمدينة، وكان بها بغايا يزنين ويأخذن الأجرة، فأرادوا التزويج بهن وعولهن، فأنزل الله عز وجل تحريم ذلك. قال الأزهري: أصل النكاح في كلام العرب الوطء، وقيل للتزوج نكاح لأنه سبب للوطء المباح. الجوهري: النكاح الوطء وقد يكون العقد، تقول: نكحتها ونكحت هي أي تزوجت؛ وهي ناكح في بني فلان

---

(١) لسان العرب (مادة نكح).

أي ذات زوج منهم. قال ابن سيده: النكاح البضع، وذلك من نوع الإنسان خاصة. واستعمله ثعلب في الذباب؛ نكحها ينكحها نكحًا ونكاحًا، وليس في الكلام فعل يفعل مما لام الفعل منه حاء إلا ينكح وينطح ويمنح وينضح وينبح ويرجح ويأنح ويأزح ويملح.

ورجل نُكَحَة ونُكَح: كثير النكاح. قال: وقد يجري النكاح مجرى التزويج؛ وفي حديث معاوية: لست بنُكَحَ طُلَقَة أي كثير التزويج والطلاق، والمعروف أن يقال: نُكَحَة ولكن هكذا روي، وفعلة من أبنية المبالغة لمن يكثر منه الشيء.

وأنكحه المرأة: زوجه إياها. وأنكحها: زوجها، والاسم النُّكح والنِّكح؛ وكان الرجل في الجاهلية يأتي الحي خاطبًا فيقوم في ناديهم فيقول: خطب أي جئت خاطبًا، فيقال له: نُكْح أي قد أنكحناك إياها؛ ويقال: نكح إلا أن نكحًا هنا ليوازن خطبًا، وقصر أبو عبيد وابن الأعرابي قولهم خطب، فيقال نكح على خبر أم خارجة؛ كان يأتيها الرجل فيقول: خطب، فتقول هي: نكح، حتى قالوا: أسرع من نكاح أم خارجة. قال الجوهري: النكح والنكح لغتان، وهي كلمة كانت العرب تتزوج بها. نكحها: الذي ينكحها، وهي نكحته؛ كلاهما عن اللحياني.

قال أبو زيد: يقال: إنه لنكحة من قوم نكحات إذا كان شديد النكاح.

ويقال: نكح المطر الأرض إذا اعتمد عليها، ونكح النعاس عينه، وناك المطر الأرض، وناك النعاس عينه إذا غلب عليها، وامرأة ناكح، بغير هاء: ذات زوج؛ قال:

أحاطت بخطاب الأيامى وطلقت غداة غد منهن من كان ناكحا

وقد جاء في الشعر ناكحة على الفعل؛ قال الطرماح:

ومثلك ناحت عليه النساء من بين بكر إلى ناكحهْ

ويقويه قول الآخر:

لصلصلة اللجام برأس طرف أحب إلي من أن تنكحيني

وفي حديث قيلة: انطلقت إلى أخت لي ناكح في بني شيبان أي ذات نكاح يعني متزوجة، كما يقال: حائض وطاهر وطالق أي ذات حيض وطهارة وطلاق؛ قال ابن الأثير: ولا يقال: ناكح إلا إذا أرادوا بناء الاسم من الفعل فيقال: نكحت، فهي ناكح ومنه حديث سبيعة: ما أنت بناكح حتى تنقضي العدة. واستنكح في بني فلان: تزوج فيهم، وحكى الفارسي استنكحها كنكحها، وأنشد:

وهـــم قـــتلوا الطائي بالحجر عنوة أبـــا جابـــر واستنكحوا أم جابر

الخطبة قبل الزواج[1]

يستحب أن يقدم العاقد أو غيره بين يدي العقد خطبة. وأقلها: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

١- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**كل خطبة ليس فيها تشهُّد فهي كاليد الجذماء**»[2]. رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن غريب.

٢- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله؛ فهو أقطع**». رواه أبو داود وابن ماجه.

أي أن كل أمر معتنى به، ومحتاج إلى أن يلقي صاحبه باله له من الاهتمام به لا يبدأ بحمد الله فهو مقطوع من البركة. وليس المراد خصوص الحمد، بل المقصود ذكر الله عز وجل؛ ليتفق مع الروايات الأخرى.

والأفضل أن يخطب خطبة الحاجة.

فعن عبد الله بن مسعود قال: «**أوتي رسول الله ﷺ جوامع الخير وخواتيمه، أو قال فواتح الخير، فعلمنا خطبة الصلاة، وخطبة الحاجة، خطبة الصلاة: التحيات لله والصلوات والطيبات. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا**

---

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق.

(٢) اليد التي أصابها الجذام.

إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وخطبة الحاجة: إن الحمد لله، نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله... ثم تصل خطبتك بثلاث آيات من كتاب الله:

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

رواه أصحاب السنن وهذا لفظ ابن ماجه، ولو لم يأت بالخطبة صح النكاح.

فعن رجل من بني سليم قال: خطبت إلى النبي ﷺ المرأة التي عرضت نفسها عليه ليتزوجها ﷺ، فقال له: «**زَوَّجْتُكَهَا بما معك من القرآن**» ولم يخطب.

حكمة ذلك:

قال في حجة الله البالغة: كان أهل الجاهلية يخطبون قبل العقد بما يرونه من ذكر مفاخر قومهم ونحو ذلك. يتوسلون بذلك إلى ذكر المقصود والتنويه به، وكان جريان الرسم بذلك مصلحة، فإن الخطبة مبناها على التشهير، وجعل الشيء بمسمع ومرأى من الجمهور.

والتشهير بما يراد وجوده في النكاح ليتميز من السفاح... وأيضًا فالخطبة لا تستعمل إلا في الأمور المهمة. والاهتمام بالنكاح وجعله أمرًا عظيمًا بينهم من أعظم المقاصد؛ فأبقى النبي ﷺ أصلها، وغير وصفها. وذلك أنه ضم مع هذه المصالح مصلحة أخرى وهي: أنه ينبغي أن يضم في كل ارتفاق ذكر مناسب له، وينوه في كل عمل بشعائر الله، ليكون الدين الحق ناشرًا أعلامه وراياته، ظاهرًا شعاره وأماراته؛ فسن بها أنواعًا من الذكر كالحمد والاستعانة والاستغفار والتعوذ والتوكل والتشهد وآيات من القرآن. وأشار إلى هذه المصلحة بقوله: «**وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء**».

وقوله: «**كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم**».

وقال ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف في النكاح**».

الدعاء بعد العقد:

يستحب الدعاء لكل واحد من الزوجين بالمأثور:

١- فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان أي إذا تزوج. قال: «**بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير**».

٢- وعن عائشة قالت: تزوجني النبي ﷺ، فأتتني أمي فأدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير، والبركة وعلى خير طائر. رواه البخاري وأبو داود.

٣- وعن الحسن قال: تزوج عقيل بن أبي طالب ﷺ امرأة من بني جشم. فقالوا: بالرفاء والبنين. فقال: قولوا كما قال رسول الله ﷺ: «**بارك الله فيكم، وبارك عليكم**» رواه النسائي.

الزواج[1]

الزوجية سنة من سنن الله في الخلق والتكوين، وهي عامة مطردة، لا يشذ عنها عالم الإنسان، أو عالم الحيوان أو عالم النبات.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦].

وهي الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر، واستمرار الحياة، بعد أن أعد كلا الزوجين وهيأهما، بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١].

ولم يشأ الله أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم، فيدع غرائزه تنطلق دون وعي، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له.

بل وضع النظام الملائم لسيادته، والذي من شأنه أن يحفظ شرفه، ويصون كرامته.

فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريمًا، مبنيًا على رضاهما.

وعلى إيجاب وقبول، كمظهرين لهذا الرضا.

وعلى إشهاد، على أن كلاً منهما قد أصبح للآخر.

وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمونة، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة عن أن تكون كلاء مباحًا لكل راتع.

ووضع نواة الأسرة التي تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة،

---

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق رحمه الله تعالى.

فتنبت نباتًا حسنًا، وتثمر ثمارها اليانعة.

وهذا النظام هو الذي ارتضاه الله، وأبقى عليه الإسلام، وهدم كل ما عداه.

الأنكحة التي هدمها الإسلام:

فمن ذلك:

نكاح الخدن: كانوا يقولون: ما استتر فلا بأس به وما ظهر فهو لؤم. وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥].

ومنها:

نكاح البدل: وهو أن يقول الرجل للرجل: انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك. رواه الدارقطني عن أبي هريرة بسند ضعيف جدًا.

وذكرت عائشة غير هذين النوعين فقالت: كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء[1]:

١ ـ نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها.

٢ ـ ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها[2]، أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه[3]، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها. فإذا تبين، أصابها إذا أحب.

وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد. ويسمى هذا نكاح الاستبضاع.

٣ ـ ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة على المرأة فيدخلون؛ كلهم يصيبها؛ فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، فتقول لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

---

(١) أنحاء: أنواع.

(٢) طمثها: حيضها.

(٣) استبضعي: اطلبي منه المباضعة، أي الجماع لتنالي به الولد فقط.

٤ ـ **ونكاح رابع**: يجتمع ناس كثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها -وهن البغايا[١]- ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت، جمعوا لها، ودعوا لهم القافة[٢] ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به[٣] ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك.

فلما بعث محمد ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح الناس اليوم.

وهذا النظام الذي أبقى عليه الإسلام، لا يتحقق إلا بتحقق أركانه من الإيجاب والقبول، وبشرط الإشهاد.

وبهذا يتم العقد الذي يفيد حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه الذي شرعه الله.

وبه تثبت الحقوق والواجبات التي تلزم كلاً منهما.

الترغيب في الزواج:

وقد رغب الإسلام في الزواج بصور متعددة للترغيب.

فتارة يذكر أنه من سنن الأنبياء وهدى المرسلين. وأنهم القادة الذين يجب علينا أن نقتدي بهداهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

وفي حديث الترمذي عن أبي أيوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع من سنن المرسلين: الحناء[٤]، والتعطر، والسواك، والنكاح**».

وتارة يذكره في معرض الامتنان: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النحل: ٧٢].

وأحيانًا يتحدث عن كونه آية من آيات الله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ

---

(١) البغايا: الزواني.

(٢) القافة: جمع قائف وهو من يشبّه بين الناس، فيلحق الولد بالشبيه.

(٣) التاط به: التصق به وثبت النسب بينهما.

(٤) وقال بعض الرواة: الحياء بالياء.

لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وقد يتردد المرء في قبول الزواج، فيحجم عنه خوفًا من الاضطلاع بتكاليفه، وهروبًا من احتمال أعبائه.

فيلفت الإسلام نظره إلى أن الله سيجعل الزواج سبيلاً إلى الغنى، وأنه سيحمل عنه هذه الأعباء ويمده بالقوة التي تجعله قادرًا على التغلب على أسباب الفقر: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ(١) مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ(٢) إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢].

وفي حديث الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**».

والمرأة خير كنز يضاف إلى رصيد الرجل.

روى الترمذي وابن ماجه عن ثوبان ﷺ، قال لما نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، فلو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: «**لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه**».

وروى الطبري بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أربع من أصابهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجة لا تبغيه حوبًا في نفسها وماله**».

---

(١) الأيامى: جميع أيم، وهو الذي لا زوجة له، أو التي لا زوج لها.

(٢) الإماء: العبيد.

وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**الدنيا متاع؛ وخير متاعها المرأة الصالحة**».

وقد يخيل للإنسان في لحظة من لحظات يقظته الروحية، أن يتبتل وينقطع عن كل شأن من شئون الدنيا، فيقوم الليل، ويصوم النهار، ويعتزل النساء؛ ويسير في طريق الرهبانية المنافية لطبيعة الإنسان.

فيعلمه الإسلام أن ذلك مناف لفطرته، ومغاير لدينه، وأن سيد الأنبياء -وهو أخشى الناس لله وأتقاهم له- كان يصوم ويفطر، ويقوم وينام، ويتزوج النساء. وأن من حاول الخروج عن هديه فليس له شرف الانتساب إليه.

روى البخاري ومسلم عن أنس ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا -كأنهم تقالوها[1]- فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

والزوجة الصالحة فيض من السعادة يغمر البيت ويملؤه سرورًا وبهجة وإشراقًا.

فعن أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ما استفاد المؤمن -بعد تقوى الله عز وجل- خيرًا له من زوجة صالحة: إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**». رواه ابن ماجه.

---

(١) عدّوها قليلة.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء**» رواه أحمد بسند صحيح.

ورواه الطبراني، والبزار، والحاكم وصححه، وقد جاء تفسير هذا الحديث في حديث آخر رواه الحاكم: أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة من السعادة: المرأة الصالحة، تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة[1] تلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. وثلاث من الشقاء: المرأة تراها فتسوءك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفًا[2] فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق**».

والزواج عبادة يستكمل الإنسان بها نصف دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حال من الطهر والنقاء.

فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي**» رواه الطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعنه ﷺ قال: «**من أراد أن يلقى الله طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر**» رواه ابن ماجه وفيه ضعف.

قال ابن مسعود: لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام، وأعلم أني أموت في آخرها، ولي طول النكاح فيهن، لتزوجت مخافة الفتنة.

---

(١) وطيئة: ذلول سريعة السير.

(٢) قطوفًا: بطيئة.

حكمة الزواج:

وإنما رغب الإسلام في الزواج على هذا النحو، وحبب فيه لما يترتب عليه من آثار نافعة تعود على الفرد نفسه، وعلى الأمة جميعًا، وعلى النوع الإنساني عامة.

١- فإن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها، وهي تلح على صاحبها دائمًا في إيجاد مجال لها؛ فما لم يكن ثمة ما يشبعها، انتاب الإنسان الكثير من القلق والاضطراب، ونزعت به إلى شرع منزع.

والزواج هو أحسن وضع طبيعي، وأنسب مجال حيوي لإرواء الغريزة وإشباعها. فيهدأ البدن من الاضطراب، وتسكن النفس من الصراع، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله.

وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وعن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم من امرأة ما يعجبه فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه**» رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي.

٢- والزواج هو أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد وتكثير النسل، واستمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب التي يوليها الإسلام عناية فائقة، وقد تقدم قول رسول الله ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة**».

وفي كثرة النسل من المصالح العامة والمنافع الخاصة، ما جعل الأمم تحرص أشد الحرص على تكثير سواد أفرادها بإعطاء المكافآت التشجيعية لمن كثر نسله وزاد عدد أبنائه. وقديمًا قيل: إنما العزة للكاثر.

ولا تزال هذه حقيقة قائمة لم يطرأ عليها ما ينقضها.

دخل الأحنف بن قيس على معاوية، ويزيد بين يديه، وهو ينظر إليه

إعجابًا به، فقال: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ فعلم ما أراد، فقال: يا أمير المؤمنين، هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا لمن بعدنا فكن لهم أرضًا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك[1] فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك[2] فيملوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك.

فقال: لله درك يا أبا بحر؛ هم كما وصفت[3].

٣- ثُمّ أن غريزة الأبوة والأمومة تنمو وتتكامل في ظلال الطفولة، وتنمو مشاعر العطف والود والحنان، وهي فضائل لا تكمل إنسانية إنسان بدونها.

٤- الشعور بتبعة الزواج، ورعاية الأولاد يبعث على النشاط وبذل الوسع في تقوية ملكات الفرد ومواهبه. فينطلق إلى العمل من أجل النهوض بأعبائه، والقيام بواجبه. فيكثر الاستغلال وأسباب الاستثمار مما يزيد في تنمية الثروة وكثرة الإنتاج؛ ويدفع إلى استخراج خيرات الله من الكون وما أودع فيه من أشياء ومنافع للناس.

٥- توزيع الأعمال توزيعًا ينتظم به شأن البيت من جهة، كما ينتظم به العمل خارجه من جهة أخرى، مع تحديد مسئولية كل من الرجل والمرأة فيما يناط به من أعمال.

فالمرأة تقوم على رعاية البيت وتدبير المنزل، وتربية الأولاد، وتهيئة الجو الصالح للرجل ليستريح فيه ويجد ما يذهب بعنائه، ويجدد نشاطه؛ بينما يسعى الرجل وينهض بالكسب؛ وما يحتاج إليه البيت من مال ونفقات.

وبهذا التوزيع العادل يؤدي كل منهما وظائفه الطبيعية على الوجه الذي يرضاه الله ويحمده الناس، ويثمر الثمار المباركة.

---

(١) استعتبوك: طلبوا منك الرضا.

(٢) رفدك: عطاءك.

(٣) الأمالي لأبي علي القالي.

٦- على أن ما يثمره الزواج من ترابط الأسر، وتقوية أواصر المحبة بين العائلات، وتوكيد الصلات الاجتماعية مما يباركه الإسلام ويعضده ويسانده، فإن المجتمع المترابط المتحاب هو المجتمع القوي السعيد.

٧- جاء في تقرير هيئة الأمم المتحدة الذي نشرته صحيفة الشعب الصادرة يوم السبت ١٩٥٩/٦/٦م أن المتزوجين يعيشون مدة أطول مما يعيشها غير المتزوجين سواء كان غير المتزوجين أرامل أم مطلقين أم عزابًا من الجنسين.

وقال التقرير: إن الناس بدءوا يتزوجون في سن أصغر في جميع أنحاء العالم، وإن عمر المتزوجين أكثر طولاً.

وقد بنت الأمم المتحدة تقريرها على أساس أبحاث وإحصائيات تمت في جميع أنحاء العالم خلال عام ١٩٥٨ بأكمله، وبناء على هذه الإحصاءات قال التقرير: إنه من المؤكد أن معدل الوفاة بين المتزوجين -من الجنسين- أقل من معدل الوفاة بين غير المتزوجين، وذلك في مختلف الأعمار.

واستطرد التقرير قائلاً: وبناء على ذلك فإنه يمكن القول بأن الزواج شيء مفيد صحيًا للرجل والمرأة على السواء، حتى إن أخطار الحمل والولادة قد تضاءلت فأصبحت لا تشكل خطرًا على حياة الأمم.

وقال التقرير: إن متوسط سن الزواج في العالم كله اليوم هو ٢٤ للمرأة و٢٧ للرجل. وهو سن أقل من متوسط سن الزواج منذ سنوات.

حكم الزواج(١)

الزواج الواجب:

يجب الزواج على من قدر عليه وتاقت نفسه إليه وخشي العنت(٢)، لأن صيانة النفس وإعفافها عن الحرام واجب، ولا يتم ذلك إلا بالزواج.

---

(١) حكمه: وصفه الشرعي من الوجوب أو الحرمة ... إلخ.

(٢) العنت: الزنا. ويطلق على الإثم والفجور والأمر الشاق.

اختيار الزوجة:

الزوجة سكن للزوج، وحرث له، وهي شريكة حياته، وربة بيته، وأم أولاده، ومهوى فؤاده، وموضع سره ونجواه.

وهي أهم ركن من أركان الأسرة، إذ هي المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيرًا من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى ملكاته ويتلقى لغته، ويكتسب كثيرًا من تقاليده وعاداته، ويتعرف دينه، ويتعود السلوك الاجتماعي.

من أجل هذا عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه.

وليس الصلاح إلا المحافظة على الدين، والتمسك بالفضائل، ورعاية حق الزوج، وحماية الأبناء، فهذا هو الذي ينبغي مراعاته.

وأما ما عدا ذلك من مظاهر الدنيا، فهو مما حظره الإسلام ونهى عنه إذا كان مجردًا من معاني الخير والفضل والصلاح.

وكثيرًا ما يتطلع الناس إلى المال الكثير، أو الجمال الفاتن، أو الجاه العريض، أو النسب العريق، أو إلى ما يعد من شرف الآباء، غير ملاحظين كمال النفوس وحسن التربية، فتكون ثمرة الزواج مُرَّة، وتنتهي بنتائج ضارة.

لهذا يحذر الرسول ﷺ من التزويج على هذا النحو، فيقول: «**إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء**»[1].

ويقول: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء[2] ذات دين أفضل**»[3].

---

(١) رواه الدارقطني وقال: تفرد به الواقدي وهو ضعيف، والدمن: ما بقي من آثار الديار ويستعمل سمادًا.

(٢) الخرماء: المشقوقة الأنف والأذن.

(٣) هذا الحديث رواه عبد بن حميد، وفيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف.

ويخبر أن الذي يريد الزواج مبتغيًا به غير ما يقصد منه من تكوين الأسرة ورعاية شئونها، فإنه يعامل بنقيض مقصوده، فيقول: «**من تزوج امرأة لما لها لم يزده الله إلا فقرًا، ومن تزوج امرأة لحسبها لم يزده إلا دناءة، ومن تزوج امرأة ليغض بها بصره، ويحصن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه**» رواه ابن حبان في الضعفاء.

والقصد من هذا الحظر ألا يكون القصد الأول من الزواج هو هذا الاتجاه نحو هذه الغايات الدنيا، فإنها لا ترفع من شأن صاحبها ولا تسمو به؛ بل الواجب أن يكون الدين متوافرًا أولاً، فإن الدين هداية العقل والضمير.

ثم تأتي بعد ذلك الصفات التي يرغب فيها الإنسان بطبعه، وتميل إليها نفسه، يقول الرسول ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدِّين تربت يداك**»[1] رواه البخاري ومسلم.

ويضع تحديدًا للمرأة الصالحة، وأنها الجميلة المطيعة البارة الأمينة، فيقول: «**خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك**» رواه النسائي وغيره بسند صحيح.

ومن المزايا التي ينبغي توفرها في المرأة المخطوبة أن تكون من بيئة كريمة معروفة باعتدال المزاج، وهدوء الأعصاب، والبعد عن الانحرافات النفسية، فإنها أجدر أن تكون حانية على ولدها، راعية لحق زوجها.

خطب رسول الله ﷺ أم هانئ فاعتذرت إليه بأنها صاحبة أولاد، فقال: «**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه**[2] **على ولد في صغره.**

---

(١) تربت يداك: التصقت بالتراب، وهو دعاء بالفقر على من لم يكن الدين من أهدافه.

(٢) أحناه: أكثره شفقة، والحانية على ولدها: هي التي تقوم عليهم في حال يتمهم، فإذا تزوجت فليست بحانية.

وأرعاه[١] على زوج في ذات يده[٢]».

وطبيعة الأصل الكريم أن يتفرع عنه مثله؛ يقول الرسول الله ﷺ: **«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».**

وهـــل ينـــتج الخطيّ إلا وشيجة ويغـــرس إلا في منابـــته الـــنخل

خطب رجل امرأة لا يدانيها في شرفها فأنشدت:

بكـــى الحسب الزاكي بعين غزيرة من الحسب المنقوص أن يجمعا معا

ومن مقاصد الزواج الأولى إنجاب الأولاد؛ فينبغي أن تكون الزوجة منجبة، ويعرف ذلك بسلامة بدنها، وبقياسها على مثيلاتها من أخواتها وعماتها وخالاتها.

خطب رجل امرأة عقيمًا لا تلد، فقال: يا رسول الله، إني خطبت امرأة ذات حسب، وجمال وإنها لا تلد؛ فنهاه رسول الله ﷺ، وقال: **«تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».**

والودود هي المرأة التي تتودد إلى زوجها وتتحبب إليه، وتبذل طاقاتها في مرضاته.

والإنسان بطبيعته يعشق الجمال ويهواه، ويشعر دائمًا في قرارة نفسه بأنه فاقد لشيء من ذاته إذا كان الشيء الجميل بعيدًا عنه. فإذا أحرزه واستولى عليه شعر بسكن نفسي، وارتواء عاطفي وسعادة، ولهذا لم يسقط الإسلام الجمال من حسابه عند اختيار الزوجة؛ ففي الحديث الصحيح: **«إن الله جميل يحب الجمال».**

وخطب المغيرة بن شعبة امرأة، فأخبر رسول الله ﷺ، فقال له: **«اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».** أي تدوم بينكما المودة

---

(١) أرعاه: أحفظه وأصون لما له بالأمانة فيه والصيانة له وترك التبذير في الإنفاق.

(٢) ذات اليد: المال. يقال فلان قليل ذات اليد: أي قليل المال.

والعشرة.

ونصح الرسول رجلاً خطب امرأة من الأنصار وقال له: «**انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا**».

وكان جابر بن عبد الله يختبئ لمن يريد التزوج بها، ليتمكن من رؤيتها، والنظر إلى ما يدعوه إلى الاقتران بها.

وكان رسول الله ﷺ يرسل بعض النسوة ليتعرفن بعض ما يخفى من العيوب، فيقول لها: «**شمي فمها، شمي إبطيها، انظري إلى عرقوبيها**».

ويستحسن أن تكون الزوجة بكرًا، فإن البكر ساذجة لم يسبق لها عهد بالرجال، فيكون التزويج بها أدعى إلى تقوية عقدة النكاح، ويكون حبها لزوجها ألصق بقلبها فما الحب إلا للحبيب الأول.

ولما تزوج جابر بن عبد الله ثيبًا قال له رسول الله ﷺ: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟**».

فأخبر رسول الله ﷺ بأن أباه قد ترك بنات صغارًا، وهن في حاجة إلى رعاية امرأة تقوم على شئونهن، وأن الثيب أقدر على هذه الرعاية من البكر التي لم تدرب على تدبير المنزل.

ومما ينبغي ملاحظته أن يكون ثمة تقارب بين الزوج والزوجة من حيث السن والمركز الاجتماعي، والمستوى الثقافي والاقتصادي؛ فإن التقارب في هذه النواحي مما يعين على دوام العشرة، وبقاء الألفة.

وقد خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال: «**إنها صغيرة**» فلما خطبها عليٌّ زوجها إياه.

هذه بعض المعاني التي أرشد الإسلام إليها، ليتخذها مريدو الزواج نبراسًا يستضيئون به، ويسيرون على هداه.

لو أننا لاحظنا هذه المعاني عند اختيارنا للزوجة لأمكن أن نجعل من بيوتنا جنة ينعم فيها الصغير، ويسعد بها الزوج، وتعد للحياة أبناء صالحين، تحيا بهم أممهم حياة طيبة كريمة.

اختيار الزوج:

وعلى الولي أن يختار لكريمته، فلا يزوجها إلا لمن له دين وخلق وشرف وحسن سمت، فإن عاشرها عاشرها بمعروف، وإن سرحها سرحها بإحسان.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: والاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق بكل حال.

ومهما زوج ابنته ظالمًا أو فاسقًا أو مبتدعًا أو شارب خمر، فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من الرحم وسوء الاختيار.

قال رجل للحسن بن علي: إن لي بنتًا، فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها لمن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقالت عائشة: النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته.

وقال ﷺ: **«من زوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»**، رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس، ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح.

قال ابن تيمية: ومن كان مصرًا على الفسوق فلا ينبغي أن يزوج.

الخطبة:

الخطبة: فعلة كقعدة وجلسة، يقال: خطب المرأة يخطبها خطبًا وخطبة؛ أي طلبها للزواج بالوسيلة المعروفة بين الناس، ورجل خطاب: كثير التصرف في الخطبة، والخطيب، والخاطب، والخطب، الذي يخطب المرأة، وهي خطبه وخطبته.

وخطب يخطب، قال كلامًا يعظ به، أو يمدح غيره ونحو ذلك.

والخطبة من مقدمات الزواج، وقد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كل من الزوجين صاحبه، ويكون الإقدام على الزواج على هدى وبصيرة.

من تباح خطبتها:

لا تباح خطبة امرأة إلا إذا توافر فيها شرطان:

الأول: أن تكون خالية من الموانع الشرعية التي تمنع زواجه منها في الحال.

الثاني: ألا يسبقه غيره إليها بخطبة شرعية.

فإن كانت ثمة موانع شرعية، كأن تكون محرمة عليه بسبب من أسباب التحريم المؤبدة أو المؤقتة، أو كان غيره سبقه بخطبتها، فلا يباح له خطبتها.

خطبة معتدَّة الغير:

تحرم خطبة المعتدة، سواء أكانت عدتها عدة وفاة أم عدة طلاق، وسواء أكان الطلاق رجعيًا أم بائنًا.

فإن كانت معتدة من طلاق رجعي حرمت خطبتها، لأنها لم تخرج عن عصمة زوجها، وله مراجعتها في أي وقت شاء.

فإن كانت معتدة من طلاق بائن حرمت خطبتها بطريق التصريح، إذ حق الزوج لا يزال متعلقًا بها، وله حق إعادتها بعقد جديد. ففي تقدم رجل آخر لخطبتها اعتداء عليه.

واختلف العلماء في التعريض بخطبتها، والصحيح جوازه.

وإن كانت معتدة من وفاة فإنه يجوز التعريض لخطبتها أثناء العدة دون التصريح؛ لأن صلة الزوجية قد انقطعت بالوفاة، فلم يبق للزوج حق يتعلق بزوجته التي مات عنها.

وإنما حرمت خطبتها بطريق التصريح؛ رعاية لحزن الزوجة وإحدادها من جانب، ومحافظة على شعور أهل الميت وورثته من جانب آخر.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

والمراد بالنساء؛ المعتدات لوفاة أزواجهن؛ لأن الكلام في هذا السياق.

ومعنى التعريض أن يذكر المتكلم شيئًا يدل به على شيء لم يذكره.

مثل أن يقول: إني أريد التزوج، ولوددت أن ييسر الله لي امرأة صالحة، أو يقول: إن الله لسائق لك خيرًا.

والهدية إلى المعتدة جائزة، وهي من التعريض.

وجائز أن يمدح نفسه، ويذكر مآثره على وجه التعريض بالزواج وقد فعله أبو جعفر محمد بن علي بن حسين.

قالت سكينة بنت حنظلة: استأذن علي بن محمد عليّ ولم تنقض عدتي من مهلك[١] زوجي. فقال: قد عرفت قرابتي من رسول الله ﷺ، وقرابتي من علي، وموضعي في العرب.

قلت: غفر الله لك يا أبا جعفر، إنك رجل يؤخذ عنك، تخطبني في عدتي؟

قال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ ومن علي.

وقد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي متأيمة[٢] من أبي سلمة، فقال: «**لقد علمت أني رسول الله وخيرته، وموضعي في قومي**» وكانت تلك خطبة، رواه الدارقطني[٣].

وخلاصة الآراء أن التصريح بالخطبة حرام لجميع المعتدات، والتعريض مباح للبائن وللمعتدة من الوفاة، وحرام في المعتدة من طلاق رجعي.

وإذا صرح بالخطبة في العدة ولكن لم يعقد عليها إلا بعد انقضاء عدتها فقد اختلف العلماء في ذلك. قال مالك: يفارقها، دخل بها أم لم يدخل.

وقال الشافعي: صح العقد وإن ارتكب النهي الصريح المذكور لاختلاف الجهة.

واتفقوا على أنه يفرق بينهما لو وقع العقد في العدة ودخل بها. وهل تحل له بعد أم لا؟

---

(١) مهلك: أي هلاك.

(٢) متأيمة: أي حال كونها أَيِّماً قد فقدت زوجها.

(٣) الحديث منقطع، لأن محمد بن علي الباقر لم يدرك النبي ﷺ.

قال مالك، والليث، والأوزاعي: لا يحل له زواجها بعد.

وقال جمهور العلماء: بل يحل له إذا انقضت العدة أن يتزوجها إذا شاء.

الخطبة على الخطبة:

يحرم على الرجل أن يخطب على خطبة أخيه، لما في ذلك من اعتداء على حق الخاطب الأول وإساءة إليه، وقد ينجم عن هذا التصرف الشقاق بين الأسر، والاعتداء الذي يروع الآمنين.

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل له أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه**[1] **حتى يذر**»[2] رواه أحمد ومسلم.

ومحل التحريم ما إذا صرحت المخطوبة بالإجابة، وصرح وليها الذي أذنت له، حيث يكون إذنه معتبرًا.

وتجوز الخطبة لو وقع التصريح بالرد، أو وقعت الإجابة بالتعريض، كقولها: لا رغبة عنك. أو لم يعلم الثاني بخطبة الأول، أو لم تقبل وترفض، أو أذن الخاطب الأول للثاني.

وحكى الترمذي عن الشافعي في معنى الحديث: إذا خطب المرأة فرضيت به وركنت إليه؟ فليس لأحد أن يخطب على خطبته.

فإذا لم يعلم برضاها ولا ركونها، فلا بأس أن يخطبها.

وإذا خطبها الثاني بعد إجابة الأول وعقد عليها أثم والعقد صحيح لأن النهي عن الخطبة، وليست شرطًا في صحة الزواج، فلا يفسخ بوقوعها غير صحيحة.

وقال داود: إذا تزوجها الخاطب الثاني فسخ العقد قبل الدخول وبعده.

---

(١) مفهوم لفظ الأخ معطل: لأنه خرج مخرج الغالب، فتحرم الخطبة على خطبة الكافر والفاسق. وأخذ بالمفهوم بعض الشافعية والأوزاعي، وجوزوا الخطبة على خطبة الكافر. قال الشوكاني: وهو الظاهر.

(٢) يذر: يترك.

النظر إلى المخطوبة:

مما يرطب حياة الزوجية ويجعلها محفوفة بالسعادة محوطة بالهناء، أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل الخطبة ليعرف جمالها الذي يدعوه إلى الإقدام على الاقتران بها، أو قبحها الذي يصرفه عنها إلى غيرها.

والحازم لا يدخل مدخلاً حتى يعرف خيره من شره قبل الدخول فيه، قال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم.

وهذا النظر ندب إليه الشرع، ورغب فيه:

١- فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها؛ فليفعل**».

قال جابر: فخطبت امرأة من بني سلمة، فكنت أختبئ لها[1] حتى رأيت منها بعض ما دعاني إليها. رواه أبو داود.

٢- وعن المغيرة بن شعبة: أنه خطب المرأة، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليها؟** قال: لا، **قال: انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» أي أجدر أن يدوم الوفاق بينكما.

رواه النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه.

٣- وعن أبي هريرة ﷺ: أن رجلاً خطب امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليها؟**» قال: لا، قال: «**فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئًا**»[2].

المواضع التي ينظر إليها:

ذهب الجمهور من العلماء إلى أن الرجل ينظر إلى الوجه والكفين لا غير، لأنه يستدل بالنظر إلى الوجه على الجمال أو الدمامة، وإلى الكفين على خصوبة البدن أو عدمها.

وقال داود: ينظر إلى جميع البدن.

وقال الأوزاعي: ينظر إلى مواضع اللحم.

---

(١) فيه دليل على أنه ينظر إليها على غفلتها وإن لم تأذن له.

(٢) قيل: صغر أو عمش.

والأحاديث لم تعين مواضع النظر، بل أطلقت لينظر إلى ما يحصل له المقصود بالنظر إليه[١].

والدليل على ذلك ما رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور: أن عمر خطب إلى علي ابنته أم كلثوم؛ فذكر له صغرها، فقال: أبعث بها إليك، فإن رضيت فهي امرأتك، فأرسل إليها، فكشف عن ساقها، فقالت: لولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينيك.

وإذا نظر إليها ولم تعجبه فليسكت ولا يقل شيئًا، حتى لا تتأذى بما يذكر عنها، ولعل الذي لا يعجبه منها قد يعجب غيره.

نظر المرأة إلى الرجل:

وليس هذا الحكم مقصورًا على الرجل، بل هو ثابت للمرأة أيضًا. فلها أن تنظر إلى خاطبها فإنه يعجبها منه مثل ما يعجبه منها.

قال عمر: لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم، فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن.

التعرف على الصفات:

هذا بالنسبة للنظر للذي يعرف به الجمال من القبح، وأما بقية الصفات الخلقية فتعرف بالوصف والاستيصاف، والتحري ممن خالطوهما بالمعاشرة أو الجوار، أو بواسطة بعض أفراد ممن هم موضع ثقته من الأقرباء كالأم، والأخت.

وقد بعث النبي ﷺ أم سليم إلى امرأة فقال: «**انظري إلى عرقوبها وشمي معاطفها**»[٢]. وفي رواية «**شمي عوارضها**»[٣] رواه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي.

قال الغزالي في الإحياء: ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق، خبير بالظاهر والباطن، ولا يميل إليها فيفرط في الثناء، ولا

---

(١) فتح العلام ج٢ ص٨٩.

(٢) المعاطف: نواحي العنق.

(٣) العوارض: الأسنان في عرض الفم، وهي ما بين الأسنان والأضراس وواحدها عارض. والمراد اختبار رائحة الفم.

يحسدها فيقصر، فالطباع ماثلة في مبادئ الزواج، ووصف المزوجات إلى الإفراط أو التفريط.

وقل من يصدق فيه ويقتصد، بل الخداع والإغراء أغلب، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته.

حظر الخلوة بالمخطوبة:

يحرم الخلو بالمخطوبة، لأنها محرمة على الخاطب حتى يعقد عليها.

ولم يرد الشرع بغير النظر، فبقيت على التحريم، ولأنه لا يؤمن مع الخلوة مواقعة ما نهى الله عنه.

فإذا وجد محرم جازت الخلوة، لامتناع وقوع المعصية مع حضوره.

فعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان**».

وعن عامر بن ربيعة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له، فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم**». رواهما أحمد.

خطر التهاون في الخلوة وضرره:

درج كثير من الناس على التهاون في هذا الشأن، فأباح لابنته أو قريبته أن تخالط خطيبها وتخلو معه دون رقابة. وتذهب معه حيث يريد من غير إشراف.

وقد نتج عن ذلك أن تعرضت المرأة لضياع شرفها وفساد عفافها وإهدار كرامتها.

وقد لا يتم الزواج فتكون قد أضافت إلى ذلك فوات الزواج منها.

وعلى النقيض من ذلك طائفة جامدة لا تسمح للخاطب أن يرى بناتها عند الخطبة، وتأبى إلا أن يرضى بها، ويعقد عليها دون أن يراها أو تراه إلا ليلة الزفاف.

وقد تكون الرؤية مفاجئة لهما غير متوقعة، فيحدث ما لم يكن مقدرًا من الشقاق والفراق.

وبعض الناس يكتفي بعرض الصورة الشمسية؛ وهي في الواقع لا تدل

على شيء يمكن أن يطمئن، ولا تصور الحقيقة تصويرًا دقيقًا.

وخير الأمور هو ما جاء به الإسلام، فإن فيه الرعاية لحق كلا الزوجين في رؤية كل منهما الآخر، مع تجنب الخلوة، حماية للشرف، وصيانة للعرض.

العدول عن الخطبة وأثره:

الخطبة مقدمة تسبق عقد الزواج، وكثيرًا ما يعقبها تقديم المهر كله أو بعضه، وتقديم هدايا وهبات، تقوية للصلات، وتأكيدًا للعلاقة الجديدة.

وقد يحدث أن يعدل الخاطب، أو المخطوبة، أو هما معًا عن إتمام العقد، فهل يجوز ذلك؟ وهل يرد ما أعطى للمخطوبة؟

إن الخطبة مجرد وعد بالزواج، وليست عقدًا ملزمًا، والعدول عن إنجازه حق من الحقوق التي يملكها كل من المتواعدين.

ولم يجعل الشارع لإخلاف الوعد عقوبة مادية يجازي بمقتضاها المخلف، وإن عدَّ ذلك خلقًا ذميمًا، ووصفه بأنه من صفات المنافقين، إلا إذا كانت هناك ضرورة ملزمة تقتضي عدم الوفاء.

ففي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

ولما حضرت الوفاة عبد الله بن عمر قال: انظروا فلانًا لرجل من قريش؛ فإني قلت له في ابنتي قولاً كشبه العدة، وما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق، وأشهدكم أني قد زوجته[1].

وما قدمه الخاطب من المهر فله الحق في استرداده، لأنه دفع في مقابل الزواج، وعوضًا عنه.

وما دام الزواج لم يوجد، فإن المهر لا يستحق شيء منه، ويجب رده إلى صاحبه؛ إذ أنه حق خالص له.

وأما الهدايا فحكمها حكم الهبة؛ والصحيح أن الهبة لا يجوز الرجوع

---

(١) تذكرة الحفاظ.

فيها إذا كانت تبرعًا محضًا لا لأجل العوض، لأن الموهوب له حين قبض العين الموهوبة دخلت في ملكه، وجاز له التصرف فيها؛ فرجوع الواهب فيها انتزاع لملكه منه بغير رضاه، وهذا باطل شرعًا وعقلاً[1].

فإذا وهب ليتعوض من هبته ويثاب عليها فلم يفعل الموهوب له، جاز له الرجوع في هبته؛ وللواهب هنا حق الرجوع فيما وهب، لأن هبته على جهة المعاوضة، فلما لم يتم الزواج كان له حق الرجوع فيما وهب؛ والأصل في ذلك:

١- ما رواه أصحاب السنن، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لرجل أن يعطي عطية، أو يهب هبة فيرجع فيها، إلا الوالد فيما يعطي ولده**».

٢- ورووا عنه أيضًا، أن رسول الله ﷺ قال: «**العائد في هبته كالعائد في قيئه**».

٣- وعن سالم عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من وهب هبة فهو أحق بها ما لم يثب منها**» أي يعوض عنها.

وطريقة الجمع بين هذه الأحاديث هي ما ذكره «أعلام الموقعين» قال: ويكون الواهب الذي لا يحل له الرجوع هو من وهب تبرعًا محضًا لا لأجل العوض، والواهب الذي له رجوع هو من وهب ليتعوض من هبته، ويثاب منها، فلم يفعل الموهوب له، وتستعمل سنن رسول الله كلها، ولا يضرب بعضها ببعض.

رأي الفقهاء:

إلا أن العمل الذي جرى عليه القضاء بالمحاكم: تطبيق المذهب الحنفي الذي يرى أن ما أهداه الخاطب لمخطوبته له الحق في استرداده إن كان قائمًا على حالته لم يتغير.

فالأسورة، أو الخاتم، أو العقد، أو الساعة، ونحو ذلك يرد إلى الخاطب

---

(١) أعلام الموقعين ج٢ ص٥٠.

إذا كانت موجودة.

فإن لم يكن قائمًا على حالته، بأن فقد أو بيع أو تغير بالزيادة، أو كان طعامًا فأكل، أو قماشًا فخيط ثوبًا، فليس للخاطب الحق في استرداد ما أهداه أو استرداد بدل منه.

وقد حكمت محكمة طنطا الابتدائية الشرعية حكمًا نهائيًا بتاريخ ١٣ يوليو سنة ١٩٣٣م. وقررت فيه القواعد الآتية:

١- ما يقدم من الخاطب لمخطوبته، مما لا يكون محلاً لورود العقد عليه؛ يعتبر هدية.

٢- الهدية كالهبة؛ حكمًا ومعنى.

٣- الهبة عقد تمليك يتم بالقبض.

وللموهوب له أن يتصرف في العين الموهوبة بالبيع والشراء وغيره، ويكون تصرفه نافذًا.

٤- هلاك العين أو استهلاكها مانع من الرجوع في الهبة.

٥- ليس للواهب إلا طلب رد العين إن كانت قائمة.

وللمالكية في ذلك تفصيل بين أن يكون العدول من جهته أو جهتها:

فإن كان العدول من جهته فلا رجوع له فيما أهداه؛ وإن كان العدول من جهتها فله الرجوع بكل ما أهداه، سواء أكان باقيًا على حاله، أو كان قد هلك، فيرجع ببدله إلا إذا كان عرف أو شرط، فيجب العمل به.

وعند الشافعية: ترد الهدية سواء أكانت قائمة أم هالكة؛ فإن كانت قائمة ردت هي ذاتها، وإلا ردت قيمتها. وهذا المذهب قريب مما ارتضيناه.

عقد الزواج:

الركن الحقيقي للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط.

ولما كان الرضا وتوافق الإرادة من الأمور النفسية التي لا يطلع عليها، كان لابد من التعبير الدال على التصميم على إنشاء الارتباط وإيجاده.

ويتمثل التعبير فيما يجري من عبارات بين المتعاقدين. فما صدر أولاً من أحد المتعاقدين للتعبير عن إرادته في إنشاء الصلة الزوجية يسمى إيجابًا،

ويقال إنه أوجب.

وما صدر ثانيًا من المتعاقد الآخر من العبارات الدالة على الرضا والموافقة يسمى قبولاً.

ومن ثم يقول الفقهاء: إن أركان الزواج الإيجاب والقبول.

شروط الإيجاب والقبول[1]:

ولا يتحقق العقد وتترتب عليه الآثار الزوجية، إلا إذا توافرت فيه الشروط الآتية:

١- تمييز المتعاقدين: فإن كان أحدهما مجنونًا أو صغيرًا لا يميز فإن الزواج لا ينعقد.

٢- اتحاد مجلس الإيجاب والقبول؛ بمعنى ألا يفصل بين الإيجاب والقبول بكلام أجنبي، أو بما يعد في العرف إعراضًا وتشاغلاً عنه بغيره.

ولا يشترط أن يكون القبول بعد الإيجاب مباشرة. فلو طال المجلس وتراخى القبول عن الإيجاب، ولم يصدر بينهما ما يدل على الإعراض؛ فالمجلس متحد. وإلى هذا ذهب الأحناف والحنابلة.

وفي المغني: إذا تراخى القبول عن الإيجاب صح، ما داما في المجلس، ولم يتشاغلا عنه بغيره.

لأن حكم المجلس حكم حالة العقد، بدليل القبض فيما يشترط القبض فيه. وثبوت الخيار في عقود المعاوضات.

فإن تفرقا قبل القبول بطل الإيجاب، فإنه لا يوجد معناه، فإن الإعراض قد وجد من جهته بالتفرق؛ فلا يكون مقبولاً.

وكذلك إن تشاغلا عنه بما يقطعه لأنه معرض عن العقد أيضًا بالاشتغال عن قبوله.

روي عن أحمد، في رجل مشى إليه قوم، فقالوا له: زوج فلانًا. قال: قد زوجته على ألف. فرجعوا إلى الزوج فأخبروه، فقال: قد قبلت، هل

---

(١) وتسمى شروط الانعقاد.

يكون هذا نكاحًا. قال نعم. ويشترط الشافعية الفور.

قالوا: فإن فصل بين الإيجاب والقبول بخطبة بأن قال الولي: زوجتك، وقال الزوج: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قبلت نكاحها؛ ففيه وجهان:

أحدهما: هو قول الشيخ أبي حامد الإسفراييني: أنه يصح؛ لأن الخطبة مأمور بها للعقد، فلم تمنع صحته كالتيمم بين صلاتي الجمع.

والثاني: لا يصح؛ لأنه فصل بين الإيجاب والقبول، فلم يصح. كما لو فصل بينهما بغير الخطبة.

ويخالف التيمم فإنه مأمور به بين الصلاتين، والخطبة مأمور بها قبل العقد. وأما مالك، فأجاز التراخي والسير بين الإيجاب والقبول.

وسبب الخلاف، هل من شرط الانعقاد وجود القبول بين المتعاقدين في وقت واحد معًا؟ أم ليس ذلك من شرطه؟

٣- ألا يخالف القبول الإيجاب إلا إذا كانت المخالفة إلى ما هو أحسن للموجب؛ فإنها تكون أبلغ في الموافقة.

فإذا قال الموجب: زوجتك ابنتي فلانة، على مهر قدره مائة جنيه، فقال القابل: قبلت زواجها على مائتين، انعقد الزواج؛ لاشتمال القبول على ما هو أصلح.

٤- سماع كل من المتعاقدين بعضهما من بعض ما يفهم أن المقصود من الكلام هو إنشاء عقد الزواج، وإن لم يفهم منه كل منهما معاني مفردات العبارة؛ لأن العبرة بالمقاصد والنيات.

ألفاظ الانعقاد[1]:

ينعقد الزواج بالألفاظ التي تؤدي إليه باللغة التي يفهمها كل من المتعاقدين، متى كان التعبير الصادر عنهما دالاً على إرادة الزوج، دون لبس أو إبهام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وينعقد النكاح بما عده الناس نكاحًا بأي

---

(١) الإيجاب والقبول.

لغة ولفظ وفعل كان، ومثله كل عقد[1].

وقد وافق الفقهاء على هذا بالنسبة للقبول، فلم يشترطوا اشتقاقه من مادة خاصة، بل يتحقق بأي لفظ يدل على الموافقة أو الرضا، مثل: قبلت، وافقت، أمضيت، نفذت.

أما الإيجاب فإن العلماء متفقون على أنه يصح بلفظ النكاح والتزويج، وما اشتق منهما مثل: زوجتك، أو أنكحتك؛ لدلالة هذين اللفظين صراحة على المقصود.

واختلفوا في انعقاده بغير هذين اللفظين، كلفظة الهبة أو البيع أو التمليك أو الصدقة.

فأجازه الأحناف[2] والثوري وأبو ثور وأبو عبيد وأبو داود.

لأنه عقد يعتبر فيه النية، ولا يشترط في صحته اعتبار اللفظ المخصوص؛ بل المعتبر في أي لفظ اتفق إذا فهم المعنى الشرعي منه أي إذا كان بينه وبين المعنى الشرعي مشاركة؛ لأن النبي ﷺ زوج رجلاً امرأة فقال: «**قد ملَكْتُكها بما معك من القرآن**» رواه البخاري.

ولأن لفظ الهبة انعقد به زواج النبي ﷺ، فكذلك ينعقد به زواج أمته، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

---

(١) الاختبارات العلمية ص١١٩.

(٢) قاعدة الأحناف أن عقد الزواج ينعقد بكل لفظ موضوع لتمليك العين في الحال بصفة دائمة، فلا ينعقد بلفظ الإحلال أو الإباحة، لأنه ليس فيهما ما يدل على التمليك، ولا بلفظ الإعارة والإجارة، لأن الحاصل بكل منهما تمليك منفعة العين، ولا بلفظ الوصية لأنها موضوعة لإفادة الملك بعد الموت.

ولأنه أمكن تصحيحه بمجازه، فوجب تصحيحه؛ كإيقاع الطلاق بالكنايات.

وذهب الشافعي وأحمد وسعيد بن المسيب وعطاء إلى أنه لا يصح إلا بلفظ التزويج أو الإنكاح وما اشتق منهما؛ لأن ما سواهما من الألفاظ كالتمليك والهبة لا يأتي على معنى الزواج؛ ولأن الشهادة عندهم شرط في الزواج، فإذا عقد بلفظ الهبة لم تقع على الزواج.

العقد بغير اللغة العربية:

اتفق الفقهاء على جواز عقد الزواج بغير اللغة العربية إذا كان العاقدان أو أحدهما لا يفهم العربية.

واختلفوا فيما إذا كانا يفهمان العربية ويستطيعان العقد بها:

قال ابن قدامة في المغني: ومن قدر على لفظ النكاح بالعربية لم يصح بغيرها، وهذا أحد قولي الشافعي.

وعند أبي حنيفة ينعقد؛ لأنه أتى بلفظه الخاص فانعقد به؛ كما ينعقد بلفظ العربية.

ولنا أنه عدل عن لفظ الإنكاح والتزويج مع القدرة فلم يصح كلفظ الإحلال.

فأما من لا يحسن العربية فيصح منه عقد النكاح بلسانه؛ لأنه عاجز عما سواه فسقط عنه: كالأخرس، ويحتاج أن يأتي بمعناهما الخاص بحيث يشتمل على معنى اللفظ العربي، وليس على من لا يحسن العربية تعلم ألفاظ النكاح بها.

وقال أبو الخطاب: عليه أن يتعلم؛ لأن ما كانت العربية شرطًا فيه لزمه أن يتعلمها مع القدرة، كالتكبير.

ووجه الأول أن النكاح غير واجب، فلم يجب تعلم أركانه بالعربية كالبيع بخلاف التكبير.

فإن كان أحد المتعاقدين يحسن العربية دون الآخر أتى الذي يحسن العربية بها، والآخر يأتي بلسانه.

فإن كان أحدهما لا يحسن لسان الآخر احتاج أن يعلم أن اللفظة التي أتى بها صاحبه لفظة الإنكاح أن يخبره بذلك ثقة يعرف اللسانين جميعًا.

والحق الذي يبدو لنا أن هذا تشدد، ودين الله يسر، وسبق أن قلنا: إن الركن الحقيقي هو الرضا. والإيجاب والقبول ما هما إلا مظهران لهذا الرضا ودليلان عليه.

فإذا وقع الإيجاب والقبول كان ذلك كافيًا، مهما كانت اللغة التي أديا بها.

قال ابن تيمية: إنه أي النكاح وإن كان قربة، فإنما هو كالعتق والصدقة، لا يتعين له لفظ عربي ولا عجمي.

ثم إن الأعجمي إذا تعلم العربية في الحال ربما لا يفهم المقصود من ذلك اللفظ كما يفهم من اللغة التي اعتادها.

نعم. لو قيل: تكره العقود بغير العربية لغير حاجة، كما يكره سائر أنواع الخطاب بغير العربية لغير حاجة، لكان متوجهًا.

كما روي عن مالك وأحمد والشافعي ما يدل على كراهية اعتياد المخاطبة بغير العربية لغير حاجة.

زواج الأخرس:

ويصح زواج الأخرس بإشارته إن فهمت كما يصح بيعه، لأن الإشارة معنى مفهم. وإن لم تفهم إشارته لا يصح منه؛ لأن العقد بين شخصين؛ ولابد من فهم كل واحد منهما ما يصدر من صاحبه[(١)].

عقد الزواج للغائب:

إذا كان أحد طرفي العقد غائبًا وأراد أن يعقد الزواج فعليه أن يرسل رسولاً أو يكتب كتابًا إلى الطرف الآخر يطلب الزواج.

---

(١) جاء في لائحة ترتيب المحاكم الشرعية والإجراءات المتعلقة بها مادة (١٢٨) إقرار الأخرس يكون بإشارته المعهودة، ولا يعتبر إقراره بالإشارة إذا كان يمكنه الإقرار بالكتابة.

وعلى الطرف الآخر -إذا كان له رغبة في القبول- أن يحضر الشهود ويسمعهم عبارة الكتاب أو رسالة الرسول، ويشهدهم في المجلس على أنه قبل الزواج، ويعتبر القبول مقيدًا بالمجلس.

شروط صيغة العقد:

اشترط الفقهاء لصيغة الإيجاب والقبول: أن تكون بلفظين وضعا للماضي، أو وضع أحدهما للماضي والآخر للمستقبل.

فمثال الأول: أن يقول العاقد الأول: زوجتك ابنتي، ويقول القابل: قبلت.

ومثال الثاني: أن يقول الخاطب أزوجك ابنتي، فيقول له: قبلت.

وإنما اشترطوا ذلك؛ لأن تحقق الرضا من الطرفين وتوافق إرادتهما هو الركن الحقيقي لعقد الزواج، والإيجاب والقبول مظهران لهذا الرضا كما تقدم.

ولابد فيهما من أن يدلا دلالة قطعية على حصول الرضا وتحققه فعلاً وقت العقد.

والصيغة التي استعملها الشارع لإنشاء العقود هي صيغة الماضي، لأن دلالتها على حصول الرضا من الطرفين قطعية. ولا تحتمل أي معنى آخر.

الجهاز[1]

الجهاز هو الأثاث الذي تعده الزوجة هي وأهلها ليكون معها في البيت، إذا دخل بها الزوج.

وقد جرى العرف، على أن تقوم الزوجة، وأهلها، بإعداد الجهاز وتأثيث البيت، وهو أسلوب من أساليب إدخال السرور على الزوجة بمناسبة زفافها.

وقد روى النسائي عن علي ﷺ قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في

---

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق رحمه الله.

خميل[1]، وقربة، ووسادة حشوها إذخر.

وهذا مجرد عرف جرى عليه الناس.

وأما المسئول عن إعداد البيت إعدادًا شرعيًا، وتجهيز كل ما يحتاج له من الأثاث، والفرش، والأدوات، فهو الزوج؛ والزوجة لا تسأل عن شيء من ذلك، مهما كان مهرها، حتى ولو كان زيادة المهر من أجل الأثاث؛ لأن المهر إنما تستحقه الزوجة في مقابل الاستمتاع بها، لا من أجل إعداد الجهاز لبيت الزوجية، فالمهر حق خالص لها، ليس لأبيها، ولا لزوجها، ولا لأحد حق فيه.

وقد رأى المالكية: أن المهر ليس حقًا خالصًا للزوجة، ولهذا لا يجوز لها أن تنفق منه على نفسها، ولا تقضي منه دينًا عليها، وإن كان للمحتاجة أن تنفق منه، وتلتمس بالشيء القليل بالمعروف، وأن تقضي منه الدين القليل كالدينار إذا كان المهر كثيرًا.

وإنما ليس لها شيء من ذلك الذي ذكرناه، لأن عليها أن تتجهز لزوجها بالمعروف، أي بما جرت به العادة في الجهاز مثلها لمثله بما قبضته من المهر قبل الدخول، إن كان حالا، أو بما تقبضه منه إذا كان مؤجلاً، وحل الأجل قبل الدخول بها، فإن تأخر قبض شيء من المهر حتى دخل زوجها بها، لم يكن عليها أن تتجهز بشيء مما تقبضه من بعد إلا إذا كان ذلك مشروطًا، أو جرى به العرف.

وقد استوحى واضعو مشروع قانون الأحوال الشخصية، مذهب الإمام مالك في هذه الناحية، فقد جاء في المادة رقم (٦٦) منه: «إن الزوجة تلتزم بتجهيز نفسها بما يتناسب وما تعجل من مهر قبل الدخول، ما لم يتفق على غير ذلك، فإذا لم يعجل شيء من المهر فلا تلتزم بالجهاز، إلا بمقتضى

---

(١) الخميل: القطيفة، وهي كل ثوب له خميل ووبر من أي شيء. والإذخر: نبت طيب الرائحة تحشى به الوسائد.

الاتفاق أو العرف»[1].

والجهاز إذا اشترته الزوجة بمالها، أو اشتراه لها أبوها فهو ملك خالص لها، ولا حق للزوج ولا لغيره فيه، ولها أن تمكن زوجها وضيوفه من الانتفاع به؛ كما أن لها أن تمتنع عن التمكين من الانتفاع، وإذا امتنعت لا تجبر عليه.

وقال مالك: يجوز للزوج أن ينتفع بجهاز زوجته الانتفاع الذي جرى به العرف.

المهر

من حسن رعاية الإسلام للمرأة واحترامه لها، أن أعطاها حقها في التملك؛ إذ كانت في الجاهلية مهضومة الحق مهيضة الجناح؛ حتى أن وليها كان يتصرف في خالص مالها، لا يدع لها فرصة التملك، ولا يمكنها من التصرف.

فكان أن رفع الإسلام عنها هذا الإصر؛ وفرض لها المهر، وجعله حقًا على الرجل لها، وليس لأبيها، ولا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئًا منها إلا في حال الرضا والاختيار قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء: ٤].

وآتوا النساء مهورهن عطاء مفروضًا لا يقابله عوض، فإن أعطين شيئًا من المهر بعد ما ملكن من غير إكراه ولا حياء ولا خديعة، فخذوه سائغًا، لا غصة فيه، ولا إثم معه.

فإذا أعطت الزوجة شيئًا من مالها حياء، أو خوفًا، أو خديعة؛ فلا يحل أخذه. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية للدكتور يوسف موسى ص٢١٤.

وهذا المهر المفروض للمرأة، كما أنه يحقق هذا المعنى، فهو يطيب نفس المرأة ويرضيها بقوامة الرجل عليها.

قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ [النساء: ٣٤]، مع ما يضاف إلى ذلك من توثيق الصلات، وإيجاد أسباب المودة والرحمة.

قدر المهر:

لم تجعل الشريعة حدًا لقلته، ولا لكثرته، إذ الناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق، ولكل جهة عاداتها وتقاليدها، فتركت التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته، وحسب حالته، وعادات عشيرته، وكل النصوص جاءت تشير إلى أن المهر لا يشترط فيه إلا أن يكون شيئًا له قيمة؛ بقطع النظر عن القلة والكثرة؛ فيجوز أن يكون خاتمًا من حديد، أو قدحًا من تمر أو تعليمًا لكتاب الله، وما شابه ذلك، إذا تراضى عليه المتعاقدان.

١- فعن عامر بن ربيعة أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله ﷺ: «**أرضيت عن نفسك ومالك بنعلين؟** فقالت: نعم. فأجازه». رواه أحمد وابن ماجه، والترمذي، وصححه.

٢- وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني وهبت نفسي لك، فقامت قيامًا طويلاً، فقام رجل، فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله ﷺ: «**هل عندك من شيء تُصدقها إياه؟** فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال النبي ﷺ: **إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك، فالتمس شيئًا**، فقال: ما أجد شيئًا، **فقال: التمس ولو خاتمًا من حديد**، فالتمس فلم يجد شيئًا، فقال له النبي ﷺ: **هل معك من القرآن شيء؟** قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا، لسور يسميها، فقال النبي ﷺ: **قد زَوَّجْتُكَهَا بما معك من القرآن**». رواه البخاري ومسلم.

وقد جاء في بعض الروايات الصحيحة: «**علمها من القرآن**».

وفي رواية أبي هريرة: أنه قدر ذلك بعشرين آية.

٣- وعن أنس، أن أبا طلحة خطب أم سليم، فقال: والله ما مثلك يرد؛ ولكنك كافر وأنا مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري، ولا أسألك غيره، فكان ذلك مهرها.

فدلت هذه الأحاديث على جواز جعل المهر شيئًا قليلاً، وعلى جواز جعل المنفعة مهرًا، وأنَّ تعلم القرآن من المنفعة.

وقد قدر الأحناف أقل المهر بعشرة دراهم، كما قدره المالكية بثلاثة، وهذا التقدير لا يستند إلى دليل يعول عليه، ولا حجة يعتد بها.

قال الحافظ: وقد وردت أحاديث في أقل الصداق لا يثبت منها شيء، وقال ابن القيم -تعليقًا على ما تقدم من الأحاديث- وهذا هو الذي اختارته أم سليم من انتفاعها بإسلام أبي طلحة وبذل نفسها له إن أسلم. وهذا أحب إليها من المال الذي يبذله الزوج، فإن الصداق شرع في الأصل حقًا للمرأة تنتفع به، فإذا رضيت بالعلم والدين، وإسلام الزوج، وقراءته القرآن- كان هذا من أفضل المهور، وأنفعها، وأجلها. فما خلا العقد عن مهر. وأين الحكم بتقدير المهر بثلاثة دراهم، أو عشرة من النص، والقياس، إلا الحكم بصحة كون المهر ما ذكرنا نصًا وقياسًا. وليس هذا مستويًا بين هذه المرأة وبين الموهوبة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ؛ وهي خالصة له من دون المؤمنين، فإن تلك وهبت نفسها هبة مجردة من ولي وصداق، بخلاف ما نحن فيه فإنه نكاح بولي وصداق، وإن كان غير مالي. فإن المرأة جعلته عوضًا عن المال؛ لما يرجع إليها من منفعة، ولم تهب نفسها للزوج هبة مجردة؛ كهبة شيء من مالها بخلاف الموهوبة التي خص الله بها رسوله ﷺ.

هذا مقتضى هذه الأحاديث، وقد خالف في بعضه من قال: لا يكون الصداق إلا مالاً، ولا يكون منافع أخر، ولا علمه ولا تعليمه صداقًا كقول أبي حنيفة، وأحمد رحمهما الله في رواية عنه.

ومن قال: لا يكون أقل من ثلاثة دراهم كمالك رحمه الله وعشرة دراهم كأبي حنيفة رحمه الله.

وفيه أقوال أخرى شاذة لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، ولا إجماع، ولا قياس، ولا قول صاحب.

ومن ادعى في هذه الأحاديث التي ذكرناها، اختصاصها بالنبي ﷺ وأنها منسوخة، أو أن عمل أهل المدينة على خلافها فدعوى لا يقوم عليها دليل، والأصل بردها. وقد زوج سيد أهل المدينة من التابعين -سعيد بن المسيب- ابنته على درهمين ولم ينكر عليه أحد، بل عد ذلك من مناقبه وفضائله، وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على صداق خمسة دراهم وأقره النبي ﷺ ولا سبيل إلى إثبات المقادير إلا من جهة صاحب الشرع.

أما من حيث الكثرة؛ فإنه لا حد لأكثر المهر.

فعن عمر رضي الله عنه: أنه نهى وهو على المنبر، أن يزاد في الصداق على أربعمائة درهم. ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾.

فقال: اللهم عفوًا، كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع، فركب المنبر، فقال: «إني كنت قد نهيتكم أن تزيدوا في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب» رواه سعيد بن منصور، وأبو يعلى بسند جيد.

وعن عبد الله بن مصعب أن عمر قال: «لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية من فضة، فمن زاد أوقية جعلت الزيادة في بيت المال» فقالت امرأة: ما ذاك لك، قال: ولم؟ فقالت: لأن الله تعالى يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾.

فقال عمر: امرأة أصابت، ورجل أخطأ.

كراهة المغالاة في المهور:

ومهما يكن من شيء فإن الإسلام يحرص على إتاحة فرص الزواج

لأكثر عدد ممكن من الرجال والنساء؛ ليستمتع كل بالحلال الطيب. ولا يتم ذلك إلا إذا كانت وسيلته مذللة، وطريقته ميسرة. بحيث يقدر عليه الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير، ولا سيما أنهم الأكثرية، فكره الإسلام التغالي في المهور، وأخبر أن المهر كلما كان قليلاً كان الزواج مباركًا، وأن قلة المهر من يمن المرأة.

فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**إن أعظم النكاح بركة، أيسره مؤنة**».

وقال: «**يمن المرأة خفة مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها**».

وكثير من الناس جهل هذه التعاليم، وحاد عنها وتعلق بعادات الجاهلية من التغالي في المهور، ورفض التزويج إلا إذا دفع الزوج قدرًا كبيرًا من المال يرهقه، ويضايقه؛ كأن المرأة سلعة يساوم عليها، ويتجر بها.

وقد أدى ذلك إلى كثرة الشكوى، وعانى الناس من أزمة الزواج التي أضرت بالرجال والنساء على السواء، ونتج عنها كثير من الشرور والمفاسد، وكسدت سوق الزواج، وأصبح الحلال أصعب منالاً من الحرام.

تعجيل المهر وتأجيله:

يجوز تعجيل المهر وتأجيله، أو تعجيل البعض، وتأجيل البعض الآخر، حسب عادات النساء، وعرفهم. ويستحب تعجيل جزء منه؛ لما روى ابن عباس: أن النبي ﷺ منع عليًا أن يدخل بفاطمة حتى يعطيها شيئًا. فقال: ما عندي شيء. فقال: فأين درعك الحطمية؟ فأعطاه إياها. رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم صححه.

وروى أبو داود، وابن ماجه عن عائشة قالت: «أمرني رسول الله ﷺ أن أدخل امرأة على زوجها قبل أن يعطيها شيئًا».

فهذا الحديث يدل على أنه يجوز دخول المرأة قبل أن يقدم لها شيئًا من المهر.

وحديث ابن عباس يدل على أن المنع كان على سبيل الندب.

قال الأوزاعي: كانوا يستحسنون ألا يدخل عليها حتى يقدم لها شيئًا.

وقال الزهري: بلغنا في السنة ألا يدخل بامرأة حتى يقدم يكسو كسوة. ذلك مما عمل به المسلمون.

وللزوج أن يدخل على زوجته، وعليها أن تسلم نفسها إليه، ولا تمتنع عليه ولو لم يعطها ما اشترط تعجيله لها من المهر- وإن كان يحكم لها به.

قال ابن حزم: ومن تزوج فسمى صداقًا أو لم يسم فله الدخول بها أحبت أم كرهت، ويقضي لها بما سمى لها؛ أحب أم كره، ولا يمنع من أجل ذلك من الدخول بها، لكن يقضى له عاجلاً بالدخول ويقضى لها عليه حسب ما يوجد عنده من الصداق. فإن كان لم يسم لها شيئًا قضي عليه بمهر مثلها؛ إلا أن يتراضيا بأقل أو أكثر.

وقال أبو حنيفة: إن له أن يدخل بها أحبت أم كرهت، إن كان مهرها مؤجلاً لأنها هي التي رضيت بالتأجيل وهذا لا يسقط حقه. وإن كان معجلاً كله أو بعضه لم يجز له أن يدخل بها حتى يؤدي إليها ما اشترط لها تعجيله، ولها أن تمنع نفسها منه حتى يوفيها ما اتفقوا على تعجيله.

قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن للمرأة أن تمتنع من دخول الزوج عليها حتى يعطيها مهرها، وقد ناقش صاحب المحلى هذا الرأي، فقال:

لا خلاف بين أحد من المسلمين في أنه من حين يعقد عليها الزواج فإنها زوجة له. فهو حلال لها، وهي حلال له، فمن منعها منه حتى يعيطها الصداق أو غيره، فقد حال بينه وبين امرأته، بلا نص من الله تعالى ولا من رسوله ﷺ.

لكن الحق ما قلنا: ألا يمنع حقه منها ولا تمنع هي حقها من صداقها، لكن له الدخول عليها -أحبت أم كرهت- ويؤخذ مما يوجد له صداقها، أحب أم كره.

وصح عن النبي ﷺ قوله: «**أعط كل ذي حق حقه**».

متى يجب المهر المسمى كله:

يجب المهر المسمى كله في إحدى الحالات الآتية:

١- إذا حصل الدخول الحقيقي لقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

٢- إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول، وهو مجمع عليه.

٣- ويرى أبو حنيفة: أنه إذا اختلى بها خلوة صحيحة؛ استحقت الصداق المسمى، وذلك بأن ينفرد الزوجان في مكان يأمنان فيه اطلاع أحد عليهما، ولم يكن بأحد منهما مانع شرعي؛ مثل أن يكون أحدهما صائمًا صيام فرض عليه، أو تكون حائضًا، أو مانع حسي؛ مثل مرض أحدهما مرضًا لا يستطيع معه الدخول الحقيقي، أو مانع طبيعي بأن يكون معهما ثالث.

واستدل أبو حنيفة بما رواه أبو عبيدة عن زائدة بن أبي أوفى، قال: «قضى الخلفاء الراشدون المهديون أنه إذا أغلق الباب، وأرخي الستر، فقد وجب الصداق».

وروى وكيع عن نافع بن جبير قال: «كان أصحاب رسول الله يقولون: إذا أرخي الستر وأغلق الباب، فقد وجب الصداق».

ولأن التسليم المستحق وجد من جهتها فيستقر به البدل.

وخالف في ذلك الشافعي، ومالك وداود فقالوا: لا يستقر المهر كله إلا بالوطء[1]، ولا يجب بالخلوة الصحيحة إلا نصف المهر؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

---

(١) إلا أن مالكًا قال: إذا بنى عليها وطالت هذه الخلوة، فإن المهر يستقر وإن لم يطأ. وحدده ابن قاسم من أتباعه بعام.

أي أن نصف ما فرض من المهر يجب إذا وقع الطلاق قبل المسيس الذي هو الدخول الحقيقي، وفي حالة الخلوة لم يقع مسيس، فلا يجب المهر كله.

قال شريح: «لم أسمع الله ذكر في كتابه باباً، ولا سترًا، إذا زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق».

وروى سعيد بن منصور عن ابن عباس أنه كان يقول في رجل دخلت عليه امرأته، ثم طلقها، فزعم أنه لم يمسها: عليه نصف الصداق.

وروى عبد الرزاق عنه قال: لا يجب الصداق وافيًا حتى يجامعها.

وجوب المهر المسمى بالدخول في الزواج الفاسد:

إذا عقد الرجل على المرأة، ودخل بها؛ ثم تبين فساد الزواج لسبب من الأسباب، وجب المهر المسمى كله، لما رواه أبو داود: أن بصرة بن أكثم تزوج امرأة بكرًا في كسرها فدخل عليها، فإذا هي حبلى فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**لها الصداق بما استحللت من فرجها**» وفرق بينهما.

ففي هذا الحديث وجوب المهر المسمى في النكاح الفاسد كما أنه تضمن فساد النكاح وبطلانه إذا تزوجها فوجدها حبلى من الزنا.

الزواج بغير ذكر المهر:

الزواج بغير ذكر المهر، ويسمى «زواج التفويض» يصح في قول عامة أهل العلم، لقول الله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

ومعنى الآية: أنه لا إثم على من طلق زوجته قبل المسيس، وقبل أن يفرض لها مهرًا.

فإذا تزوج بغير ذكر المهر؛ واشترط أن لا مهر عليه فقيل: إن الزواج غير صحيح، وإلى هذا ذهبت المالكية وابن حزم. قال: وأما لو اشترط فيه أن لا صداق، فهو مفسوخ، لقول رسول الله ﷺ: «**كل شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل**»

وهذا شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل، بل في كتاب الله عز وجل إبطاله، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً﴾ [النساء: ٤].

فإذن هو باطل، فالنكاح المذكور لم تنعقد صحته إلا على تصحيح ما لا يصح، فهو نكاح لا صحة له.

وذهبت الأحناف إلى القول بالجواز؛ إذ المهر ليس ركنًا ولا شرطًا في عقد الزواج.

وجوب مهر المثل بالدخول أو بالموت قبله:

وإذا دخل بها الزوج، أو مات قبل الدخول بها؛ في هذه الحال، فللزوجة مهر المثل والميراث؛ لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود أنه قال في مثل هذه المسألة: أقول فيها برأيي -فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأ فمني: أرى لها صداق امرأة من نسائها: لا وكس، ولا شطط[1]، وعليها العدة؛ ولها الميراث، فقام معقل بن يسار، فقال: أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله ﷺ في بروع بنت واشق.

وإلى هذا ذهب أبو حنيفة، وأحمد، وداود، وأصح قولي الشافعي.

مهر المثل:

مهر المثل هو المهر الذي تستحقه المرأة، مثل مهر من يماثلها وقت العقد في السن، والجمال، والمال، والعقل، والدين، والبكارة، والثيوبة، والبلد، وكل ما يختلف لأجله الصداق، كوجود الولد أو عدم وجوده؛ إذ أن قيمة المهر للمرأة تختلف عادة باختلاف هذه الصفات.

والمعتبر في المماثلة من جهة عصبتها كأختها وعمتها وبنات أعمامها.

وقال أحمد: هو معتبر بقراباتها من العصبات وغيرهم من ذوي أرحامها.

وإذا لم توجد امرأة من أقرباتها من جهة الأب متصفة بأوصاف الزوجة التي نريد تقدير مهر المثل لها، كان المعتبر مهر امرأة أجنبية من أسرة تماثل

---

(١) لا وكس: لا نقص عن مهر نسائها. ولا شطط: ولا زيادة.

أسرة أبيها.

زواج الصغيرة بأقل من مهر المثل:

ذهب الشافعي، وداود، وابن حزم، والصاحبان[(١)]، من الأحناف، إلى أنه لا يجوز للأب أن يزوج ابنته الصغيرة بأقل من مهر مثلها، ولا يلزمها حكم أبيها في ذلك، وتبلغ إلى مهر مثلها ولابد، إذ أن المهر حق لها، ولا حكم لأبيها في مالها.

وقال أبو حنيفة: إذا زوج الأب ابنته الصغيرة، ونقص من مهرها، جاز ذلك عليها، ولا يجوز ذلك لغير الأب والجد.

تشطير المهر:

يجب على الزوج نصف المهر إذا طلق زوجته قبل الدخول بها، وكان قد فرض لها قدر الصداق؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ[(٢)] أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ[(٣)] وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وجوب المتعة:

إذا طلق الرجل زوجته قبل الدخول، ولم يفرض لها صداقًا، وجب عليه المتعة تعويضًا لها عما فاتها.

وهذا نوع من التسريح الجميل، والتسريح بإحسان، قال الله تعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقد أجمع العلماء على أن التي لم يفرض لها، ولم يدخل بها؛ لا شيء لها غير المتعة.

والمتعة تختلف باختلاف ثروة الرجل.

---

(١) الصاحبان: أي صاحبا أبي حنيفة محمد بن الحسن الشيباني، والقاضي أبو يوسف.

(٢) يعفون: أي النساء المكلفات.

(٣) بيده عقدة النكاح: هو الزوج وقيل هو الولي.

وليس لها حد معين، قال الله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ[١] قَدَرُهُۥ[٢] وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ[٣] قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ[٤] ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

سقوط المهر:

ويسقط المهر كله عن الزوج، فلا يجب عليه شيء للزوجة في كل فرقة كانت قبل الدخول من قبل المرأة؛ كأن ارتدت عن الإسلام، أو فسخت العقد لإعساره، أو عيبه، أو فسخه هو بسبب عيبها، أو بسبب خيار البلوغ.

ولا يجب لها متعة، لأنها أتلفت المعوض قبل تسليمه، فسقط البدل كله كالبائع يتلف المبيع قبل تسليمه.

ويسقط المهر كذلك، إذا أبرأته قبل الدخول بها أو وهبته له؛ فإنه في هذه الحال يسقط بإسقاطها له. وهو حق خالص لها.

الزيادة على الصداق بعد العقد:

قال أبو حنيفة: إن الزيادة على الصداق بعد العقد ثابتة إن دخل بالزوجة، أو مات عنها فأما إن طلقها قبل الدخول، فإنها لا تثبت، وكان لها نصف المسمى فقط[٥].

وقال مالك: الزيادة ثابتة إن دخل بها، فإن طلقها قبل الدخول فلها نصفها مع نصف المسمى. وإن مات قبل الدخول وقبل القبض بطلت، وكان لها المسمى بالعقد.

وقال الشافعي: هي هبة مستأنفة، إن قبضها جازت وإن لم يقبضها بطلت.

وقال أحمد: حكمها حكم الأصل.

---

(١) الموسع: ذو السعة وهي البسطة والغنى.

(٢) قدره: طاقته.

(٣) المقتر الفقير قليل المال.

(٤) متاعًا بالمعروف: المعروف ما يتعارف عليه الناس بينهم.

(٥) هذا ما جرى عليه العمل.

مهر السر ومهر العلانية:

إذا اتفق العاقدان في السر على مهر، ثم تعاقدا في العلانية بأكثر منه، ثم اختلفا إلى القضاء فبمَ يحكم القاضي؟

قال أبو يوسف: يحكم بما اتفقا عليه سرًا؛ لأنه يمثل الإرادة الحقيقية وهو مقصد العاقدين.

وقيل: يحكم بمهر العلانية؛ لأنه هو المذكور في العقد، وما كان سرًا فعلمه إلى الله، والحكم يتبع الظاهر.

وهو مذهب أبي حنيفة، ومحمد، وظاهر قول أحمد في رواية الأثرم، وقول الشعبي وابن أبي ليلى، وأبي عبيد.

قبض المهر:

إذا كانت الزوجة صغيرة، فللأب قبض صداقها؛ لأنه يلي مالها، فكان له قبضه كثمن مبيعها.

وإن لم يكن لها أب ولا جد، فلوليها المالي قبض صداقها، ويودعه في المحاكم الحسبية، ولا يتصرف فيه إلا بإذن من المحكمة المختصة.

أما صداق الثيب الكبيرة، فلا يقبضه إلا بإذنها، إذا كانت رشيدة، لأنها المتصرفة في مالها.

والأب إذا قبض المهر بحضرتها، اعتبر ذلك إجازة منها بالقبض إذا سكتت، وتبرأ ذمة الزوج؛ لأن إذنها في قبض صداقها كثمن مبيعها.

وفي البكر البالغة العاقلة أن الأب لا يقبض صداقها إلا بإذنها إذا كانت رشيدة[1]، كالثيب.

وقيل: له قبضه بغير إذنها، لأنها العادة، ولأنها تشبه الصغيرة.

---

(١) سن الرشد بمقتضى القوانين المصرية إحدى وعشرون سنة.

إعلان الزواج

يستحسن شرعًا إعلان الزواج، ليخرج بذلك عن نكاح السر المنهي عنه، وإظهارًا للفرح بما أحل الله من الطيبات، وإن ذلك عمل حقيق بأن يشتهر؛ ليعلمه الخاص والعام، والقريب والبعيد، وليكون دعاية تشجع الذين يؤثرون العزوبة على الزواج، فتروج سوق الزواج.

والإعلان يكون بما جرت به العادة، ودرج عليه عرف كل جماعة، بشرط ألا يصحبه محظور نهى الشارع عنه كشرب الخمر، أو اختلاط الرجال بالنساء، ونحو ذلك.

١- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه الدفوف**» رواه أحمد، والترمذي، وحسنه.

٢- وروى الترمذي، وحسنه، والحاكم وصححه عن يحيى بن سليم قال: قلت لمحمد بن حاطب: تزوجت امرأتين ما كان في واحدة منهما صوت -يعني دفًا- فقال محمد ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف**».

الغناء عند الزواج:

ومما أباحه الإسلام وحبب فيه، الغناء عند الزواج، ترويحًا للنفوس وتنشيطًا لها باللهو البريء، ويجب أن يخلو من المجون، والخلاعة، والميوعة، وفحش القول وهجره.

١- فعن عامر بن سعد ﷺ قال: دخلت على قرظة بن كعب، وأبي مسعود الأنصاري في عرس، وإذا جوار يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله، ومن أهل بدر- يُفعل هذا عندكم!! فقالا: إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت فاذهب، قد رخص لنا في اللهو عند العرس. رواه النسائي والحاكم وصححه.

٢- وزَفَّت السيدة عائشة رضي الله عنها الفارعة بنت أسعد، وسارت معها في زفافها إلى بيت زوجها -نبيط بن جابر الأنصاري- فقال النبي ﷺ:

«يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو» رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

وفي بعض روايات هذا الحديث أنه قال: «**فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف، وتغني؟**» قالت عائشة: تقول ماذا يا رسول الله؟ قال: تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم

وعن الربيع بنت معوذ قالت: جاء النبي ﷺ حين بُني [(١)] بي، فجلس على فراشي، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف. ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر [(٢)] إذ قالت إحداهن:

وفينا نبي يعلم ما في غد ....

فقال: «**دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين**»[(٣)] رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

وصايا الزوجة[(٤)]

استحباب وصية الزوجة:

قال أنس: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة على زوجها، يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه.

وصية الأب ابنته عند الزواج:

وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: «إياك والغيرة، فإنها

---

(١) تزوجت.

(٢) يذكرن صفات الشجاعة والبأس وما تحلوا به من الكرم والمروءة، وكان أبوها معوذ وعماها عوف ومعاذ قتلوا في بدر.

(٣) نهاها عن ذلك لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، وجاء في حديث آخر أنه ﷺ قال: «**لا يعلم ما في غد إلا الله سبحانه**» رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٤) فقه السنة للسيّد سابق.

مفتاح الطلاق. وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء».

وصية الزوج زوجته:

وقال أبو الدرداء لامرأته: «إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبى رضيتك، وإلا لم نصطحب».

وقال أحد الأزواج لزوجته:

خـــذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقـــريني نقـــرك الـــدف مرة ... فإنـــك لا تـــدرين كيف المغيَّب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى ... ويأبـــاك قلـــبي، والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجـــتمعا لم يلبث الحب يذهب

وصية الأم ابنتها عند الزواج:

خطب عمرو بن حجر ملك كندة، أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني، ولما حان زفافها إليه خلت بها أمها أمامة بنت الحارث، فأوصتها وصية، تبين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة، وما يجب عليها لزوجها فقالت: أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتهما إليها- كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا، فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا.

واحفظي له خصالاً عشرًا، يكن لك ذخرًا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء[١] على حشمه[٢] وعياله، وملاك[٣] الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا، ولا تفشين له سرًّا، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتمًّا، والكآبة بين يديه إن كان فرحًا.

الكفاءة في الزواج

تعريفها:

الكفاءة: هي المساواة، والمماثلة، والكفء والكفاء، والكفء: المثل والنظير.

والمقصود بها في باب الزواج أن يكون الزوج كفئًا لزوجته، أي مساويًا لها في المنزلة، ونظيرًا لها في المركز الاجتماعي، والمستوى الخلقي والمالي.

وما من شك في أنه كلما كانت منزلة الرجل مساوية لمنزلة المرأة؛ كان ذلك أدعى لنجاح الحياة الزوجية، وأحفظ لها من الفشل والإخفاق.

حكمها:

ولكن ما حكم هذه الكفاءة؟ وما مدى اعتبارها؟ أما ابن حزم، فذهب إلى عدم اعتبار هذه الكفاءة، فقال: «أي مسلم -ما لم يكن زانيًا- فله الحق في أن يتزوج أية مسلمة؛ ما لم تكن زانية».

قال: وأهل الإسلام كلهم إخوة لا يحرم على ابن من زنجية لغيّة[٤] نكاح لابنة الخليفة الهاشمي، والفاسق المسلم الذي بلغ الغاية من الفسق -ما

---

(١) الإرعاء: الرعاية.

(٢) حشمه: خدمه.

(٣) ملاك: عماد.

(٤) لغية: غير معروفة النسب.

لم يكن زانيًا- كفء للمسلمة الفاسقة ما لم تكن زانية.

قال والحجة قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله عز وجل مخاطبًا جميع المسلمين: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣].

وذكر عز وجل ما حرم علينا من النساء، ثم قال سبحانه: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤].

وقد أنكح رسول الله ﷺ زينب أم المؤمنين زيدًا مولاه؛ وأنكح المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب.

قال: وأما قولنا في الفاسق والفاسقة فيلزم من خالفنا ألا يجيز للفاسق أن ينكح إلا فاسقة، وأن لا يجيز للفاسقة أن ينكحها إلا فاسق؛ وهذا لا يقوله أحد؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

اعتبار الكفاءة بالاستقامة والخلق:

وذهب جماعة إلى أن الكفاءة معتبرة، ولكن اعتبارها بالاستقامة والخلق خاصة، فلا اعتبار لنسب، ولا لصناعة، ولا لغنى، ولا لشيء آخر، فيجوز للرجل الصالح الذي لا نسب له أن يتزوج المرأة النسيبة، ولصاحب الحرفة الدنيئة أن يتزوج المرأة الرفيعة القدر، ولمن لا جاه له أن يتزوج صاحبة الجاه والشهرة؛ وللفقير أن يتزوج المثرية الغنية -مادام مسلمًا عفيفًا- وأنه ليس لأحد من الأولياء الاعتراض، ولا طلب التفريق. وإن كان غير مستو في الدرجة مع الولي الذي تولى العقد مادام الزواج كان عن رضى منها، فإذا لم يتوفر شرط الاستقامة عند الرجل فلا يكون كفئًا للمرأة الصالحة؛ ولها الحق في طلب فسخ العقد إذا كانت بكرًا وأجبرها أبوها على الزواج من الفاسق.

وفي بداية المجتهد[1]: ولم يختلف المذهب -المالكية- أن البكر إذا زوجها

---

(١) لأبي الوليد بن رشد.

الأب من شارب الخمر، وبالجملة من فاسق، أن لها أن تمنع نفسها من النكاح، وينظر الحاكم في ذلك، فيفرق بينهما، وكذلك إذا زوجها ممن ماله حرام، أو ممن هو كثير الحلف بالطلاق؛ واستدل أصحاب هذا المذهب بما يأتي:

١- إن الله تعالى قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ففي هذه الآية تقرير أن الناس متساوون في الخلق، وفي القيمة الإنسانية، وأنه لا أحد أكرم من أحد إلا من حيث تقوى الله عز وجل؛ بأداء حق الله وحق الناس.

٢- وروى الترمذي بإسناد حسن عن أبي حاتم المزني، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**؛ قالوا يا رسول الله وإن كان فيه؟ قال: **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه** -ثلاث مرات-».

ففي هذا الحديث توجيه الخطاب إلى الأولياء أن يزوجوا مولياتهم من يخطبهن من ذوي الدين والأمانة والخلق؛ وإن لم يفعلوا ذلك بعدم تزويج صاحب الخلق الحسن، ورغبوا في الحسب، والنسب، والجاه، والمال؛ كانت الفتنة والفساد الذي لا آخر له.

٣- وروى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يا بني بياضة أنكحوا أبا هند، وأنكحوا إليه**»(١) وكان حجامًا.

قال في معالم السنن: في هذا الحديث حجة لمالك ومن ذهب مذهبه في الكفاءة بالدين وحده دون غيره؛ وأبو هند مولى بني بياضة، ليس من أنفسهم.

٤- وخطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة،

---

(١) أي زوجوه وتزوجوا منه.

فامتنعت، وامتنع أخوها عبد الله، لنسبها في قريش، وأنها كانت بنت عمة النبي ﷺ؛ أمها أميمة بنت عبد المطلب؛ وأن زيدًا كان عبدًا، فنزل قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فقال أخوها لرسول الله ﷺ: مرني بما شئت، فزوجها من زيد.

٥- وزوج أبو حذيفة سالمًا من هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار.

٦- وتزوج بلال بن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف.

٧- وسئل الإمام علي كرم الله وجهه عن حكم زواج الأكفاء، فقال: الناس بعضهم أكفاء لبعض، عربيهم وعجميهم، قرشيهم وهاشميهم إذا أسلموا وآمنوا، وهذا مذهب المالكية.

قال الشوكاني: ونقل عن عمر، وابن مسعود، وعن محمد بن سيرين، وعمر بن عبد العزيز، ورجحه ابن القيم فقال: فالذي يقتضيه حكمه صلى الله عليه وسلم اعتبار الكفاءة في الدين أصلاً وكمالاً، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر؛ ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمرًا وراء ذلك، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسبًا، ولا صناعة، ولا غنى، ولا حرفة، فيجوز للعبد القن نكاح المرأة النسيبة الغنية إذا كان عفيفًا مسلمًا، وجوَّز لغير القريشيين نكاح القرشيات، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات، وللفقراء نكاح الموسرات[1].

مذهب جمهور الفقهاء:

وإذا كان المالكية وغيرهم من العلماء الذين سبقت الإشارة إليهم، يرون أن الكفاءة معتبرة بالاستقامة والصلاح لا غير، فإن غير هؤلاء من

---

(١) زاد المعاد لابن قيِّم الجوزيّة (ج٤ ص٢٢).

الفقهاء يرون أن الكفاءة معتبرة بالاستقامة والصلاح، وأن الفاسق ليس كفئًا للعفيفة، إلا أنهم لا يقصرون الكفاءة على ذلك، بل يرون أن ثمة أمورًا أخرى لابد من اعتبارها.

ونحن نشير إلى هذه الأمور فيما يأتي:

أولاً: النسب: فالعرب بعضهم أكفاء لبعض، وقريش بعضهم أكفاء لبعض، فالأعجمي لا يكون كفئًا للعربية، والعربي لا يكون كفئًا للقرشية.

ودليل ذلك:

١- ما رواه الحاكم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**العرب أكفاء بعضهم لبعض، قبيلة لقبيل، وحي لحي، ورجل لرجل، إلا حائكًا أو حجامًا**».

٢- وروى البزار عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «**العرب بعضهم لبعض أكفاء، والموالي بعضهم أكفاء بعض**».

٣- وعن عمر قال: لأمنعن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء. رواه الدارقطني.

وحديث ابن عمر سأل عنه ابن أبي حاتم أباه فقال: هذا كذب لا أصل له.

وقال الدارقطني في الملل: لا يصح.

قال ابن عبد البر: هذا منكر موضوع.

وأما حديث معاذ، ففيه سليمان بن أبي الجون، قال ابن القطان: لا يعرف ثم هو من رواية خالد بن معدان عن معاذ، ولم يسمع منه، والصحيح أنه لم يثبت في اعتبار الكفاءة والنسب من حديث.

ولم يختلف الشافعية، ولا الحنفية في اعتبار الكفاءة بالنسب على هذا النحو المذكور، ولكنهم اختلفوا في التفاضل بين القرشيين، فالأحناف يرون أن القرشي كفء الهاشمية[1].

---

(١) القرشي من كان من ولد النضر بن كنانة، والهاشمي من كان من ولد هاشم بن عبد مناف. والعرب من جمعهم أب فوق النضر.

أما الشافعية فإن الصحيح من مذهبهم أن القرشي ليس كفئًا للهاشمية والمطلبية، واستدلوا لذلك بما رواه واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار، من خيار، من خيار**» رواه مسلم.

قال الحافظ في الفتح: والصحيح تقديم بني هاشم والمطلب على غيرهم، ومن عدا هؤلاء أكفاء لبعض.

والحق خلاف ذلك، فإن النبي ﷺ زوج ابنتيه عثمان بن عفان، وزوج أبا العاص بن الربيع زينب، وهما من عبد شمس، وزوج علي عمر ابنته أم كلثوم، وعمر عدوي.

وعلى أن شرف العلم دونه كل نسب، وكل شرف؛ فالعالم كفء لأي امرأة، مهما كان نسبها، وإن لم يكن له نسب معروف، لقول رسول الله ﷺ: «**الناس معادن، كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».

وقول الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

هذا بالنسبة للعرب، وأما غيرهم من الأعاجم فقيل: لا كفاءة بينهم بالنسب.

وروي عن الشافعي وأكثر أصحابه: أن الكفاءة معتبرة في أنسابهم فيما بينهم قياسًا على العرب، ولأنهم يعيرون إذا تزوجت واحدة منهم زوجًا دونها نسبًا، فيكون حكمهم حكم العرب لاتحاد العلة.

ثانيًا: الحرية: فالعبد ليس بكفء للحرة، ولا العتيق كفئًا لحرة الأصل، ولا من مس الرق أحد آبائه كفئًا لمن لم يمسها رق، ولا أحدًا من آبائها،

لأن الحرة يلحقها العار بكونها تحت عبد، أو تحت من سبق من كان في آبائه مسترق.

ثالثًا: الإسلام: أي التكافؤ في إسلام الأصول، وهو معتبر في غير العرب؛ أما العرب فلا يعتبر فيهم، لأنهم اكتفوا بالتفاخر بأنسابهم، ولا يتفاخرون بإسلام أصولهم.

وأما غير العرب من الموالي والأعاجم، فيتفاخرون بإسلام الأصول؛ وعلى هذا إذا كانت المرأة مسلمة لها أب وأجداد مسلمون، فإنه لا يكافئها المسلم الذي ليس له في الإسلام أب ولا جد؛ ومن لها أب واحد في الإسلام يكافئها من له أب واحد فيه؛ ومن له أب وجد في الإسلام فهو كفء لمن لها أب وأجداد، لأن تعريف المرء يتم بأبيه وجده، فلا يلتفت إلى ما زاد.

ورأي أبي يوسف أن من له أب واحد في الإسلام كفء لمن لها آباء، لأن التعريف عنده يكون كاملاً بذكر الأب، أما أبو حنيفة ومحمد فلا يكون التعريف عندهما كاملاً إلا بالأب والجد.

رابعًا: الحرفة: إذا كانت المرأة من أسرة تمارس حرفة شريفة، فلا يكون صاحب الحرفة الدنيئة كفئًا لها، وإذا تقاربت الحرف فلا اعتبار للتفاوت فيها.

والمعتبر في شرف الحرف ودناءتها العرف؛ فقد تكون حرفة ما شريفة في مكان ما، أو زمان ما، بينما هي دنيئة في مكان ما، أو زمان ما.

وقد استدل القائلون باعتبار الكفاءة بالحرفة بالحديث المتقدم: «**العرب بعضهم أكفاء لبعض، إلا حائكًا أو حَجَّامًا**».

وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمه الله: وكيف تأخذ به وأنت تضعفه؟ قال: العمل على هذا.

قال في المغني: يعني أنه ورد موافقًا لأهل العرف، ولأن أصحاب الصنائع الجليلة والحرف الشريفة يعتبرون تزويج بناتهم لأصحاب الصنائع الدنيئة -كالحائك، والدباغ، والكناس، والزبال- نقصًا يلحقهم؛ وقد جرى

عرف الناس بالتعبير بذلك، فأشبه النقص في النسب. وهذا مذهب الشافعية، ومحمد وأبي يوسف من الحنفية، ورواية عن أحمد وأبي حنيفة، ورواية عن أبي يوسف أنها لا تعتبر إلا أن تفحش.

خامسًا: المال: وللشافعية اختلاف في اعتباره؛ فمنهم من قال باعتباره، فالفقير عند هؤلاء ليس بكفء للموسرة لما روى سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «**الحسب المال، والكرم التقوى**».

قالوا: ولأن نفقة الفقير دون نفقة الموسر، ومنهم من قال: لا يعتبر، لأن المال غاد ورائح، ولأنه لا يفتخر به ذوو المروءات، وأنشدوا قول الشاعر:

غَنينَا[1] زمانا بالتصعلك والفقر وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغيًا على ذي قرابة غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وعند الأحناف اعتبار المال؛ والمعتبر فيه أن يكون مالكًا المهر والنفقة، حتى إن من لم يملكهما، أو لا يملك أحدهما لا يكون كفئًا.

والمراد بالمهر قدر ما تعارفوا تعجيله؛ لأن ما وراءه مؤجل عرفًا.

وعن أبي يوسف أنه اعتبر القدرة على النفقة دون المهر، لأنه تجري المساهلة فيه، ويعد المرء قادرًا عليه بيسار أبيه.

واعتبار المال في الكفاءة رواية عن أحمد، لأن على الموسرة ضررًا في إعسار زوجها، لإخلاله بنفقتها ومؤنة أولادها، ولأن الناس يعتبرون الفقر نقصًا، ويتفاضلون فيه كتفاضلهم في النسب، وأبلغ.

سادسًا: السلامة من العيوب: وقد اعتبر أصحاب الشافعي -وفيما ذكره ابن نصر عن مالك- السلامة من العيوب من شروط الكفاءة، فمن به عيب مثبت للفسخ ليس كفؤاً للسليمة منه، فإن لم يكن مثبتًا للفسخ عنده

---

(١) غنينا زمانا: أي أقمنا، والتصعلك: الفقر والصعلوك: الفقير، وعروة الصعاليك: رجل عربي كان يجمع الفقراء في مكان ويرزقهم ما يغنم.

وكان منفرًا كالعمى، والقطع، وتشويه الخلقة. فوجهان، واختيار الروياني أن صاحبه ليس بكفء، ولم يعتبرها الأحناف ولا الحنابلة.

وفي المغني: وأما السلامة من العيوب فليس من شروط الكفاءة، فإنه لا خلاف في أنه لا يبطل النكاح بعدمه، ولكنها تثبت الخيار للمرأة دون الأولياء، لأن ضرره مختص بها، ولوليها منعها من نكاح المجذوم، والأبرص والمجنون.

فيمن تعتبر؟

والكفاءة في الزواج معتبرة في الزوج دون الزوجة، أي أن الرجل هو الذي يشترط فيه أن يكون كفئًا للمرأة ومماثلاً لها، ولا يشترط أن تكون المرأة كفؤاً للرجل[1].

ودليل ذلك:

أولاً: أن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده جارية، فعلمها وأحسن تعليمها، وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران**» رواه البخاري ومسلم.

ثانيًا: أن النبي ﷺ لا مكافئ له في منزلته، وقد تزوج من أحياء العرب، وتزوج من صفية بنت حيي وكانت يهودية وأسلمت.

ثالثاً: أن الزوجة الرفيعة المنزلة، هي التي تعير هي وأولياؤها عادة، إذا تزوجت من غير الكفء.

أما الزوج الشريف فلا يعيّر إذا كانت زوجته خسيسة ودونه منزلة.

الكفاءة حق للمرأة والأولياء:

يرى جمهور الفقهاء أن الكفاءة حق للمرأة والأولياء، فلا يجوز للولي

---

(١) يرى الأحناف أن الكفاءة من جانب الزوجة معتبرة في حالتين: ١- فيما إذا وكل الرجل عنه من يزوجه امرأة غير معيبة، فإنه يشترط لنفاذ تزويج الوكيل على الموكل أن يزوجه ممن تكافئه، كما تقدم في الوكالة. ٢- وفيما إذا كان الولي الذي زوج الصغيرة غير الأب الذي لم يعرف بسوء الاختيار فإنه يشترط لصحة التزويج أن تكون الزوجة كفؤاً له احتياطًا لمصلحته.

أن يزوج المرأة من غير كفء إلا برضاها ورضا سائر الأولياء[١]، لأن تزويجها بغير الكفء فيه إلحاق عار بها وبهم، فلم يجز من غير رضاهم جميعًا، فإذا رضيت، ورضي أولياؤها جاز تزويجها لأن المنع لحقهم، فإذا رضوا زال المنع.

وقال الشافعية: هي لمن له الولاية في الحال.

وقال أحمد في رواية: هي حق لجميع الأولياء: قريبهم وبعيدهم، فمن لم يرض منهم فله الفسخ.

وفي رواية عن أحمد: أنها حق الله، فلو رضي الأولياء والزوجة بإسقاط الكفاءة لا يصح رضاهم، ولكن هذه الرواية مبنية على أن الكفاءة في الدين لا غير، كما جاء في إحدى الروايات عنه.

وقت اعتبارها:

وإنما يعتبر وجود الكفاءة عند إنشاء العقد، فإذا تخلف وصف من أوصافها بعد العقد فإن ذلك لا يضر، ولا يغير من الواقع شيئًا، ولا يؤثر في عقد الزواج، لأن شروط الزواج إنما تعتبر عند العقد، فإن كان عند الزواج صاحب حرفة شريفة، أو كان قادرًا على الإنفاق، أو كان صالحًا. ثم تغيرت الظروف فاحترف مهنة دنيئة، أو عجز عن الإنفاق أو فسق عن أمر ربه بعد الزواج، فإن العقد باق على ما هو عليه، فإن الدهر قلب، والإنسان لا يدوم على حال واحدة، وعلى المرأة أن تقبل الواقع، وتصبر وتتقي، فإن ذلك من عزم الأمور.

---

(١) إذا زوجت المرأة من غير كفء بغير رضاها وغير رضا الأولياء فقيل إن الزواج باطل، وقيل إنه صحيح، ويثبت فيه الخيار، هذا عند الشافعية ورأي الأحناف مبين في الولاية.

الوليمة

١ـ تعريفها:

الوليمة مأخوذة من الولم، وهو الجمع، لأن الزوجين يجتمعان، وهي الطعام في العرس خاصة.

وفي القاموس: الوليمة طعام العرس، أو كل طعام صنع لدعوة وغيرها. وأولم: صنعها.

٢ـ حكمها:

ذهب الجمهور من العلماء إلى أنها سنة مؤكدة.

١- لقول الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أولم ولو بشاة**».

٢- وعن أنس قال: «ما أولم رسول الله ﷺ على شيء من نسائه، ما أولم على زينب: أولم بشاة» رواه البخاري ومسلم.

٣- وعن بريدة قال: لما خطب عليّ فاطمة، قال رسول الله ﷺ: «**إنه لا بد للعرس من الوليمة**» رواه أحمد بسند لا بأس به كما قال الحافظ.

٤- قال أنس: «ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه، ما أولم على زينب، وجعل يبعثني فأدعو له الناس، فأطعمهم خبزًا، ولحمًا، حتى شبعوا».

٥- وروى البخاري أنه ﷺ «أولم على بعض نسائه بمدين من شعير».

وهذا الاختلاف ليس مرجعه تفضيل بعض نسائه على بعض، وإنما سببه اختلاف حالتي العسر واليسر.

٣ـ وقتها:

وقت الوليمة عند العقد أو عقبه، أو عند الدخول أو عقبه، وهذا أمر يتوسع فيه حسب العرف والعادة، وعند البخاري أنه ﷺ دعا القوم بعد الدخول بزينب.

٤ـ إجابة الداعي:

إجابة الداعي إلى وليمة العرس واجبة على من دعى إليها، لما فيها من إظهار الاهتمام به، وإدخال السرور عليه، وتطييب نفسه:

١- عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دُعي أحدكم إلى وليمة فليأتها**».

٢- وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله**».

٣- وعنه أنه ﷺ قال: «**لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع لقبلت**». روى هذه الأحاديث البخاري.

فإذا كانت الدعوة عامة غير معينة لشخص أو جماعة لم تجب الإجابة، ولم تستحب، مثل أن يقول الداعي: أيها الناس أجيبوا إلى الوليمة دون تعيين، أو ادع من لقيت.

كما فعل النبي ﷺ، قال أنس: «تزوج النبي ﷺ فدخل بأهله، فصنعت أمي أم سليم حيسًا[1]، فجعلته في تور[2]، فقالت: يا أخي اذهب به إلى رسول الله ﷺ فذهبت به، فقال: **ضعه**، ثم قال: **ادع فلانًا، وفلانًا، ومن لقيت**، **فدعوت من سمتي ومن لقيت**»، رواه مسلم.

وقيل: إن إجابة الداعي فرض كفاية.

وقيل: إنها مستحبة، والأول أظهر؛ لأن العصيان لا يطلق إلا على ترك الواجب، هذا بالنسبة لوليمة العرس.

أما الإجابة إلى غير وليمة النكاح؛ فهي مستحبة غير واجبة عند جمهور العلماء.

وذهب بعض الشافعية إلى وجوب الإجابة مطلقًا، وزعم ابن حزم أنه قول جمهور الصحابة والتابعين؛ لأن في الأحاديث ما يشعر بالإجابة إلى كل دعوة سواء أكانت دعوة زواج، أم غيره.

٥ـ شروط وجوب إجابة الدعوة:

قال الحافظ في الفتح: إن شروط وجوبها ما يأتي:

---

(١) الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط؛ أي كشك.

(٢) التور: إناء.

١ - أن يكون الداعي مكلفًا حرًا رشيدًا.

٢ - وألا يخص الأغنياء دون الفقراء.

٣ - وألا يظهر قصد التودد لشخص لرغبة فيه، أو لرهبة منه.

٤ - وأن يكون الداعي مسلمًا على الأصح.

٥ - وأن يختص باليوم الأول على المشهور.

٦ - وألا يُسبق، فمن سبق تعينت الإجابة له، دون الثاني.

٧ - وألا يكون هناك ما يتأذى بحضوره من منكر وغيره.

٨ - وألا يكون له عذر.

قال البغوي: ومن كان له عذر، أو كان الطريق بعيدًا تلحقه المشقة فلا بأس أن يتخلف.

٦ـ كراهة دعوة الأغنياء دون الفقراء:

يكره أن يدعى إلى الوليمة الأغنياء دون الفقراء، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**شر طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله**» رواه مسلم.

وروى البخاري أن أبا هريرة قال: شر الطعام طعام الوليمة: يدعى له الأغنياء، وتترك الفقراء.

الحقوق الزوجية

إذا وقع العقد صحيحًا نافذًا ترتبت عليه آثاره، ووجبت بمقتضاه الحقوق الزوجية.

وهذه الحقوق ثلاثة أقسام:

١ - منها حقوق واجبة للزوجة على زوجها.

٢ - ومنها حقوق واجبة للزوج على زوجته.

٣ - ومنها حقوق مشتركة بينهما.

وقيام كل من الزوجين بواجبه؛ والاضطلاع بمسئولياته هو الذي يوفر أسباب الاطمئنان والهدوء النفسي، وبذلك تتم السعادة الزوجية، وفيما يلي تفصيل وبيان بعض هذه الحقوق:

الحقوق المشتركة بين الزوجين:

والحقوق المشتركة بين الزوجين هي:

١- حل العشرة الزوجية واستمتاع كل من الزوجين بالآخر، وهذا الحل مشترك بينهما، فيحل للزوج من زوجته ما يحل لها منه، وهذا الاستمتاع حق للزوجين، ولا يحصل إلا بمشاركتهما معًا، لأنه لا يمكن أن ينفرد به أحدهما.

٢- حرمة المصاهرة: أي أن الزوجة تحرم على آباء الزوج، وأجداده، وأبنائه، وفروع أبنائه وبناته. كما يحرم هو على أمهاتها، وبناتها، وفروع أبنائها وبناتها.

٣- ثبوت التوارث بينهما بمجرد إتمام العقد، فإذا مات أحدهما بعد إتمام العقد ورثه الآخر ولو لم يتم الدخول.

٤- ثبوت نسب الولد من الزوج صاحب الفراش.

٥- المعاشرة بالمعروف: فيجب على كل من الزوجين أن يعاشر الآخر بالمعروف حتى يسودهما الوئام، ويظلهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها:

الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها منها:

١- حقوق مالية: وهي المهر، والنفقة.

٢- وحقوق غير مالية: مثل العدل بين الزوجات إذا كان الزوج متزوجًا بأكثر من واحدة، ومثل عدم الإضرار بالزوجة.

ونذكر تفصيل ذلك فيما يلي من صفحات.

حق الزوج على زوجته:

من حق الزوج على زوجته أن تطيعه في غير معصية، وأن تحفظه في نفسها وماله، وأن تمتنع عن مقارفة أي شيء يضيق به الرجل، فلا تعبس في وجهه، ولا تبدو في صورة يكرهها، وهذا من أعظم الحقوق.

وروى الحاكم عن عائشة قالت: «سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقًا على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فأي الناس أعظم حقًا على

الرجل؟ قال: **أمه**».

ويؤكد رسول الله ﷺ هذا الحق فيقول: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها**» رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان.

وقد وصف الله سبحانه الزوجات الصالحات فقال: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

والقانتات هن الطائعات، والحافظات للغيب: أي اللائي يحفظن غيبة أزواجهن، فلا يخنه في نفس أو مال.

وهذا أسمى ما تكون عليه المرأة، وبه تدوم الحياة الزوجية، وتسعد.

وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**خير النساء من إذا نظرت إليها سَرَّتْكَ، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسك ومالك**».

ومحافظة الزوجة على هذا الخلق يعتبر جهادًا في سبيل الله، روى ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك: هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ فقال الرسول ﷺ: «**أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافًا بحقه يعدل ذلك، وقليلاً منكن من يفعله**».

ومن عظم هذا الحق أن قرن الإسلام طاعة الزوج بإقامة الفرائض الدينية وطاعة الله، فعن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**» رواه أحمد والطبراني.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت، وزوجها عنها راض، دخلت الجنة**».

وأكثر ما يدخل المرأة النار، عصيانها لزوجها، وكفرانها إحسانه إليها،

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**اطَّلعت في النار فإذا أكثر أهلها نساء، يكفرن العشير؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء، فبات غضبان، لعنتها الملائكة حتى تصبح**» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

وحق الطاعة هذا مقيد بالمعروف، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلو أمرها بمعصية وجب عليها أن تخالفه.

ومن طاعتها لزوجها ألا تصوم نافلة إلا بإذنه، وألا تحج تطوعًا إلا بإذنه، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه.

روى أبو داود الطيالسي، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها، ولو كان على ظهر قَتَب[1] وألا تصوم يومًا واحدًا إلا بإذنه، إلا لفريضة؛ فإن فعلت أثمت، ولم يتقبل منها، وألا تعطي من بيتها شيئًا إلا بإذنه، فإن فعلت كان له الأجر، وعليها الوزر، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع، وإن كان ظالمًا**».

عدم إدخال من يكره الزوج:

ومن حق الزوج على زوجته أن لا تدخل أحدًا بيته يكرهه إلا بإذنه. عن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول: «**بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: ألا، واستوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوان[2] عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على**

---

(١) قتب: ظهر البعير.

(٢) عوان: بفتح العين وتخفيف الواو: أي أسيرات.

نسائكم حقًا، ولنسائكم عليكم حقًا، فحقكم عليهن ألا يوطئن فروشكم من تكرهونه، ولا يأذن في بيوتكم من تكرهونه؛ ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

خدمة المرأة زوجها:

أساس العلاقة بين الزوج وزوجته هي المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات.

وأصل ذلك قوله الله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فالآية تعطي المرأة من الحقوق مثل ما للرجل عليها، فكلما طولبت المرأة بشيء طولب الرجل بمثله.

والأساس الذي وضعه الإسلام للتعامل بين الزوجين وتنظيم الحياة بينهما، هو أساس فطري وطبيعي، فالرجل أقدر على العمل والكدح والكسب خارج المنزل، والمرأة أقدر على تدبير المنزل، وتربية الأولاد، وتيسير أسباب الراحة البيتية، والطمأنينة المنزلية، فيكلف الرجل ما هو مناسب له، وتكلف المرأة ما هو من طبيعتها، وبهذا ينتظم البيت من ناحية الداخل والخارج دون أن يجد أي واحد من الزوجين سببًا من أسباب انقسام البيت على نفسه.

وقد حكم رسول الله ﷺ بين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه وبين زوجته فاطمة رضي الله عنها؛ فجعل على فاطمة خدمة البيت، وجعل على عليّ العمل والكسب.

وروى البخاري ومسلم أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يديها من الرحاء وتسأله خادمة، فقال: **«ألا أدلكم على ما هو خير لكما مما سألتما: إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا الله ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»**.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله وكان له فرس فكنت أسوسه، وكنت أحش له، وأقوم عليه، وكانت تعلفه، وتسقي الماء، وتخرز الدلو، وتعجن، وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثي فرسخ.

ففيه هذين الحديثين ما يفيد بأن على المرأة أن تقوم بخدمة بيتها، كما أن على الرجل أن يقوم بالإنفاق عليها.

وقد شكت السيدة فاطمة رضي الله عنها ما كانت تلقاه من خدمة، فلم يقل الرسول ﷺ لعلي لا خدمة عليها وإنما هي عليك.

وكذلك لما رأى خدمة أسماء لزوجها لم يقل لا خدمة عليها، بل أقره على استخدامها، وأقر سائر أصحابه على خدمة أزواجهن، مع علمه بأن منهن الكارهة والراضية.

قال ابن القيم: هذا أمر لا ريب فيه، ولا يصح التفريق بين شريفة ودنيئة، وفقيرة وغنية، فهذه أشرف نساء العالمين كانت تخدم زوجها وجاءت الرسول ﷺ تشكو إليه الخدمة، فلم يُشْكِها[1].

قال بعض علماء المالكية[2]: إن على الزوجة خدمة مسكنها، فإن كانت شريفة المحل ليسار أبوة، أو ترفه، فعليها التدبير للمنزل وأمر الخادم، وإن كانت متوسطة الحال، فعليها أن تفرش الفراش ونحو ذلك، وإن كانت دون ذلك؛ فعليها أن تقم البيت وتطبخ وتغسل، وإن كانت من نساء الكرد والديلم والجبل كلفت ما يكلفه نساؤهم، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقد جرى عرف المسلمين في بلدانهم في قديم الأمر وحديثه بما ذكرنا، ألا ترى أن أزواج النبي ﷺ وأصحابه، كانوا يتكلفون الطحين والخبز والطبيخ

---

(١) يشكها: أي لم يسمع شكايتها.

(٢) من تفسير القرطبي.

وفرش الفراش، وتقريب الطعام وأشباه ذلك، ولا نعلم امرأة امتنعت عن ذلك، ولا يسوغ لها الامتناع؛ بل كانوا يضربون نساءهم إذا قصرن في ذلك، فلولا أنها مستحقة لما طالبوهن، هذا هو المذهب الصحيح خلافًا لما ذهب إليه مالك وأبو حنيفة والشافعي من عدم وجوب خدمة المرأة لزوجها، وقالوا إن عقد الزواج إنما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام وبذل المنافع، والأحاديث المذكورة تدل على التطوع ومكارم الأخلاق.

تجاوز الصدق بين الزوجين:

المحافظة على الانسجام في البيت، وتقوية روابط الأسرة غاية من الغايات التي يستباح من أجل الحصول عليها تجاوز الصدق.

روي أن ابن أبي عذرة الدؤلي -أيام خلافة عمر ﷺ- كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن، فطارت له في النساء من ذلك أحدوثة يكرهها، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته: أنشدك بالله[1] هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني بالله، قال: فإني أنشدك بالله، قالت: نعم.

فقال لابن الأرقم أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر ﷺ فقال: إنكم لتحدثون أني أظلم النساء، وأخلعهن، فاسأل ابن الأرقم، فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها، فقال: أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أول من تاب، وراجع أمر الله تعالى، إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت الذي يبني على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب، وقد روى البخاري ومسلم عن أم كلثوم رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا**». قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: يعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، والمرأة زوجها، فهذا

---

(١) أسألك.

حديث صريح في إباحة بعض الكذب للمصلحة.

إمساك الزوجة بمنزل الزوجية:

من حق الزوج أن يمسك زوجته بمنزل الزوجية، ويمنعها من الخروج منه[1] إلا بإذنه ويشترط في المسكن أن يكون لائقًا بها، ومحققًا لاستقرار المعيشة الزوجية، وهذا المسكن، يسمى بالمسكن الشرعي، فإذا لم يكن المسكن لائقًا بها ولا يمكنها من استيفاء الحقوق الزوجية المقصودة من الزواج، فإنه لا يلزمها القرار فيه، لأن المسكن غير شرعي.

ومثال ذلك: ما إذا كان بالمسكن آخرون يمنعها وجودهم معها من المعاشرة الزوجية، أو كان يلحقها بذلك ضرر، أو تخشى على متاعها، وكذلك لو كان المسكن خاليًا من المرافق الضرورية، أو كان بحال تستوحش منها الزوجة، أو كان الجيران جيران سوء.

الانتقال بالزوجة:

من حق الزوج أن ينتقل وزوجته حيث يشاء لقول الله تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ﴾ [الطلاق: ٦].

والنهي عن المضارة يقتضي ألا يكون القصد من الانتقال بالزوجة المضارة بها، بل يجب أن يكون القصد هو المعايشة، وما يقصد بالزواج، فإن كان يقصد المضارة والتضييق عليها في طلبه نقلها كأن تهبه شيئًا من المهر، أو تترك شيئًا من النفقة الواجبة عليه لها، أو لا يكون مأمونًا عليها، فلها الحق في الامتناع، وللقاضي أن يحكم لها بعدم استجابتها له.

وقيد الفقهاء استعمال لهذا الحق أيضًا بألاً يكون في الانتقال بها خوف

---

(١) وهذا بخلاف زيارة أبويها فلها أن تزورهما كل أسبوع أو بحسب ما جرى به العرف ولو لم يأذن لها، لأن ذلك من صلة الرحم الواجبة ولها أن تمرِّض المريض منهما إذا لم يوجد من يمرضه ولو لم يرض زوجها لأن ذلك واجب ولا يجوز أن يمنعها من الواجب.

الضرر عليها، كأن يكون الطريق غير آمن، أو يشق عليها مشقة جديدة لا تحتمل في العادة، أو يخاف فيه من عدو، فإذا خافت الزوجة شيئًا من ذلك فلها أن تمتنع عن السفر، وقد جاء في إحدى المذكرات القضائية ما يلي:

ولما كانت مصلحة الزوجين من النقلة وعدمها لا تتحدد ولا تضبط أطلقوها من غير بيان وجهها اعتمادًا على فطنة القاضي وعدالته وحكمته. فإن من البين أن مجرد كون الزوج في شخصه مأمونًا على زوجته ولا يكفي لتحقق المصلحة في الإجبار على النقلة، بل لابد من مراعاة أحوال أخرى ترجع إلى الزوج وإلى الزوجة، وإلى البلدان المنقول منها والمنتقل إليها، كأن يكون الباعث على الانتقال مصلحة يعتد بها، قلما يمكن الحصول عليها بدون الاغتراب؛ وكأن يكون الزوج قادرًا على نفقات ارتحالها كأمثالها، وفي يده فضل يغلب على الظن أنه لو اتجر فيه مثلاً لربح ما يعدل نفقته ونفقة عياله، أو صناعة فنية تقوم بمعاشه ومعاشهم.

وكأن يكون الطريق بين البلدين مأمونًا على النفس والعرض والمال، وكأن تكون الزوجة بحيث تقوى على مشقة السفر من بلدها إلى المكان الذي يريد نقلها إليه.

وكأن لا يكون المحل الذي يريد نقلها إليه بطبيعته منبعًا للحميات، والأوبئة، والأمراض.

وكأن لا يكون الاختلاف بين البلدين في الحرارة والبرودة مثلاً مما لا تحتمله الأمزجة والطباع.

وكأن تكون كرامة الزوجة في موضع نقلتها محفوظة ككرامتها في محلها الأصلي.

وكأن لا يلحقها بسبب الانتقال ضرر مادي أو أدبي، إلى كثير من الاعتبارات التي يجب ملاحظتها في مثل هذه الظروف وتختلف باختلاف الأشخاص والمواطن ولا تخفى عن القاضي الفطن، وهذا من خير ما يقال تفصيلاً في هذا الموضوع.

اشتراط عدم خروج الزوجة من دارها:

من تزوج امرأة، وشرط ألا يخرجها من دارها أو لا يخرج بها إلى بلد غير بلدها فعليه الوفاء بهذا الشرط؛ لقول الرسول ﷺ: «**إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج**» رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عقبة ابن عامر.

وهذا مذهب أحمد، وإسحاق بن راهويه، والأوزاعي، وذهب غير هؤلاء من الفقهاء إلى أنه لا يلزمه الوفاء بهذا الشرط، وله نقلها عن دارها، وقالوا في الحديث: إن الشرط الواجب الوفاء به هو ما كان خاصًا في المهر، والحقوق الزوجية التي هي من مقتضى العقد دون غيرها مما لا يقتضيه، وقد تقدم في أول هذا المجلد الشروط في الزواج، واختلاف العلماء فيه مفصلاً.

منع الزوجة من العمل:

فرق العلماء بين عمل الزوجة الذي يؤدي إلى تنقيص حق الزوج، أو ضرره، أو خروجها من بيته، وبين العمل الذي لا ضرر فيه، فمنعوا الأول، وأجازوا الثاني.

قال ابن عابدين، من فقهاء الأحناف:

والذي ينبغي تحريره أن يكون منعها من كل عمل يؤدي إلى تنقيص حقه، أو ضرره، أو إلى خروجها من بيته، أما العمل الذي لا ضرر فيه فلا وجه لمنعها وكذلك ليس له منعها من الخروج إذا كانت تحترف عملاً هو من فروض الكفاية الخاصة بالمرأة مثل عمل القابلة.

خروج المرأة لطلب العلم:

إذا كان العلم الذي تطلبه المرأة مفروضًا[1] عليها وجب على الزوج أن يعلمها إياه -إذا كان قادرًا على التعليم- فإذا لم يفعل، وجب عليها أن تخرج حيث العلماء ومجالس العلم؛ لتتعلم أحكام دينها ولو من غير إذنه، أما إذا كان الزوجة عالمة بما فرضه الله عليها من أحكام، أو كان الزوج متفقها في

---

(١) العلم الفرض: هو العلم بالعمل الذي فرضه الله لأن كل ما فرض الله عمله فرض العلم به.

دين الله، وقام بتعليمها؛ فلا حق لها في الخروج إلى طلب العلم إلا بأذنه.

تأديب الزوجة عند النشوز:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ ﴾ [النساء: ٣٤].

نشوز الزوجة: هو عصيان الزوج وعدم طاعته أو امتناعها عن فراشه، أو خروجها من بيته بغير إذنه.

وعظتها تذكيرها بالله، وتخويفها به، وتنبيهها للواجب عليها من الطاعة وما لزوجها عليها من حق، ولفت نظرها إلى ما يلحقها من الإثم بالمخالفة والعصيان، وما يفوت من حقوقها من النفقة، والكسوة.

والهجر في المضجع: أي في الفراش، وأما الهجر في الكلام فلا يجوز أكثر من ثلاثة أيام؛ لما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**».

ولا تضرب الزوجة لأول نشوزها، والآية فيها إضمار وتقدير، أي: ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾.

فإن نشزن ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ فإن أصررن ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّ ﴾ أي إذا لم ترتدع بالوعظ والهجر فله ضربها، يقول الرسول ﷺ: «**إن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مُبَرِّح**» أي غير شديد.

وعليه أن يجتنب الوجه، والمواضع المخوفة؛ لأن المقصود التأديب، لا الإتلاف.

روى أبو داود عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**».

تزين المرأة لزوجها:

من المستحسن أن تتزين المرأة لزوجها بالكحل والخضاب والطيب، ونحو ذلك من أنواع الزينة.

روى أحمد عن كريمة بنت همام: قالت لعائشة رضي الله عنها: ما تقولين يا أم المؤمنين في الحناء؟ فقالت: كان حبيبي ﷺ يعجبه لونه، ويكره ريحه، وليس بمحرم عليكن بين كل حيضتين، أو عند كل حيضة.

الحقوق غير المادية

تقدم أن من حقوق الزوجة على زوجها منها ما هو مادي: وهو المهر والنفقة؛ ومنها ما هو غير مادي وهو ما نذكره فيما يلي:

١ ـ حسن معاشرتها:

أول ما يجب على الزوج لزوجته إكرامها، وحسن معاشرتها، ومعاملتها بالمعروف، وتقديم ما يمكن تقديمه إليها، مما يؤلف قلبها؛ فضلا عن تحمل ما يصدر منها والصبر عليه.

يقوله الله سبحانه: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

ومن مظاهر اكتمال الخلق، ونمو الإيمان أن يكون المرء رقيقًا مع أهله؛ يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**».

وإكرام المرأة دليل الشخصية المتكاملة، وإهانتها علامة على الخسة واللؤم، يقول الرسول ﷺ: «**ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**».

ومن إكرامها التلطف معها، ومداعبتها.

وقد كان الرسول ﷺ يتلطف مع عائشة رضي الله عنها فيسابقها تقول: سابقني رسول الله ﷺ، فسبقته على رجليَّ، فلما حملت اللحم(١)، سابقته فسبقني، فقال: «**هذه بتلك السبقة**». رواه أحمد، وأبو داود.

(١) أي امتلأ جسمها.

وروى أحمد، وأصحاب السنن، أنه ﷺ قال: «**كل شيء يلهو به ابن آدم، فهو باطل، إلا ثلاثًا: رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق**».

ومن إكرامها أن يرفعها إلى مستواه، وأن يتجنب أذاها، حتى ولو بالكلمة النابية.

فعن معاوية بن حيدة ﷺ قال: قلت يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت؛ ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**».

والمرأة لا يتصور فيها الكمال، وعلى الإنسان أن يتقبلها على ما هي عليه.

يقول الرسول ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا؛ المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج**». رواه البخاري، ومسلم.

وفي هذا إشارة إلى أن في خلق المرأة عوجًا طبيعيًا، وأن محاولة إصلاحه غير ممكنة، وأنه كالضلع المعوج المتقوس الذي لا يقبل التقويم.

ومع ذلك فلابد من مصاحبتها على ما هي عليه، ومعاملتها كأحسن ما تكون المعاملة؛ وذلك لا يمنع من تأديبها وإرشادها إلى الصواب إذا اعوجت في أي أمر من الأمور.

وقد يغضي الرجل عن مزايا الزوجة وفضائلها، ويتجسد في نظره بعض ما يكره من خصالها، فينصح الإسلام بوجوب الموازنة بين حسناتها وسيئاتها، وأنه إذا رأى منها ما يكره فإنه يرى منها ما يحب.

يقول الرسول ﷺ: «**لا يفرك**(١) **مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا، رضي منها خلقًا آخر**».

---

(١) لا يفرك: لا يبغض.

٢ـ صيانتها:

ويجب على الزوج أن يصون زوجته، ويحفظها من كل ما يخدش شرفها، ويثلم عرضها، ويمتهن كرامتها، ويعرض سمعتها لقالة السوء، وهو من الغيرة التي يحبها الله.

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه**».

وروى عن ابن مسعود أنه صلوات الله وسلامه عليه قال: «**ما أحد أغير من الله؛ ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ وما أحد أحب إليه المدح من الله؛ ومن أجل ذلك أثنى على نفسه؛ وما أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين**».

وروَى أيضًا أن سعد بن عبادة قال: «لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني؛ ومن أجل غيرة الله، حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**».

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يدخلون الجنة: «**العاق لوالديه، والدَّيُّوث، ورجلة النساء**». رواه النسائي والبزار، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وعن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر، قالوا: يا رسول الله: أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله، قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: التي تتشبه بالرجال**» رواه الطبراني.

قال المنذري: ورواته ليس فيهم مجروح.

وكما يجب على الرجل أن يغار على زوجته، فإنه يطلب منه أن يعتدل في هذه الغيرة، فلا يبالغ في إساءة الظن بها، ولا يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها ولا يحصي جميع عيوبها، فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية،

ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، يقول الرسول ﷺ فيما يرويه أبو داود، والنسائي، وابن حبان

عن جابر بن سمرة: «**إن من الغيرة ما يحبه الله؛ ومنها ما يبغضه الله، ومن الخيلاء ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله؛ فأما الغيرة التي يحبها الله: فالغيرة في الريبة؛ والغيرة التي يبغضها الله: فالغيرة في غير ريبة**[١]**؛ والغيرة التي يبغضها الله: فالغيرة في غير ريبة. والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال، وعند الصدمة؛ والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل**».

وقال علي كرم الله وجهه: لا تكثر الغيرة على أهلك، فترامى بالسوء من أجلك.

إتيان الرجل زوجته:

قال ابن حزم: وفرض على الرجل أن يجامع امرأته؛ التي هي زوجته، وأدنى ذلك مرة في كل طهر، إن قدر على ذلك، وإلا فهو عاص لله تعالى.

برهان ذلك قوله عز وجل: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وذهب جمهور العلماء إلى ما ذهب إليه ابن حزم من الوجوب على الرجل إذا لم يكن له عذر.

وقال الشافعي: لا يجب عليه؛ لأنه حق له، فلا يجب عليه كسائر الحقوق.

ونص أحمد على أنه مقدر بأربعة أشهر؛ لأن الله قدره في حق المولي بهذه المدة، فكذلك في حق غيره.

وإذا سافر عن امرأته، فإن لم يكن له عذر مانع من الرجوع، فإن أحمد ذهب إلى توقيته بستة أشهر، وسئل: كم يغيب الرجل عن زوجته؟ قال: ستة

---

(١) الريبة: الشك والظن، وإنما كان بغيضًا لأنه من سوء الظن، إن بعض الظن إثم.

أشهر، يكتب إليه، فإن أبى أن يرجع فرق الحاكم بينهما، وحجته ما رواه أبو حفص باسناده عن زيد بن أسلم قال: بينما عمر بن الخطاب يحرس المدينة؛ فمر بامرأة في بيتها وهي تقول:

تطاول هذا الليل واسْوَدَّ جانبه ... وطال علي أن لا خليل ألاعبه

والله لولا خشية الله وحده ... لحُرِّك من هذا السرير جوانبه

ولكن ربي والحياء يكفُّني ... وأكرم بعلي أن توطأ مراكبه

فسأل عنها عمر، فقيل له: هذه فلانة، زوجها غائب في سبيل الله، فأرسل إليها تكون معه، وبعث إلى زوجها فأقفله[1]، ثم دخل على حفصة، فقال: يا بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: سبحان الله! مثلك يسأل مثلي عن هذا؟ فقال: لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك.

قالت: خمسة أشهر، ستة أشهر، فوقت للناس في مغازيهم ستة أشهر، يسيرون شهرًا، ويقيمون أربعة أشهر، ويسيرون راجعين شهرًا.

وقال الغزالي من الشافعية: وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة، فهو أعدل؛ لأن عدد النساء أربعة، فجاز التأخير إلى هذا الحد. نعم ينبغي أن يزيد، أو ينقص حسب حاجتها في التحصين، فإن تحصينها واجب عليه، وإن كان لا تثبت المطالبة بالوطء، فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها.

وعن محمد بن معن الغفاري قال: «أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: يا أمير المؤمنين: إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه –وهو يعمل بطاعة الله عز وجل– فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر هذا القول ويكرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما».

فقال كعب: علي بزوجها، فأتي به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك،

---

(١) أقفله: أرجعه.

قال: أفي طعام، أو شراب؟ قال: لا، فقالت المرأة:

يـا أيهـا القاضـي الحكيم رشده ... ألهـى خليلـي عن فراشي مسجده

زهَّـده في مضـجعي تعـبده ... فـاقض القضـا، كعب، ولا ترده

نهـاره ولـيله مـا يـرقده ... فلسـت في أمـر النسـاء أحمده

فقال زوجها:

زهـدني في النسـاء وفي الحجـل ... أني امـرؤ أذهلـني مـا نـزل

في سـورة النحل وفي السبع الطول ... وفي كـتاب الله تخويـف جلـل

فقال كعب:

إن لهـا علـيك حقًّـا يـا رجل ... نصـيبها في أربـع لمـن عقـل

فأعطهـا ذاك ودع عـنك العلـل

ثم قال: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، فقال عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب؟ أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

وقد ثبت في السنة أن جماع الرجل زوجته من الصدقات التي يثيب الله عليها.

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**... ولك في جماع زوجتك أجر، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر! فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**».

ويستحب المداعبة، والملاعبة، والملاطفة، والتقبيل، والانتظار حتى تقضي المرأة حاجتها.

روى أبو يعلى عن أنس بن مالك: أن الرسول ﷺ قال: «**إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، فإذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا**

يعجلها حتى تقضي حاجتها» وقد تقدم: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك**».

التستر عند الجماع:

أمر الإسلام بستر العورة في كل حال إلا إذا اقتضى الأمر كشفها، فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: «**يا نبي الله: عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك، قلت: يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: إن استطعت ألا يراها أحد فلا يراها، قال: قلت: إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: فالله أحق أن يستحيا من الناس**» رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

وفي الحديث جواز كشف العورة عند الجماع، ولكن مع ذلك لا ينبغي أن يتجرد الزوجان تجردًا كاملا.

فعن عتبة بن عبد السليمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، ولا يتجردا تجرد العيرين**»[1]. رواه ابن ماجه.

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والتعري؛ فإن معكم من لا يفارقكم، إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم**». رواه الترمذي وقال حديث غريب.

قالت عائشة: «لم ير رسول الله ﷺ مني، ولم أر منه».

التسمية عند الجماع:

يسن أن يسمي الإنسان ويستعيذ عند الجماع، روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله، قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا. فإن قدر بينهما في ذلك ولد، لن يضر ذلك الولد الشيطان أبدًا**».

حرمة التكلم بما يجري بين الزوجين أثناء المباشرة:

ذكر الجماع، والتحدث به مخالف للمروءة، ومن اللغو الذي لا فائدة فيه. ولا حاجة إليه، وينبغي للإنسان أن يتنزه عنه ما لم يكن هناك ما

---

(١) **العيران**: الحماران.

يستدعي التكلم به، ففي الحديث الصحيح: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

وقد مدح الله المعرضين عن اللغو فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣].

فإذا استدعى الأمر التحدث به ودعت الحاجة إليه فلا بأس، وقد ادعت امرأة أن زوجها عاجز عن إتيانها، فقال يا رسول الله: إني لأنفضها نفض الأديم.

فإذا توسع الزوج أو الزوجة في ذكر تفاصيل المباشرة وأفشى ما يجري بينهما من قول أو فعل، كان ذلك محرمًا.

فعن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى المرأة، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**» رواه أحمد.

وعن أبي هريرة ﷺ **أن** رسول الله ﷺ صلى، فلما سلم، أقبل عليهم بوجهه فقال: «**مجالسكم، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث فيقول: فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا؟ فسكتوا، فأقبل على النساء، فقال هل منكن من تحدث؟ فجثت فتاة كعب على إحدى ركبتيها، وتطاولت ليراها الرسول ﷺ وليسمع كلامها، فقالت: إي والله، إنهم يتحدثون، وإنهن ليتحدثن، فقال: هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة، لقي أحدهما صاحبه بالسكة، فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه**» روه أحمد، وأبو داود.

إتيان الرجل في غير المأتى:

إتيان المرأة في دبرها تنفر منه الفطرة، ويأباه الطبع، ويحرمه الشرع، قال الله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

والحرث: موضع الغرس والزرع، وهو هنا محل الولد؛ إذ هو المزروع،

فالأمر بإتيان الحرث أمر بالإتيان في الفرج خاصة.

قال ثعلب:

إنمـــا الأرحام أرضون لنا محترثات فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

وهذا كقول الله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وكقوله: «**أنى شئتم**» أي كيف شئتم.

وسبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري ومسلم: «أن اليهود كانت على عهد رسول الله ﷺ تزعم أن الرجل إذا أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، وكان الأنصار يتبعون اليهود في هذا، فأنزل الله عز وجل ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢]».

أي أنه لا حرج في إتيان النساء بأي كيفية، ما دام ذلك في الفرج، وما دمتم تقصدون الحرث.

وقد جاءت الأحاديث صريحة في النهي عن إتيان المرأة في دبرها، روى أحمد، والترمذي، وابن ماجه. أن النبي ﷺ قال: «**لا تأتوا النساء في أعجازهن، أو قال: في أدبارهن**» ورواته ثقات.

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال في الذي يأتي امرأته في دبرها «**هي اللوطية الصغرى**».

وعند أحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ملعون من أتى امرأة في دبرها**».

قال ابن تيمية: ومتى وطئها في الدبر، وطاوعته عزرا جميعًا، وإلا فرق بينهما كما يفرق بين الفاجر ومن يفجر به.

العزل وتحديد النسل[1]:

تقدم أن الإسلام يرغب في كثرة النسل، إذ أن ذلك مظهر من مظاهر القوة والمنعة بالنسبة للأمم والشعوب.

---

(١) العزل: هو أن ينزع الرجل بعد الإيلاج لينزل خارج الفرج منعًا للحمل.

وإنـــما الـــعزة للكـــاثر

ويجعل ذلك من أسباب مشروعية الزواج: «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

إلا أن الإسلام مع ذلك لا يمنع في الظروف الخاصة من تحديد النسل باتخاذ دواء يمنع من الحمل، أو بأي وسيلة أخرى من وسائل انجع.

فيباح التحديد في حالة ما إذا كان الرجل معيلا[1] لا يستطيع القيام على تربية أبنائه التربية الصحيحة.

وكذلك إذا كانت المرأة ضعيفة، أو كانت موصولة الحمل، أو كان الرجل فقيرًا.

ففي مثل هذه الحالات يباح تحديد النسل بل إن بعض العلماء رأى أن التحديد في هذه الحالات لا يكون مباحًا فقط؛ بل يكون مندوبًا إليه.

وألحق الإمام الغزالي بهذه الحالات حالة ما إذا خافت المرأة على جمالها، فمن حق الزوجين في هذه الحالة أن يمنعا النسل.

بل ذهب كثير من أهل العلم إلى إباحته مطلقًا واستدلوا لمذهبهم بما يأتي:

١- روى البخاري ومسلم عن جابر قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل.

٢- وروى مسلم عنه قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا.

وقال الشافعي رحمه الله: ونحن نروي عن عدد من أصحاب النبي ﷺ أنهم رخصوا في ذلك ولم يروا به بأسًا.

وقال البيهقي: وقد روينا الرخصة فيه عن سعد بن أبي وقاص، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وغيرهم. وهو مذهب مالك والشافعي وقد اتفق عمر وعلي رضي الله عنهما على أنها لا تكون موءودة

(١) المعيل: كثير العيال.

حتى تمر عليها التارات السبع، فروى القاضي أبو يعلى وغيره بإسناده عن عبيد بن رفاعة عن أبيه قال: جلس إلى عمر علي والزبير وسعد رضي الله عنهم في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وتذاكروا العزل، فقالوا لا بأس به، فقال رجل: إنهم يزعمون أنها الموءودة الصغرى، فقال علي ﷺ: لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات السبع، حتى تكون من سلالة من طين، ثم تكون نطفة، ثم تكون علقة ثم تكون مضغة، ثم تكون عظامًا ثم تكون لحمًا ثم تكون خلقًا آخر، فقال عمر ﷺ: صدقت أطال الله بقاءك.

ويرى أهل الظاهر أن منع الحمل حرام، مستدلين بما روته جذامة بنت وهب: أن أناسًا سألوا رسول الله ﷺ عن العزل؟ فقال: «**ذلك هو الوأد الخفي**».

وأجاب الإمام الغزالي عن هذا فقال: «ورد في الصحيح أخبار صحيحة في الإباحة، وقوله: «إنه الوأد الخفي» كقوله «الشرك الخفي» وذلك يوجب كراهيته كراهة لا تحريمًا.

والمقصود بالكراهة خلاف الأولى، كما يقال: يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغًا لا يشتغل بذكر أو صلاة، وبعض الأئمة كالأحناف يرون أنه يباح العزل إذا أذنت الزوجة، ويكره من غير إذنها.

حكم إسقاط الحمل:

بعد استقرار النطفة في الرحم لا يحل إسقاط الجنين بعد مضي مائة وعشرين يومًا، فإنه حينئذ يكون اعتداء على نفس يستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة[1].

أما إسقاط الجنين، أو إفساد اللقاح قبل مضي هذه المدة، فإنه يباح إذا وجد ما يستدعي ذلك، فإن لم يكن سبب حقيقي فإنه يكره.

---

(١) عن عبد الله قال: حدثني رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم ينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد**».

قال صاحب سبل السلام: «معالجة المرأة لإسقاط النطفة قبل نفخ الروح يتفرع جوازه وعدمه على الخلاف في العزل، فمن أجازه أجاز المعالجة، ومن حرمه حرم هذا بالأولى».

ويلحق بهذا تعاطي المرأة ما يقطع الحبل من أصله. انتهى.

ويرى الإمام الغزالي: أن الإجهاض جناية على موجود حاصل، قال: ولها مراتب، أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة؛ ازدادت الجناية تفاحشًا.

حديث أم زرع[١]

عن عائشة قالت: «جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن[٢]، وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا:

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث[٣] على رأس جبل[٤] لا سهل[٥]

---

(١) ذكر النسائي أن سبب هذا الحديث أن قالت عائشة: فخرت بمال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية، فقال النبي ﷺ «**اسكتي يا عائشة، فإني كنت لك كأبي زرع لأم زرع**».. وقيل سبب الحديث أن عائشة وفاطمة جرى بينهما كلام فدخل رسول الله ﷺ فقال: ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتي، إن مثلي ومثلك كأبي زرع مع أم زرع، فقالت: يا رسول الله حدثنا عنهما، فقال: كانت قرية فيها إحدى عشرة امرأة، وكان الرجال خلوفًا، فقلن: تعالين نتذاكر أزواجنا بما فيهم ولا نكذب.. وقيل إن هذه القرية كانت باليمين... وقيل إنهن كن بمكة... وقيل: إنهن كن في الجاهلية.

(٢) أي ألزمن أنفسهن عهدًا وتعاقدن على الصدق.

(٣) هزيل يستكره.

(٤) أي كثير الضجر شديد الغلظة يصعب الرقي إليه كالجبل.

(٥) أي لا هو سهل ولا سمين، شبهت شيئين بشيئين: شبهت زوجها باللحم الغث، وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر ثم فسرت ما أجملت: لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلاً، لأن الشيء المزهود فيه قد يؤخذ إذا وجد =

فيرتقى[١] ولا سمين فينتقل[٢].

وقالت الثانية: زوجي لا أبثُّ[٣] خبره. إني أخاف أن لا أذره[٤]. إن أذكره أذكر عُجَرَه[٥] وبُجَرَه[٦].

قالت الثالثة: زوجي العشنق[٧]: إن أنطق أطلق[٨]، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة[٩]، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد[١٠]، وإن خرج

= بغير نصب، ولا اللحم سمين فيتحمل المشقة في صعود الجبل لأجل تحصيله.

(١) وصف الجبل أي لا سهل فيرتقى إليه.

(٢) وصف اللحم: أي أنه لهزاله لا يرغب أحد فيه فينتقل إليه أي أن زوجها شديد البخل سيئ الخلق ميئوس منه.

(٣) أي لا أظهر حديثه الذي لا خير فيه.

(٤) أي أخاف أن لا أترك من خبره شيئًا، فلطوله وكثرته أكتفي بالإشارة إلى معايبه خشية أن يطول الخطب من طولها.

(٥) العجر: تعقد العروق والعصب في الجسد...

(٦) والبجر مثلها إلا أنها تكون مختصة بالتي تكون في البطن، قال الخطابي: أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة، ولعله كان مستور الظاهر رديء الباطن، وهي عنت أن زوجها كثير المعايب متعقد النفس عن المكارم...

(٧) المذموم الطول — أرادت أن له منظرًا لا مخبر، وقيل هو السيئ الخلق.

(٨) أي إن ذكرت عيوبه وبلغه ذلك طلقني، وإن أسكت عنها فأنا عنده معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة مع أنها متعلقة به وتحبه مع سوء خلقه.

(٩) تهامة بلاد حارة في معظم الزمان وليس فيها رياح باردة فيطيب الليل لأهلها النسبة لما كانوا فيه من أذى حرارتها.. فوصفت زوجها بجميل العشرة واعتدال الحال، وسلامة الباطن، فكأنها قالت لا أذى عنده ولا مكروه... وأنا آمنة منه فلا أخاف من شره... فليس سيئ الخلق فأسأم من عشرته. فأنا لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل.

(١٠) شبهته بالفهد لأنه يوصف الحياء وقلة الشر وكثرة النوم والوثوب، فهي وصفته =

أسد[١] ولا يسأل عما عهد[٢].

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف[٣]، وإن شرب اشتف[٤]، وإن اضطجع التف[٥] ولا يولج الكف ليعلم البث[٦].

قالت السابعة: زوجي غياياء. أو عياياء، طباقاء[٧]، كل داء له داء[٨] شجك[٩] أو فلّك[١٠] أو جمع كلا لك[١١].

قالت الثامنة: زوجي المس مس[١٢] أرنب، والريح ريح زرنب[١٣].

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد[١٤] طويل

= بالغفلة عند دخول البيت على وجه المدح له.

(١) أسد أي يصير بين الناس مثل الأسد فهي تريد أنه في البيت كالفهد في كثرة النوم والوثوب وفي خارجه كالأسد على الأعداء.

(٢) بمعنى أنه شديد الكرم كثير التغاضي لا يتفقد ما ذهب من ماله فهو كثير التسامح.

(٣) المراد باللف الإكثار منه. فعنده نهم وشره.

(٤) الاشتفاف في الشرب عدم الإبقاء على شيء من المشروب.

(٥) أي بكسائه وحده، وانقبض عن أهله إعراضه فهي حزينة بذلك.

(٦) البث هو الحزن أي لا يمد يده ليعلم ما هي عليه من حزن فيزيله، ويحتمل أن تكون أرادت أنه ينام نوم العاجز الفشل: أرادت أنه لا يسأل عن الأمر الذي تهتم به، وهو المباشرة الجنسية.

(٧) شك من راوي الحديث والعياباء الذي لا يضرب، ولا يلقح من الإبل، وبالمعجمة ليس بشيء، والطباقاء الأحمق.. أو هو الثقيل الصدر: فهي تصفه بأنه عاجز عن النساء ثقيل الصدر.

(٨) أي كل داء تفرق في الناس فهو فيه.

(٩) شجك: أي جرحك في رأسك وجراحات الرأس تسمى شجاجة.

(١٠) فلك: أي جرح جسدك.

(١١) أي أنه ضروب للنساء، فإذا ضرب إما أن يكسر عظمًا، أو يشج رأسًا أو يجمعهما.

(١٢) أي ناعم الجلد مثل الأرنب.

(١٣) الزرنب نبت طيب الريح.

(١٤) وصفته بعلو بيته وطوله، فإن بيوت الأشراف كذلك يعلونها ويضربونها في المواضع =

النجاد[١]، عظيم الرماد[٢] قريب البيت من الناد[٣].

قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك[٤] قليلات المسارح[٥] وإذا سمعن صوت المزهر[٦] أيقن أنهن هوالك[٧].

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، فما أبو زرع[٨]؟

أَنَاس[٩] من حلي أذني[١٠]، وملأ من شحم عضدي[١١] وبجحني فبجحت[١٢] إلى نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق[١٣] فجعلني في أهل صهيل[١٤]

= المرتفعة.

(١) النجاد: حمالة السيف، وهي تريد أنه أيضًا شجاع.

(٢) كناية عن الكرم.

(٣) أي وضع بيته وسط الناس ليسهل لقاؤه، وهو لا يحتجب عن الناس.

(٤) جمع مبرك وهو موضع نزول الإبل.

(٥) الموضع الذي تطلق لترعى فيه أي لا تخرج إلى المرعى إلا قليلا استعدادًا فنحوهن للضيوف.

(٦) آلة من آلات الطرب والغناء وهو العود.

(٧) فإذا رأت الإبل ذلك وسمعت ضرب العود أيقنت أنها هوالك، وأنها ستذبح للضيوف.

(٨) أي أن شأنه عظيم.

(٩) أناس: أي حرك وأثقل.

(١٠) المراد أنه ملأ أذنيها من أقراط من ذهب ولؤلؤ.

(١١) لم ترد العضد وحده، وإنما أرادت الجسم كله، وخصت العضد لأنه أقرب ما يلي بصر الإنسان من جسده أي كثرت نعمه عليها حتى سمن جسمها.

(١٢) المراد أنه فرحها ففرحت، وقيل عظمني فعظمت إلى نفسي.

(١٣) بشق: أي بشظف وجهد ومنه قول الله تعالى ﴿**لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**﴾ أي بعد جهد ومشقة.

(١٤) صهيل: أي خيل.

وأطيط[١] ودائس[٢] ومنق[٣] فعنده أقول فلا أقبح[٤]، وأرقد فأتصبح[٥]، وأشرب فأتقمح[٦]، أم أبي زرع، فما أم أبي زرع؟: عكومها[٧] رداح [٨]، وبيتها فساح[٩]، ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمسل[١٠] شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة[١١]، بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمها[١٢]، وملء كسائها[١٣] وغيظ جارتها[١٤] جارية أبي زرع، فما

---

(١) أطيط: أي إبل، وأصل الأطيط صوت أعواد المحامل، ويطلق الأطيط على كل شيء نشأ عن ضغط.

(٢) المراد أن عندهم طعامًا منتقى من الزرع الذي يداس في بيدره ليتميز الحب من السنبل.

(٣) المنق: الآلة التي تميز الحب وتنقيه مثل المنخل والغربال.

(٤) أي لكثرة إكرامه لها وتدللها عليه لا يرد لها قولا، ولا يقبح عليها ما تأتي به.

(٥) أي أنام الصبحة وهي نوم أول النهار، فلا أوقظ، إشارة إلى أن لها من يكفيها مؤنة بيتها ومهنة أهلها.

(٦) هو الشرب على مهل حتى تمتلئ وترتوي وهي تريد أنواع الأشربة من لبن وغير ذلك.

(٧) هي نمط تجعل المرأة فيها ذخيرتها ومتاعها - حقيبة -.

(٨) يقال للكتيبة الكبيرة رداح إذا كانت بطيئة السير، ويقال للمرأة إذا كانت عظيمة الكفل ثقيلة الورك رداح، أي أنها ثقيلة من ملئها.

(٩) فساح: واسع، والمعنى أنها وصفت أم زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث والقماش واسعة المال كبيرة البيت، والمرأة التي تكون على هذا الحال يكون ابنها صغيرًا لم يطعن في السن غالبًا فزوجها صغير.

(١٠) أرادت بمسلة الشطبة سيفًا سل من غمده، فمضجعه الذي ينام فيه في الصغر كقدر سل شطبة واحدة: وهي العود المحدود كالمسلة.

(١١) الجفرة: هي الأنثى من ولد المعز إذا كان سن أربعة أشهر، وفصل عن أمه وأخذ في الرعي فهي وصفت ابن زوجها بأنه خفيف الوطأة عليها، فإذا دخل بيتها وقت القيلولة مثلا لم يضطجع إلا قدر ما يسل السيف من غمده، وأنه لا يحتاج طعامًا من عندها، فلو طعم لاكتفى باليسير الذي يسد الرمق من المأكول والمشروب فهو ظريف لطيف.

(١٢) أي أنها بارة بهما.

(١٣) كناية عن كمال شخصها ونعمة جسمها.

(١٤) أي أنها تغيظ جارتها لما ترى من نعم وخير، والمراد بجارتها ضرتها أو المراد في =

جارية أبي زرع؟ لا تبث[١] حديثنا تبثيثًا[٢]، ولا تنقث[٣] ميراتنا تنقيثًا[٤] ولا تملأ بيتنا تقشيشًا[٥].

قالت خرج أبو زرع، والأوطاب[٦] تمخض[٧] فلقي[٨] امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلقيان من تحت خصرهما برمانتين[٩] فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلا سريًا[١٠] ركب شريًا[١١].

وأخذ خطيًا[١٢] وأراح[١٣] علي نعمًا ثريًا[١٤]، وأعطاني من كل رائحة زوجًا[١٥]، وقال كلي أم زرع وميري[١٦] أهلك، قالت فلو جمعت كل شيء

= الحقيقة شأن أغلب الجارات.

(١) لا تبث أي لا تظهر

(٢) أي لا تفش سرًا.

(٣) أي لا تسرع فيه بالخيانة ولا تذهبه بالسرقة، أو تحسن صنع الطعام.

(٤) الميرة: هي الزاد وأصله ما يحصله البدوي من الخضر ويحمله إلى منزله.

(٥) أي مصلحة للبيت مهتمة بتنظيمه وتنظيفه.

(٦) جمع وطب وهو وعاء اللبن.

(٧) إخراج الزبد من اللبن والمراد أنه خرج من عندها مبكرًا.

(٨) سبب رؤية أبي زرع للمرأة وهي على هذه الحالة أنها تعبت من مخض البن فاستلقت تستريح فرآها على هذه الحالة، وسبب رغبته في إنكاحها أنهم كانوا يحبون نكاح المرأة المنجبة.

(٩) المراد بالرمانة ثديها، وهذا دليل على أن المرأة كانت صغيرة السن وأن ولديها كانا يلعبان وهما في حضنها أو جنبها.

(١٠) أي من سراة الناس أي شريفًا.

(١١) فرسًا عظيمًا خيرًا، والشرى هو الذي يمضي في السير بلا فتور.

(١٢) هو الرمح.

(١٣) أي أتى بها إلى المراح وهو موضع مبيت الحاشية، وقيل معناه غزا فغنم فأتى النعم الكثيرة.

(١٤) أي كثيرة.

(١٥) المعنى أعطاني من كل شيء يذبح زوجًا أي اثنين من كل شيء من الحيوان الذي يرعى، وأرادت كذلك كثرة ما أعطاها.

(١٦) ميري أهلك، أي صليهم واسعي إليهم بالميرة وهي الطعام.

أعطانيه ما بلغ أصغر آنية[1] أبي زرع، قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**»[2]. رواه الشيخان والنسائي.

التحذير من التبرج

معناه:

التبرج تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه.

وأصله الخروج من البرج، وهو القصر، ثم استعمل في خروج المرأة من الحشمة وإظهار مفاتنها وإبراز محاسنها.

التبرج في القرآن:

وقد ورد التبرج في القرآن الكريم في موضعين:

الموضع الأول: في سورة النور. جاء فيه قول الله سبحانه: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

والموضع الثاني: ورد في النهي عنه والتشنيع عليه في سورة الأحزاب، في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

منافاته للدين والمدنية:

إن أهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوان اتخاذ الملابس وأدوات الزينة.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

والملابس والزينة هما مظهران من مظاهر المدنية والحضارة، والتجرد

---

(١) أي التي كان يطبخ فيها عند أبي زرع على الدوام والاستمرار من غير نفس ولا قطع.

(٢) وفي رواية بزيادة في آخره: إلا أنه طلقها، وإني لا أطلقك، وزاد النسائي في رواية: فقالت عائشة: يا رسول الله، بل أنت خير من أبي زرع.

عنهما إنما هو ردة إلى الحيوانية، وعودة إلى الحياة البدائية.

والحياة، وهي تسير سيرها الطبيعي، لا يمكن أن ترجع إلى الوراء، إلا إذا حدثت لها نكسة تبدل آراءها، وتغير أفكارها، وتجعلها تعود القهقرى ناسية أو متناسية مكاسبها الحضارية ورقيها الإنساني.

وإذا كان اتخاذ الملابس لازما من لوازم الإنسان الراقي، فإنه بالنسبة للمرأة ألزم، لأنه هو الحفاظ الذي يحفظ عليها دينها وشرفها وعفافها وحياءها.

وهذه الصفات ألصق بالمرأة، وأولى بها من الرجل، ومن ثم كانت الحشمة أولى بها وأحق.

إن أعز ما تملكه المرأة، الشرف، والحياء، والعفاف، والمحافظة على هذه الفضائل محافظة على إنسانية المرأة في أسمى صورها، وليس من صالح المرأة، ولا من صالح المجتمع أن تتخلى المرأة عن الصيانة والاحتشام، ولا سيما وأن الغريزة الجنسية هي أعنف الغرائز وأشدها على الإطلاق.

والتبذل مثير لهذه الغريزة ومطلق لها من عقالها.

ووضع الحدود والقيود والسدود أمامها مما يخفف من حدتها ويطفئ من جذوتها ويهذبها تهذيبا جديرا بالإنسان وكرامته، ومن أجل هذا عني الإسلام عناية خاصة بملابس المرأة، وتناول القرآن ملابس المرأة مفصلا لحدودها، على غير عادة القرآن في تناوله المسائل الجزئية بالتفصيل، فهو يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وتوجيه الخطاب إلى نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين دليل على أن جميع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الأمر، دون استثناء واحدة منهن، مهما بلغت من الطهر، ولو كانت في طهارة بنات النبي عليه الصلاة والسلام وطهارة نسائه.

ويولي القرآن هذا الأمر عناية بالغة ويفصل ذلك تفصيلا؛ فيبين ما يحل كشفه وما يجب ستره، فيقول: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ الآية [النور: ٣١].

حتى ولو كانت المرأة عجوزًا لا رغبة لها ولا رغبة فيها: يقول الله تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ[1] خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ [النور: ٦٠].

ويهتم الإسلام بهذه القضية، فيحدد السن التي تبدأ بها المرأة في الاحتشام، فيقول الرسول ﷺ: «**يا أسماء: إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه**».

والمرأة فتنة، ليس أضر على الرجال منها، يقول الرسول ﷺ: «**إن المرأة إذا أقبلت أقبلت ومعها شيطان، وإذا أدبرت أدبرت ومعها شيطان**».

وتجرد المرأة من ملابسها وإبداء مفاتنها يسلبها أخص خصائصها من الحياء والشرف ويهبط بها عن مستواها الإنساني.

ولا يطهرها مما التصق بها من رجس سوى جهنم.

يقول الرسول ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لَيُشَمّ من مسافة كذا وكذا**».

وفي عهد النبوة كان رسول الله ﷺ يرى بعض مظاهر التبرج، فليفت نظر النساء إلى أن هذا فسق عن أمر الله، ويردهن إلى الجادة المستقيمة، ويحمل الأولياء والأزواج تبعة هذا الانحراف، وينذرهم بعذاب الله.

---

(١) يستعففن: أي يستترن.

١- عن موسى بن يسار ﷺ قال: مرت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف[١] فقال لها أين تريدين يا أمة الجبار[٢]؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيبت؟ قالت: نعم، قال: فارجعي واغتسلي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل**»[٣].

وإنما أمرت الغسل لذهاب رائحتها.

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**أيما امرأة أصابت بخورًا**[٤] **فلا تشهدن العشاء**» أي: الآخرة. رواه أبو داود والنسائي.

٣- وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل[٥] في زينة لها في المسجد، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس: انهوا**[٦] **نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد، فإن بني اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد**»، رواه ابن ماجه.

وكان عمر ﷺ يخشى من هذه الفتنة العارمة، فكان يطب لها قبل وقوعها، على قاعدة «الوقاية خير من العلاج»، فقد روي عنه أنه كان يتعسس ذات ليلة فسمع امرأة تقول:

هــل مــن سبيل إلى خمر فأشربها   أم هل من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال: أما في عهد عمر فلا.

---

(١) يشتد طيبه، من عصفت الريح عصفًا وعصوفًا. اشتدت، فهي عاصف وعاصفة.

(٢) إلى أي مكان تذهبين يا مخلوقة القهار وأمته.

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الحافظ: إسناده متصل ورواته ثقات، ورواه أبو داود وابن ماجه، من طريق عاصم بن عبيد الله العمري.

(٤) عود الطيب أحرقنه.

(٥) تمشي خيلاء.

(٦) امنعوهن وحذروهن.

فلما أصبح استدعى نصر بن حجاج فوجده من أجمل الناس وجها، فأمر بحلق شعره فازداد جمالا، فنفاه إلى الشام:

سبب هذا الانحراف:

وقد سبب الجهل والتقليد الأعمى الانحراف عن هذا الخط المستقيم، وجاء الاستعمار فنفخ فيه وأوصله إلى غايته ومداه، فأصبح من المعتاد أن يجد المسلم المرأة المسلمة، متبذلة، عارضة مفاتنها، خارجة في زينتها، كاشفة عن صدرها ونحرها وظهرها وذراعها وساقها.

ولا تجد أي غضاضة في قص شعرها، بل تجد من الضروري وضع الأصباغ والمساحيق والتطيب بالطيب واختيار الملابس المغرية، وأصبح «لموضات» الأزياء مواسم خاصة يعرض فيها كل لون من ألوان الإغراء والإثارة.

وتجد المرأة من مفاخرها ومن مظاهر رقيها أن ترتاد أماكن الفجور والفسق والمراقص والملاهي، والمسارح والسينما، والملاعب والأندية والقهاوي، وتبلغ منتهى هبوطها في المصايف وعلى البلاج.

وأصبح من المألوف أن تعقد مسابقات الجمال تبرز فيها المرأة أمام الرجل. ويوضع تحت الاختبار كل جزء من بدنها، ويقاس كل عضو من أعضائها على مرأى ومسمع من المتفرجين والمتفرجات، والعابثين والعابثات، وللصحف وغيرها من أدوات الإعلام، مجال واسع في تشجيع هذه السخافات، والتغرير بالمرأة للوصول إلى المستوى الحيواني الرخيص، كما أن لتجار الأزياء دور خطير في هذا الإسفاف.

نتائج هذا الانحراف:

وكان من نتائج هذا الانحراف أن كثر الفسق، وانتشر الزنا، وانهدم كيان الأسرة، وأهملت الواجبات الدينية وتركت العناية بالأطفال، واشتدت أزمة الزواج، وأصبح الحرام أيسر حصولا من الحلال، وبالجملة فقد أدى هذا التهتك إلى انحلال الأخلاق وتدمير الآداب التي اصطلح الناس عليها في جميع المذاهب والأديان.

وقد بلغ هذا الانحراف حدا لم يكن يخطر على بال مسلم، وتفنن دعاة التحلل والتفسخ، واتخذوا أساليب للتجميل واستعمال الزينة، ووضعوا لها منهجا وأعدوا معاهدًا لتدريس هذه الأساليب.

نشرت جريدة الأهرام تحت عنوان «مع المرأة» ما يلي: «أول معهد لتدريس تصفيف شعر السيدات في الإسكندرية»، «خبير ألماني يقوم بالتدريس في المعهد بعد شهر».

لأول مرة تقيم رابطة مصففي شعر السيدات في الإسكندرية معهدًا لتصفيف شعر السيدات. أقيم المعهد من تبرعات أعضاء الرابطة، تبرع أحدهم «بسشوار» وتبرع آخر ببعض المكاوي ودبابيس الشعر والفرش.. وهكذا تكون المعهد بعد أن استأجرت له الرابطة شقة صغيرة ليكون نواة معهد كبير في المستقبل.

وقد أصدرت الرابطة «أمر تكليف» إلى جميع أعضائها «أصحاب المهنة» بالحضور لإلقاء المحاضرات النظرية، والقيام بالتجارب والدروس العملية أمام طلاب المعهد.

افتتح المعهد صباح أمس في مقر الرابطة في كليوباترة، أحد أعضاء الرابطة بإلقاء محاضرة في كيفية قص الشعر، وبعض الطرق في فن القص، ثم قام بعمل تسريحة جديدة عن تصميمه سماها «الشعلة» لإحدى «المانيكانات» وكان يشرح التسريحة وهو يقوم بها.

سيدرس في المعهد فن تصفيف الشعر، والصباغة، والألوان، والقص، وتقليم الأظافر، والمساج، والتدليك.

«يقول رئيس الرابطة في القاهرة وضيف رابطة الإسكندرية: إنه أنشأ مثل هذا المعهد في القاهرة منذ ٥ أشهر، ورغم قصر المدة أحرز المعهد نتيجة مشرفة، إذ أن الطلبة والطالبات يستفيدون من تبادل الأفكار بين أعضاء الرابطة، ومن عرض التسريحات وشرحها أمامهم، مما يرفع مستوى المهنة؛ كما استفادوا أيضًا من حضور بعض الخبراء الألمان ومحاضراتهم

العملية والنظرية أمام الطلبة، وسوف يحضر خبير ألماني إلى معهد الإسكندرية في الشهر القادم، كما تعقد الرابطة في الشهر نفسه مسابقة للحصول على جائزة الجمهورية في فن تصفيف الشعر، وستكون الدراسة في المعهد أسبوعية بصفة مبدئية» انتهى ما نشر بالأهرام.

هذا فضلا عن الأموال الطائلة التي تستهلك في شراء أدوات التجميل، فقد بلغ عدد الصالونات في القاهرة وحدها ألف صالون لتصفيف وتجميل الشعر، ويوزع في العام ١٠ ملايين قلم روج وعطر وبودرة.

ولم يقتصر هذا الفساد على ناحية دون ناحية، بل تجاوزها إلى دور العلم ومعاهد التربية وكليات الجامعة... وكان المفروض أن تصان هذه الدور من الهبوط حتى تبقى لها حرمتها وكيانها المقدس، فقد جاء في صحيفة أخبار اليوم بتاريخ ١٩٦٢/٩/٢٩ ما يلي:

فتاة الجامعة لا تفرق بين حرم الجامعة وصالة عرض الأزياء:

في هذه الأيام من كل عام، عندما تعلن الجامعة عن افتتاح أبوابها.. تبدأ الصحف والمجلات في الكتابة عن الفتاة الجامعية وتثار المناقشات حول زيها ومكياجها... فيطالب البعض بتوحيد زيها، وينادي آخرون بمنعها من وضع المكياج، قالت الكاتبة وأنا لا أؤيد هذه الآراء؛ لإيماني بأن اختيار الفتاة لأزيائها ينمي من شخصيتها، ويساعد على تكوين ذوقها... والفتيات في معظم جامعات الخارج لا ترتدين زيًا موحدًا، ولا يحرمن من وضع المكياج، ولكن مع هذا لا ألوم كثيرًا أصحاب هذه الآراء المتطرفة... فالفتاة الجامعية عندنا تدفعهم إلى المطالبة بذلك؛ لأنها لا تعرف كيف تختار الزي والماكياج المناسبين لها كطالبة، ولا تبذل أي مجهود في هذا السبيل... إنها لا تفرق كثيرًا بين حرم الجامعة وصالة عرض الأزياء، أو الكرنفال... فهي تذهب إلى الجامعة في «عز الصباح» بفستان ضيق يكاد ضيقه يمنعها من الحركة، مع الكعب العالي الذي ترتديه.. وعندما تغيره تستبدل به فستانا واسعا تحته أكثر من «جيبونة» تشل بدورها حركة صاحبتها، وتجعلها أشبه بالأباجورة المتحركة، وهي فوق هذا -إن نسيت كتبها ومجلد محاضراتها- فهي لا تنسى

أبدًا الخنق، والعقد، والسوار، والبروش، الذي تحلي بها أذنيها وصدرها وذراعيها وشعرها في غير تناسق أو ذوق.

ثم مضت الكاتبة تقول: وهذا كله يرجع في رأيي إلى أن الفتاة الجامعية عندنا لا تأخذ الدراسة الجامعية مأخذ الجد.. فهي تضع فوقها زينتها وأناقتها والمفروض أن يكون العكس هو الصحيح، في وقت نالت فيه ثقافة المرأة أعلى تقدير! ليس معنى هذا أنني أطالب الفتاة الجامعية بإهمال ملابسها وزينتها... إنني أطالب بالاهتمام أولا بدروسها، ثم بتخفيف ماكياج وجهها، إن لم يكن مراعاة لحرم الجامعة، فعلى الأقل مراعاة لبشرتها التي يفسدها كثرة الماكياج، في سن تكون نضارة الوجه فيها أجمل بكثير من الماكياج المصطنع... ثم بعد ذلك أطالبها بالحد من استعمال الحلي، وبارتداء الملابس البسيطة التي تناسب الفتاة الجامعية كالفستان «الشيزييه» و«التايير» ذي الخطوط البسيطة، والفستان الذي تنسدل جوبته إلى أسفل، وفي وسع خفيف لا يعرقل حركتها. والجوب والبلوزة، أو الجوب والبلوفر، أو الجوب والجاكت -وأن ترعى في اختيارها لهذه الأزياء الألوان الهادئة التي لا تثير «القيل والقال» بين زملائها الطلبة.

«إنني أطالب الفتاة الجامعية باتباع هذا، وأطالب أولياء أمورها بضرورة الإشراف التام على ثياب بناتهم، فالفتاة في المعهد الجديد لم يعد هدفها الأول والأخير في الحياة جلب الأنظار إليها «الدندشة والشخلعة»، «إنها اليوم يجب أن تصقل بالثقافة والعلم والذوق السليم». فلم يعد أقصى ما تصبو إليه هو مكتب سكرتيرة تجلس عليه لترد على تليفونات المدير، وإنما المجال قد فتح أمامها وجلست إلى مكتب الوزارة».

هذا ما قالته إحدى الكاتبات في الأخبار، وهي تعتب على بنات جنسها، وتنعي عليهم هذا التصرف المعيب.

وهذه الحالة قد أثارت اهتمام زائرات القاهرة من الأجنبيات، إذ لم تكن المرأة الغربية تفكر في مدى الانحدار الذي تردت فيه المرأة الشرقية.

ففي «الأهرام» ٢٧ مارس ١٩٦٢ جاء فيه في باب «مع المرأة» هذا العنوان: «المرأة الغربية غير راضية عن تقليد المرأة الشرقية لها».

وجاء تحت هذا العنوان: «اهتمام المرأة العربية الموادت الغربية، وحرصها على تقليد المرأة الغربية في تصرفاتها، وفي طباعها، لا تستسيغه السائحات الغربيات اللائي يحضرن لزيارة القاهرة، ولا يرفع من سمعتها في الخارج كما تظن، أفصحت عن ذلك الرأي صحفية إنجليزية زارت القاهرة أخيرًا وكتبت مقالا في مجلتها تقول فيه:

«لقد صدمت جدا بمجرد نزولي أرض المطار، فقد كنت أتصور أنني سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة، ولا أقصد بهذا المرأة التي ترتدي الحجاب والحبرة، وإنما المرأة الشرقية المتحضرة التي ترتدي الأزياء العملية التي تتسم بالطابع الشرقي، وتتصرف بطريقة شرقية، ولكنني لم أجد شيئًا من هذا، فالمرأة هناك، هي نفسها المرأة التي تجدها عندما تنزل إلى أي مطار أوروبي. فالأزياء هي نفسها بالحرف الواحد، وتسريحات الشعر هي نفسها، والماكياج هو نفسه، حتى طريقة الكلام والمشية، وفي بعض الأحيان اللغة: إما الفرنسية أو الإنجليزية».

«وقد صدمني من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضر هو تقليد المرأة الغربية، ونسيت أنها تستطيع أن تتطور وأن تتقدم كما شاءت، مع الاحتفاظ بطابعها الشرقي الجميل».

وفي «الجمهورية» السبت ٩يونيو ١٩٦٢ نشر تحت هذا العنوان: «كاتبة أمريكية تقول: امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية المرأة».

نقلت الصحيفة؛ تحت هذا العنوان كلاما ثمينًا صريحًا، وقد بدأت فقدمت الكاتبة الأمريكية للقراء، فقالت:

«غادرت القاهرة الصحفية الأمريكية «هيلسيان ستانسبري» بعد أن أمضت عدة أسابيع هنا، زارت خلالها المدارس، والجامعات، ومعسكرات الشباب والمؤسسات الاجتماعية، ومراكز الأبحاث، والمرأة، والأطفال

وبعض الأسر في مختلف الأحياء، وذلك في رحلة دراسية لبحث مشاكل الشباب والأسرة في المجتمع العربي، «وهيلسيان»» صحفية متجولة، تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية، ولها مقال يومي، يقرأه الملايين، ويتناول مشاكل الشباب تحت سن العشرين، وعملت في الإذاعة والتليفزيون وفي الصحافة أكثر من عشرين عاما، وزارت جميع بلاد العالم، وهي في الخامسة والخمسين من عمرها».

تقول الصحفية الأمريكية بعد أن أمضت شهرا في الجمهورية العربية بعد أن قدمتها الجريدة هذا التقديم:

«إن المجتمع العربي مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم؛ وتحتم أكثر من ذلك، عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا».

ولذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة وأقصد ما تحت سن العشرين هذه القيود صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة؛ بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحة وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا.

امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعا معقدًا، مليئا بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين، يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية.

إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات «جيمس دين» وعصابات للمخدرات، والرقيق.

إن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوربي والأمريكي هدد

الأسر، وزلزل القيم والأخلاق؛ فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمع الحديث تخالط الشبان، وترقص «تشاتشا» وتشرب الخمر والسجاير، وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية.

والعجيب في أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلعب، تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بل وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها، تتحداهم باسم الحرية والاختلاط، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق، تتزوج في دقائق، وتطلق بعد ساعات!! ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء وعشرين قرشا وعريس ليلة؛ أو لبضع ليال، وبعدها الطلاق، وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى».

علاج هذا الوضع الشاذ:

ولا مناص من وضع خطة حازمة للخلاص من هذه الموبقات، وذلك باتخاذ ما يأتي:

١- نشر الوعي الديني وتبصير الناس بخطورة الاندفاع في هذا التيار الشديد.

٢- المطالبة بسن قانون يحمي الأخلاق والآداب، ومعاقبة من يخرج عليه بشدة وحزم.

٣- منع الصحف وجميع أدوات الإعلام من نشر الصور العارية، ووضع رقابة على مصممي الأزياء.

٤- منع مسابقات الجمال والرقص الفاجر، وتحقير كل ما يتصل بهذا الأمر.

٥- اختيار ملابس مناسبة أشبه بملابس الراهبات، وتكليف كل من يشتغل بعمل رسمي بارتدائها.

٦- يبدأ كل فرد بنفسه، ثم يدعو غيره.

٧- الإشادة بالفضيلة والحشمة والصيانة والتستر.

٨- العمل على شغل أوقات الفراغ حتى لا يبقى متسع من الوقت لمثل هذا العبث.

٩- اعتبار الزمن جزء من العلاج إذا أنها تحتاج إلى وقت طويل.

دفع شبهة:

ويحلو لبعض الناس أن يسايروا التيار ويمشوا مع الركب، زاعمين أن ذلك تطور حتمي اقتضته ظروف المدنية الحديثة.

ونحن لا نمنع أن يسير التطور في طريقه، وأن يصل إلى مداه: ولكنا نخشى أن يفسر التطور على حساب الدين والأخلاق والآداب، فإن الدين وما يتبعه من تعاليم خلقية وأدبية؛ إنما هو من وحي الله، شرعه لكل عصر ولكل زمان ومكان... فإذا كان التطور جائزًا في أمور الدنيا، وشئون الحياة، فليس ذلك مما يجوز في دين الله.

إن الدين نفسه هو الذي فتح للعقل الإنساني آفاق الكون، لينظر فيه، وينتفع بما فيه من قوى وبركات، ويطور حياته لتصل إلى أقصى ما قدر له من تقدم ورقي... فثمة فرق كبير بين ما يقبل التطور وبين ما لا يقبله... والدين ليس لعبة تخضع للأهواء، وتوجهها الشهوات والرغبات[١].

تزين الرجل لزوجته:

من المستحب أن يتزين الرجل لزوجته؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف[٢] كل حقي الذي لي عليها، فتستوجب حقها الذي لها عليَّ، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

قال القرطبي في قول ابن عباس هذا: قال العلماء:

«أما زينة الرجال فعلى تفاوت أحوالهم، فإنهم يعملون ذلك على الليق[٣] والوفاق، فربما كانت زينة تليق في وقت ولا تليق في وقت، وزينة تليق

(١) أطلنا القول في هذا الموضوع: لأهميته، ولأنه إحدى المشكلات الاجتماعية التي تحتاج إلى المزيد من العناية.

(٢) أستنظف: آخذ الحق كله.

(٣) الليق: اللياقة والحذق.

بالشباب، وزينة تليق بالشيوخ ولا تليق بالشباب».

قال: «وكذلك في شأن الكسوة، ففي هذا كله ابتغاء الحقوق، فإنما يعمل اللائق والوفاق؛ ليكون عند امرأته في زينة تسرها، ويعفها عن غيره من الرجال».

قال: «وأما الطيب، والسواك، والخلال، والرمي بالدَّرَن [١] وفضول الشعر، والتطهر، وقلم الأظافر، فهو بين موافق للجميع».

والخضاب للشيوخ، والخاتم للجميع من الشباب والشيوخ زينة، وهو حلى الرجال.

ثم عليه أن يتوخى أوقات حاجتها إلى الرجال فيعفها، ويغنيها عن التطلع إلى غيره... وإن رأى الرجل من نفسه عجزا عن إقامة حقها في مضجعها، أخذ من الأدوية التي تزيد في باهه، وتقوي شهوته حتى يعفها[٢].

---

(١) الدرن: الوسخ.

(٢) درج بعض الناس على تعاطي المخدرات كالحشيش والأفيون وسواها واستناموا لها استنامة لا إفاقة منها وهم في الحقيقة جانون على أنفسهم، وعائلاتهم جناية ليست وراءها جناية. ومن المؤسف أنهم يترخصون في هذا إشباعًا لشهواتهم وخضوعًا لأهوائهم وقد ذهب العلماء إلى أن الحشيش محرم وأن متعاطيه يستحق حد شارب الخمر وأن مستحله كافر مرتد عن الإسلام، وإن زوجته تبين منه، هذا فضلا عن إضعافه البدن فيفقد نشاطه وقوته.



الفصل الثاني
بدع الأفراح
وحكم الغناء والمعازف

بدع الأفراح[1]

الفرح: هو نقيض الحزن، قال ثعلب: هو أن يجد في قلبه خفة، ويطلق عليه: السرور، ويتحقق في كل أمر استقبله القلب بخفة واستراح إليه، ويكون ذلك في الأعراس، وعند قدوم الحاج، وساعة البشرى بميلاد طفل، والنجاح في الاختبارات والأعمال، وغير ذلك مما يسر الإنسان بقدومه.

والناس في ظل نشوة الفرح والسرور يؤدون أعمالاً يخرجون بها عن السنة المطهرة، فيبتدعون فيما تميل إليه قلوبهم، ويمليه عليهم شياطين الإنس والجن، وأشهر ما استحدثه الناس في ذلك ما يلي.

أشهر بدع الأفراح:

نقتصر هنا على بدع الأعراس، لأنها أكثر انتشارًا بين الناس وهي:

١- خضاب العروسين بالحناء قبل ليلة الزفاف:

هذا الأمر استحدثه كثير من الناس، وبخاصة في محيط العوام منهم، حيث يجتمع أهل العريس وأصدقاؤه، قبل الزفاف بليلة، ويقوم المزين (الأسطى الحلاق) فيخضب يديه ورجليه بالحناء، وهذا حرام على الرجال إلا بعذر.

وتصنع القابلة بالعروس مثل ذلك، وذلك من أفعال الجاهلية، وفي هذا الأمر دعوة إلى الغناء غير المشروع، واختلاط الرجال بالنساء، وهذا منكر لا يخفى.

٢- الاستحمام ليلة الزفاف أمام الناس مع كشف العورة:

يقوم الأسطى المزين بغسل العريس وهو مكشوف العورة أمام الناس، وكذلك تفعل القابلة بالعروس، والرجال حول الرجل، والنساء حول الفتاة يغنون ويصفقون، ولا يخفى ما في هذه البدعة من لعنة تقع على الناظر والمنظور، وهذا من فعل الجاهلية أيضًا.

---

(١) السنة والبدعة للدكتور فؤاد مخيمر -رحمه الله تعالى-.

٣ـ اختلاط الرجال بالنساء في وقت زفاف العروسين:

هذه معصية فضلاً عن كونها بدعة محرمة، لأن الاختلاط وسيلة إلى الفساد، ومظهره معلوم لانتشاره في الشوارع والنوادي، ودور اللهو، ومعلوم أن الآثام تضاعف لتبرج النساء، وخروجهن في زينة محرمة والنصوص القاضية بالتحريم كثيرة.

هذا، وثمة مظهر لا يخفى على ذي لب وبصر حيث يجتمع المدعوون رجالاً ونساءً في النوادي والفنادق، ودور المناسبات، والرجال والنساء يتزينون، ويستعرضون أنفسهم أمام بعضهم، ويقع الاختلاط، وتنسجم امرأة مع غير زوجها في الحديث، أو تعجب به في حركاته ورقصاته، وتزوغ الأبصار من الرجال والنساء، والشباب والفتيات، ويركب الشيطان متن الفتنة، من كان له أنف فيه حس الشمم أخذته الغيرة، والمرأة التي ترى زوجها في موقف مهين يتحرك فيها حس الغيرة فتقع الفتنة بين بعض الرجال مع نسائهم، قد تنتهي بالطلاق، أو كآبة الحياة الاجتماعية.

وإن فقد الرجل حسه فسكت عن منكرات زوجته كان ديوثًا، ويكفيه إهانة من النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة ديُوث**، قالوا: وما الديوث يا رسول الله؟ **قال: الذي لا يغار على أهله**» أو كما قال.

وناهيك عن فعل الشباب مع الفتيات، وعقد الاتفاقيات والمقابلات غير المشروعة، وكل ذلك فساد لا شك فيه.

أما العروسان فإنهما يزفان في موكب من شياطين الإنس والجن فترفع الرحمة، وتعم اللعنة، وتبدأ الحياة الزوجية من أول لحظة في غم وكرب ونكد، لأن الشياطين حلت وسكنت، والملائكة ارتفعت.

٤ـ عقد الزواج في النوادي والفنادق وهجر المساجد:

هذا الأمر يعد مخالفة شرعية، وجريمة خلقية حيث تؤدي إلى فساد بسبب التبرج، واختلاط الرجال بالنساء، فضلاً عن وسائل الفساد الأخرى التي سبق التنويه عنها آنفًا، يضاف إلى ذلك التبذير والسفه، والاعتداء على الحدود الشرعية، وهذه كلها أمور ظاهرة وملموسة، ونتاج الفساد منها يغني

عن الدليل.

لكن ما أود أن أنوه عنه أن السنة الرشيدة في ذلك أن يجتمع أهل العروسين في بيت من بيوت الله -عز وجل- وبعد الصلاة والناس على طهارة يلقي فيهم أحد العلماء موعظة دينية تربوية، ثم يدعو الله تعالى لهما بأن يجمع الله بينهما في حلال، وعلى مائدة الطاعة، وأن يقيهما الله شرور الإنس والجن، ويمنحهما الذرية الصالحة النافعة، ويعم الدعاء جميع الحاضرين، وأبناء المسلمين جميعًا، ثم يتولى العقد الشرعي الذي يتضمن الإيجاب والقبول، وبذلك يتمم الله الخير بإشهار الزواج، ثم ينصرف العريس (الزوج) لأخذ عروسه من بيت أسرتها إلى البيت الجديد تحرسهما عناية الله وملائكته، ويتم ذلك من غير معصية، بل الكل على مائدة الطاعة.

بارك الله في أبناء المسلمين ووفقهم إلى طاعته.

٥- الإعراض عن الزواج مع توفر القدرة:

النكاح سنة مؤكدة، لأن من ثماره تعمير الكون لممارسة مهام الخلافة على الأرض والعبودية لله وحده، ومن ثماره أيضًا الولد الصالح الذي يكون عونًا لوالديه في حياتهما، والدعاء لهما بعد مماتهما.

والإسلام يؤكد النكاح ويعده ضرورة متى توفرت القدرة الصحية والمالية، فتركه يعد بدعة منكرة؛ ذلك؛ لأن النبي ﷺ هدد صاحبه (عكافًا) وأخبره أن من تركه كان من رهبان النصارى، وقال ﷺ: «**إن من سنتي النكاح، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

هذا، ومن المعلوم أن الإعراض عن النكاح مع القدرة يؤدي إلى إفساد الحياة، وبخاصة في سن المراهقة عند الجنسين، فأين تفرغ الشهوة؟

إن العربدة، والتردد على النساء في الحرام يجلبان الأمراض العصرية الفتاكة. كمرض (الإيدز) وغيره، فتنتشر في المجتمع المسلم فتفتك به، وتذيقه مرارة الذل، وكل ذلك يؤدي إلى أمراض نفسية وعصبية يذهب في ظلها الدين، ويضعف المجتمع، ويتفتت، وهذا ما يسعى إليه أعداء الإسلام في داخل البلاد وخارجها.

إن ما يعقد من مؤتمرات باسم المرأة لحمايتها ظاهرها وباطنها تدمير المرأة، ودعوة المجتمعات -وبخاصة الإسلامية- إلى الفساد.

ومن ثم وجب علينا أن نحذر من مخططات أعدائنا، وأن نتبع هدي نبينا محمد ﷺ لأن فيه الخير وسعادة أمته في الدنيا والآخرة.

٦- الإعراض عن صاحب الدين واختيار الأغنياء المنحرفين:

السنة عند اختيار الزوج أو الزوجة أن يقدم في الاختيار صاحب الدين والخلق زوجًا كان أم زوجة وفي ذلك أخرج الترمذي من حديث رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**» هذا شأن اختيار الزوج.

وفي شأن اختيار الزوجة أخرج البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي، من حديث النبي ﷺ أنه قال: «**تنكح المرأة لأربع: لجمالها، ومالها، وحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك**» ومعنى (تربت يداك) أي: التصقت بالتراب فقرًا إن لم تختر ذات الدين، ومعنى آخر: أي: امتلأت يداك بالذهب والخير إن سمعت وأطعت.

فالإسلام يحرص على التمسك بأصحاب الدين، ليؤسس البيت المسلم من أول لحظة على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

فعندما يقع الاختيار وفقاً للهوى، ونظرات الناس إلى وفرة المال والجمال مع التجرد من الدين، عندئذ تقع الفتنة؛ لأن فساد الخلق -غالبًا- يكون بسبب المال والجمال والحسب.

والإسلام لا يمنع أن يكون مع الدين جمال، أو مال، أو حسب أو كلها تجتمع مع الدين؛ لأن الدين يعصم صاحبه من زلات الفتن، فيضبط شئون الحياة وفق معايير الإسلام وحدوده.

ومن ثم يعد اختيار الزوجين كل منهما الآخر بعيدًا عن الدين من البدع المنكرة، لمخالفة ذلك لتوجيهات النبي ﷺ لأنه هو القائل: «**تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**».

وقانا الله الفتن ما ظهر منها وما بطن.

٧ـ تجاوز الحدود الشرعية بعد الخطبة في الخلوة المحرمة:

هذا لون من ألوان الفساد انتشر في مجتمعنا المعاصر، حيث يعتبر كثير من الأسر الخطبة، ولبس الدبلة مسوغًا اجتماعيًا يستحل بها العريس أن يختلي بالعروس باسم التعارف والتجربة، مع أنه أجنبي عنها قبل العقد.

والإسلام يضبط الحدود الشرعية بين العروسين، فإذا تم العقد الشرعي، وتأجل الزفاف الذي به يشهر البناء بالزوجة، يحرم على الزوج أن يتصل بها جنسيًا إلا بعد هذا الإعلان، حتى لا تتهم في عرضها إن حدث حمل قبل إعلان الزفاف، لأن بعض أصحاب النفوس الخسيسة قد يتصل بزوجته قبل إعلان البناء بها، وهي في بيت أهلها فتحمل منه، ولأدنى سبب خلافي بينهما يتبرأ من الحمل فيشتعل لهيب الفتنة.

فالإسلام يتدخل لضبط هذه المعايير، وذلك فيما أخرجه أحمد والترمذي وحسنه، أن النبي ﷺ قال: «**أعلنوا النكاح، واضربوا عليه بالدف**».

والمراد بالدف: الآلة التي تسمى بالرق بدون جلاجل.

ومن ثم كان تجاوز هذه الحدود من البدع المنكرة لمخالفة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم -رضي الله عن الجميع-.

٨ـ لبس الرجال الدبلة الذهب والحرير وهما محرمان عليهم:

الذهب والحرير حلالان للإناث، ومحرمان على الذكور، ومعلوم أن خاتم الفضة حلال للرجال، ولذا فلا بأس أن تكون دبلة المرأة من الذهب، ودبلة الرجل من الفضة، إذا اعتبرنا الدبلة نوعًا من التختم لاتفاق العرف عليها، وحلها من الفضة للرجال باعتبار حل الخاتم الفضة.

فالبدعة التي يعد صاحبها عاص هي أن يلبس الرجال دبلة من الذهب، والملابس الحريرية، لأن ذلك محرم على الرجال بنص حديث النبي ﷺ.

٩ـ الإسراف في الجهاز المنزلي ومطالب الزوجية:

من الأمور التي ينشأ عنها إحجام كثير من الشباب عن الزواج الإسراف في جهاز بيت الزوجية، وكثرة المطالب التي لا تعد من أساس الحياة

وضرورتها ولكنها ضرب من التباهي والتفاخر ومجاراة الناس، والتأسي بهم، وترك التأسي برسول الله ﷺ في زواج ابنته فاطمة التي ما زاد جهازها عن ضروريات الحياة فقط، وكان أدنى من المتوسط من نظيراتها في ذلك العصر، كيف لا؟ وأبوها هو خير الناس وأفضلهم، وهو القائل فيما رواه عنه أحمد وأبو داود من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنه ﷺ قال: «**أيسرهن مهرًا أكثرهن بركة**»، وفي رواية: «**أبركهن أيسرهن مئونة**».

هذا هدي النبي ﷺ ولكن كثيرًا من الناس ألفوا المظاهر الكاذبة التي تفتح عليهم أبواب الخلاف، وتعسر طريق الزواج، ومن ثم تنشأ الفتن بين الناس بسبب الطعن في الأعراض.

إن الإسراف في الجهاز ومطالب الزوجية يتطلب مسكنًا واسعًا متعدد الغرف، مرتفع القيمة، وغالبًا ما يكون ذلك تكليفًا بما لا يطاق وذلك ممنوع شرعًا، لأنه إذا كان في حق الله تعالى محال، فهو في حق العباد أشد منعًا، فكيف يكلف البشر بعضهم بعضًا فوق طاقتهم؟

إن الأصل في النكاح المتعة الشرعية وإنجاب الأبناء، وبناء حياة اجتماعية على أساس من الدين الحنيف، فمتاع البيت عرض زائل، ومظهر كاذب لا قيمة له في ضبط قلبي الزوجين على المحبة، بل الغالب أنه يكون سببًا في نكسة الحياة الزوجية، ويؤدي أيضًا إلى إرهاق الزوجين وبخاصة الزوج بالديون التي يضيق بها الصدر، فيتنكد صفو الحياة الزوجية.

وليس المراد من هذا التوجيه هو التضييق على بعض القادرين من تجهيز بيت الزوجية جهازًا يتناسب مع كيانهم الاجتماعي.

بل أقول لأولئك: لا بأس أن توسعوا على أنفسكم مع المحافظة على الاعتدال، بأن تتجنبوا السفه والتبذير الحرام، وعليكم أن تساعدوا غيركم إن توفرت لديكم القدرة، لتساهموا في تفريج كربات الفقراء لتتسع دائرة التكافل الاجتماعي في ظل الأخوة الإيمانية.

هدانا الله إلى رشدنا.

١٠- الخلوة بغير أم الزوجة:

أم الزوجة محرمة على التأبيد على زوج ابنتها، فلو جلس معها في مكان واحد فلا شيء عليهما.

أما أخت الزوجة، وعمتها، وخالتها فكلهن لسن من محارم الزوج بل يصبحن حلالاً له بعد موت زوجته أو طلاقها، ولذا يحرم الخلوة بهن.

وقد سئل النبي ﷺ عن الخلوة بالحمو، فقال: «**الحَمو الموت**» والحمو: أقارب الزوج والزوجة من غير المحرمين على التأبيد.

والإسلام بذلك يحرص على صيانة الأعراض، وصرف الأقارب بعيدًا عن مواطن الشبهات والفتن.

فكم من أخت كانت سببًا في طلاق أختها لتتزوج زوجها لما حدث بينهما من الإعجاب بسبب الاختلاط، فما بالنا بالخلوة، وكذلك الحال في العمة والخالة.

ومن ثَمَّ فإن اتباع الهدي النبوي هداية وصيانة، وفي المخالفة، معصية وغواية.

١١- فض البكارة بالإصبع، وهتك الأعراض:

السنة النبوية الرشيدة تدعو الزوج إلى فض البكارة بعضو الذكورة دون ألم، أو فضيحة، لأن هذا الأمر يعد من أسرار الزوجين فقط دون أن يطلع عليهما أحد، ولو أدى الأمر أن تبقى الزوجة أيامًا مع زوجها بكرًا يلاعبها وتلاعبه، ويمزح معها، ويؤنسها وتؤنسه حتى تزول البكارة بالوضع الطبيعي.

أما ما يفعله بعض العوام والجهال في شأن فض البكارة بالإصبع فيعد جناية وحشية لا تليق بزوجين في بداية حياتهما متناسين تجاهلاً ما جعله الله بينهما من المودة والرحمة، وذلك قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

هذا، وقد يكون فض البكارة باليد سببًا في بعض العلل التي منها عقم

الزوجة، والنزيف الذي قد يستمر مدة طويلة، فضلاً عن الخوف والرعب وفضيحة انكشاف عورة المرأة أمام الناظرين.

والحمد لله رب العالمين أرى أن هذه البدعة المحرمة، والعادة السيئة كادت أن تنقرض في كثير من القرى، وعند العوام، ولم يقم بفعلها إلا طائفة لا عقول عندهم تعي خطورة هذه الجريمة.

١٢- مرور بعض النسوة حاملات دم البكارة بعد فضها:

هذه عادة جاهلية لا أصل لها في دين الله تعالى، ذلك؛ لأن دم البكارة عورة يجب ستره بين العروسين فقط، وليس لأحد عليه سلطان.

فالطواف بالقماش الأبيض المنقوش عليه دم البكارة بعد فضها بدعة منكرة، حيث يؤدي إلى كشف ما ستره الله من عورات النساء، وكذلك فإن ما يفعل في أثناء الطواف من المنكرات من اختلاط النساء بالرجال، والفتيات بالشباب مع الغناء والزغاريد، كل ذلك أمور محرمة يجب تجنبها.

وهذه من العادات التي ماتت في الأوساط الراقية تدينا وعلمًا ما عدا الأوساط الفقيرة التي تجنح إلى فعل المنكرات لفشو الجهل بينهم.

١٣- صلاة العروس ركعتي التحية:

هذه أيضًا بدعة سيئة لا أصل لها، وأي تحية هذه؟ إنها تحية الجريمة التي يرتكبها، فمما نقل عن بعض المشاهدين لهذا الجهل أنه يصلي الركعتين بين يديها، وربما سجد بين شعبيها كما تأمره القابلة نعوذ بالله من الجهل والضلال، وندعو أبناء المسلمين أن يتجنبوا هذا الجهل الشنيع الذي يكون سببًا في تشويه الحياة الزوجية.

١٤- قصر وليمة العرس على الأغنياء دون الفقراء:

وليمة العرس مستحبة، وهي من هدي النبي ﷺ كل يؤديها على قدر استطاعته، ويقدم الطعام للفقراء قبل الأغنياء لينال صاحبها الأجر لإصابة السنة.

فمن البدع المكروهة أن تعد للأغنياء، ويحرم منها الفقراء، أو يقدم لهم فضلات الأغنياء، وفي ذلك من امتهان كرامة الفقير واحتقاره ما لا يخفى،

وقد روي من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء**».

فليحذر أصحاب الولائم من السقوط في هذا المحظور.

١٥ـ شراء تمثال غلام لتنظر إليه العروس إذا حملت:

هذه بدعة محرمة يرتكبها بعض الناس الذي هم بعيدون عن عظمة هذا الدين، ويجهلون قدرة وسلطان الخالق -جلت قدرته-؛ فهم يضعون هذا التمثال وهو محرم وضعه في البيت شرعًا، على منضدة، أو في حجرة النوم لتنظر إليه الزوجة إذا حملت لتلد طفلاً وسيمًا جميلاً مثل هذا التمثال، وهم بذلك غافلون وجاهلون بالله سبحانه وشئونه في خلقه حيث يقول -جلت قدرته وحكمته-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦].

ألا فليفق أولئك من غفلتهم، وليتعلموا أمور دينهم، وليسألوا أنفسهم كيف خلقهم الله على صورهم مع اختلاف ألوانهم وألسنتهم؟

إنه صنع الله الذي أتقن صنعه، ويكفينا اعتزازه بنا، وتجميل صورنا، فيقول: عز من قائل: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤].

وبعد، فهذه أشهر البدع التي استحدثها كثير من الناس في أفراحهم، ومما لا شك فيه أن مرتكبي هذه البدع عصاة، لأنهم قد خالفوا منهج الإسلام في الزواج، وهذا يؤدي إلى ارتباك الحياة الزوجية والاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن انحراف كثير من الناس عن السلوك الإسلامي الراقي الرشيد.

لذلك فإن التمسك بمنهج الإسلام هو المخرج لكل أسرة من تيه الجهالة، وهو الطريق السديد الذي نصل منه إلى الله -عز وجل- هدانا الله إليه.

حكم الله ورسوله ﷺ وسلف الأمة على الغناء والمعازف وسماعهما[1]

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [لقمان: ٦].

- استماع الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق (نبينا ﷺ).
- من قعد إلى قينة يسمع منها صب في أذنيه الآنك (نبينا ﷺ).
- الغناء والعزف مزمار الشيطان (أبو بكر الصديق).
- الغناء ينبت النفاق في القلب (عبد الله بن مسعود).
- الغناء باطل والباطل في النار (القاسم بن محمد).
- الغناء بدؤه من الشيطان، وعاقبته سخط الرحمن (عمر بن عبد العزيز).
- الغناء إنما يفعله الفسّاق عندنا (مالك بن أنس).
- الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال (الشافعي).
- الغناء ينبت النفاق في القلب فلا يعجبني (أحمد بن حنبل).
- سماع الأغاني فسق والتلذذ بها كفر (أصحاب أبي حنيفة).
- الغناء ممنوع بالكتاب والسنة (القرطبي).
- الغناء مع آلة، الإجماع على تحريمه (ابن الصلاح).

---

(١) للعلامة الشيخ أبي بكر الجزائري في كتابه الأعلام بأن العزف والغناء حرام، ط. مكتبة السنة بالقاهرة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وسيد جميع العالمين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإلى الله تعالى نشكو ما لاقاه إسلامنا ويلاقيه من المنحرفين منا، الذين أوقفوا حياتهم على تقويض أركان الإسلام، وهدم أصوله وقواعده، فشككوا في العقائد، وعطلوا الأحكام، وألغوا الفرائض، وزهدوا في السنن والآداب، وأباحوا المحظور، وحللوا الحرام، واعترضوا على الله في التشريع، وعلى الرسول ﷺ في البيان.

وبالجملة، فقد دأبوا على مسخ الأمة الإسلامية شيئًا فشيئًا، حتى أنسوها إمامتها للبشر، وقيادتها للإنسانية، وصيروها بعد ذلك الاستقلال المطلق، وتلك الحرية الكاملة في كل شيء: في العقيدة والتفكير، في الحكم والتشريع، في الأخلاق والعادات، صيروها ذنبًا تابعًا للغرب، لا تعرف إلا التبعية والتقليد في كل شيء، وهاهي الأرقام التالية توضح ما أجملناه:

١- فصل الغرب دينه عن الدولة، لأنه دين فاسد باطل لا يحقق لأتباعه سعادة. ولا يصلح لقيادة، ولم لا يكون كذلك وهو مجموعة من الخرافات والأباطيل والترهات تحكم بها رجال الكنيسة في رقاب الحاكمين والمحكومين، واسترقوا بها الفرد والجماعة طيلة قرون عدة من السنين! فكان لزامًا للنهوض والتقدم من كسر هذا القيد، والخلاص من ربقة الأوهام، وأسر الخرافات ولمّا فعل الغرب ذلك كان في الواقع كمن آمن بالحق وكفر بالباطل، فلهذا استطاع أن ينهض فيبني ويشيد، ويخترع ويجيد.

ورأى دعاة التقليد منا ثورة الغرب على دينه الباطل، فثاروا هم ينتقصون الدين الإسلامي ويعيبونه، وينسبون إليه كل ما أصاب المسلمين من تأخر وانحطاط، وطالبوا بفصل الدين عن كل مظهر من مظاهر الحياة، وقصروه على مثل الصوم والصلاة.

وكانوا في ذلك كمن آمن بالباطل، وكفر بالحق على النقيض من أساتذتهم الغربيين، فضلوا وحاروا وهاهم في حيرتهم وضلالهم يعمهون، ولن يخرجوا من هذه الحيرة وهذا الضلال حتى يرجعوا إلى دينهم، لأنه الدين الحق الذي نسخ الله به سائر الشرائع والأديان، واختاره للبشرية ليكون مصدر كل خير وسعادة لها في هذه الحياة، مع ما يؤهلها له من كرامة الآخرة وسعادتها.

٢- أباح وأعلن الغرب: الزنا، والربا، والقمار، وكل فحش وخَنَا، ولا يلام على ذلك مادام لا دين له يمنع، ولا ضمير يردع، وما دام هذا شأن الحياة المادية البحتة. ودعا المنحرفون إلى تقليد الغرب فيما أباحه وأعلنه من أمهات الخبائث، وأصول الرذائل والمفاسد، واستجابت الأمة المخدوعة فأباحت عمليًا ما حرَّم دينها من زنا وربا وقمار وفُحْش وخنا اتباعًا للغرب وتقليدًا له.

٣- أبطل الغربيون عادة الحجاب على نسائهم وفتحوا أبواب الخلاعة والدعارة لهن فثار المنحرفون منا على محاربة الحجاب المشروع بالسنة والكتاب فأبطلوه، وسفرت المسلمة كالكافرة وتبع ذلك المجون والخلاعة والدعارة، وما كان هذا ليكون لولا تقليد الغربيين.

٤- ترجلت المرأة الغربية فقصرت ثيابها، وقصت شعورها، وشاركت في أعمال الرجال، فكانت توجد في المعمل والدكان وفي المكتب (والبرلمان). ودعا المنحرفون إلى ترجل المسلمات، فقصرت المسلمة كالكافرة ثيابها، وقصت شعورها، وبرزت لميادين الحياة العامة، فكانت في السوق وفي الدكان وفي الدائرة الحكومية، وحتى البرلمان، ولولا التقليد الأعمى لما كان ذلك ليكون لأن نبي الإسلام يقول: «**لعن الله الرَّجِلَةَ من النساء**»[1].

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود رقم (٤٠٩٩) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «لعن رسول الله ﷺ **الرجلة من النساء**» وفيه تدليس ابن جريج، لكن للحديث =

٥- وتخنث رجال الغرب فحلقوا وجوههم ودهنوها، وأطالوا الثياب وأسبغوها ودعا المنحرفون منا إلى ذلك وسموه حضارة وتمدنا، وقلد تلامذة الغرب أساتذتهم تحت وطأة تأثير المنحرفين من إخوانهم، فحلقوا وجوههم ودهنوها، ووفروا ثيابهم إلى ما تحت الكعبين وأسبغوها، وكانوا بذلك مخنثين، وبالنساء متشبهين، ونبيهم يلعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال[1].

٦- فتح الغرب معارض للجمال فعرضوا نساءهم وبناتهم وقلد أتباع الغرب أئمتهم فشاركوا في معارض الأزياء والجمال بناتهم ونسائهم.

٧- عُني الغرب باللهو واللعب ففتح لذلك معاهد لتعليم الموسيقى والزمر والرقص، وتأبى التبعية للمنحرفين إلا أن يقلدوا أساتذتهم وأئمتهم، ويفتحوا معاهد لتخريج الفنانين والفنانات في فن الموسيقى والإيقاع والرقص، ولو أغضبوا الله ورسوله والمؤمنين.

٨- أشاع الغرب الزمر والغناء في البيوت والمقاهي والحانات، لأنه لا قرآن له يخشى الانشغال عنه ولا صلاة، وتأبى التبعية للمنحرفين إلا تقليد أئمتهم الغربيين فأشاعوا الغناء والزمر في البيت والدكان، والنهج والسوق، وفي كل مكان، وكأنهم يحلفون على التفوق في كل رذيلة قلّدوا فيها أئمتهم وأساتذتهم.

٩- تفكه الغرب بدينه، وتمدّن فيه -على حد تعبيرهم- فكان الرجل الغربي لا يحضر الصلاة إلا يوم الأحد وليلة العيد، وقلد التلامذة المسلمون المنحرفون وأساتذتهم وأئمتهم الغربيين فكانوا لا يأتون المساجد إلا يوم الجمعة، ولا يحضرون الصلاة إلا يوم العيد.

١٠- أشاع الغرب الصور والتماثيل، وتنافس في اقتنائها، وتبارى في

=

شواهد كثيرة منها عن ابن عباس عند البخاري رقم (٥٨٨٦)، وغيره. وانظر حجاب المرأة للألباني (ص٦٦-٦٨).

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس.

إيجادها وتحسينها، فأفشاها المسلمون المقلدون بالرغم من حظر دينهم للصور، وكراهية نبيهم لها[1]، فأفشوها وأشاعوا حتى في حرميهم وقرب قبر نبيهم، وكأنهم يتحدون بذلك شعوره وهو ميت ويستفزونه -فداه أبي وأمي- لو كان بينهم يتحرك.

١١- سن الغرب المكوس والجمارك، وفرض التأشيرة، ولم يتردد المسلمون المقلدون في ذلك فسنوا المكوس[2] في الأسواق -وهو حرام- وفرضوا الجمارك على تجار المسلمين، وألزموا برسوم التأشيرة السياح من المؤمنين الصالحين، ولا داعي لكل هذا سوى تقليد الغربيين.

١٢- لم ير الغرب بأسًا في اختلاط المرأة الأجنبية بالرجل الأجنبي ومحادثته، والاتصال به في أي وقت من الأوقات، وعدّوا هذا خلقًا ساميًا، وتمدنًا راقيًا. فأصبح المسلمون المقلدون لا يرون في اختلاط المرأة بالأجنبي بأسًا ولا حرجًا، فاختيرت أجمل الفتيات، لتمريض الرجال في المستشفيات، وغصت بالنساء المسارح والسينمات، وفاضت السبل، وامتلأت الطرق والمحلات العامة والخاصة بالحسناوات، وحسب المنحرفون منا هذا رقيًا وتقدمًا في الحياة، وتجاهلوا ما صدر إليهم من أوامر ربهم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

١٣- وحتى في هيئة الأكل وشكله، وتناول الطعام ومضغه، فقد حدثنا إخوان لنا صادقون: إن بعض المنحرفين ممن تحضروا وفي بحور الفجور

---

(١) قد ثبت هذا في أحاديث عدة، منها ما أخرجه مسلم (٢١١٢/١٠٢) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير**»، وانظر صحيح البخاري رقم (٥٩٤٩-٥٩٦٣)، وصحيح مسلم (ج٣/ص١٦٦٤-١٦٧٢) كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان.

(٢) المكوس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشّار.

وغرقوا أصبحوا يأكلون وهم وقوف حيث يوضع الأكل على مائدة رفيعة طويلة، وعند تناولهم الطعام بالملاعق لا يثبتون أمام المائدة، بل يطوفون حولها وكحمار الرحى يدورون وهم ما بين مصفر وضاحك مقهقه. وسموا -لسفههم- هذا النوع من التحلل أكلة (أمريكية) ونسوا هيئة الأكل المحمدية، لأنهم رغبوا عن سنته، وقلّدوا أعداء ملته!

وهكذا فلم يبق شيء يحرمه الإسلام -إلا قليلاً- أو يتنافى مع طبيعة المؤمن والإيمان إلا وقلد المنحرفون من الغربيين الكافرين فيه، وتفوقوا عليهم في كثير من القبائح والرذائل، لأنهم مسرفون، والمسرف لا يقف عند حد.

كل هذا التغير والانحراف والشر والفساد قد حل بهذه الأمة المسلمة حتى فقدت ذاتيتها واستقلالها، والشخصية الإسلامية التي كانت لها، وحتى لم يبق للإسلام في دنيا الوجود من الجماعات أو الحكومات من يمثله تمثيلاً صادقًا، ويدعوا إليه دعوة حقيقية كافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن نسينا فإننا لا ننسى أن كل هذا البلاء الذي أصابنا وأصاب إسلامنا كان سببه -ولا شك- فريق من أدعياء الإسلام، وطوائف من المنحرفين من أبنائه العاقين، ومع الأسف فإنهم مازالوا إلى اليوم يطاردون الإسلام من كل بلد وبيت، ومن كل مكان ومظهر من مظاهر الحياة حتى أقبروه في مقابر الصدور المظلمة، فكنت إذا طلبت من أحدهم أن يقيم فريضة، أو يترك جريمة كبيرة أو صغيرة أشار لك إلى صدره يعني بذلك أن الإسلام في الصدر، وإن ألححت عليه احتج عليك لجهله قائلاً: الإيمان في القلب! وما ينبغي التنبيه له، أن سلاح هؤلاء المنحرفين الهدامين للإسلام الطاعنين له، كان ومازال هو الخداع والتضليل والتجني والمغالطة ومن ذلك قولهم: الناس طاروا في السماء، وغاصوا في البحر، وغزوا الفضاء، وأنطقوا الجماد ونحن مازلنا جامدين على هذا حلال وهذا حرام! ألا قوَّم الله اعوجاجهم وأصلح فاسدهم حتى يعلموا أن الكفر والفسق والشر والفساد لم تكن هذه هي التي دفعت الغرب والكافرين من غير الغربيين، لم تكن هي التي

رفعتهم إلى هذا المستوى المادي الذي قدسوهم له، وأكبروهم -أكثر من الله- في صدورهم من أجله، وإنما رفع الغرب والكافرين من روس ويابان، رفعهم العزم الصادق، والجد الحازم، والعمل المتواصل، مع إطراح للكسل والتواكل، ونبذ صحيح للتطاحن فيما بينهم!

ومن أسلحة المنحرفين غير ما ذكر قولهم: «الإسلام دين مرن يساير العصور، ويماشي الحياة»، وقولهم: «الدين عقيدة في النفوس»، وقولهم: «الضرورات تبيح المحظورات».

وهل كون الإسلام -يا عباد الله- دينًا مرنًا يساير العصور ويواكب الحياة -لولا الخداع والتضليل- يسمح بتعطيل أحكامه، وهدم أركانه، وترك فرائضه، والتنكر لشعائره، والزهد في سننه وآدابه؟؟ وهل كون الإسلام عقيدة في النفوس أكثر مما هو مظهر من مظاهر الحس، أنه يجيز لأتباعه أن يتخلصوا من مظاهر الإيمان والإسلام القولية والفعلية والتي دعواهما بدونها باطلة، وأنه لا يسمح لهم أن يظهروا في أي مظهر يخالف الغرب الكافر والمشركين الكافرين؟!

وهل كون الإسلام يبيح الضرورة المحظور، معناه أنه لم يبق فيه محظور، لأن الحياة -أو على الأصح- الشهوات قد أوجدت الضرورات تلك الضرورات التي لا تبرح ولا تزول؟

وأخيرًا، فهل تزول الغشاوة من على أبصار هؤلاء المنحرفين والمنخدعين معًا، ويصدقونا فيما قد نقول؟!

إننا نحن المسلمين لنستطيع بوحي من ديننا، وتأييد من ربنا أن نوجد لنا صناعة، أو حالة نستغني بها عن كثير من الصناعات الغربية، وبدون أن نتنكر لديننا، أو نزدري شخصيتنا، أو نعظم الغرب ونقدسه، أو نذل بين يديه.

إننا -أيها المغرورون- لنستطيع بوحي من ديننا، وبفضل من ربنا أن نوفر اقتصادياتنا ونسهل معاملاتنا، ونأخذ بأيدي تجارنا والعاملين منا وبدون

ربا ولا بنوك قائمة على أساس الربا!

إننا نحن المسلمين يا قوم -عفا الله عنكم- لنستطيع أن نستغني عن نسائنا وبناتنا ونغنيهن تمامًا، فلا تضطر المسلمة الكبيرة أو الصغيرة إلى التجول في الشوارع، ولا إلى العمل في الدكان، أو الدائرة الحكومية أو (البرلمان)، وبدون أن تشعر بأي تعب أو نصب، أو تجد أدنى ضيق أو حرج وفي كامل الحياة!

إننا لنستطيع بوحي من ديننا وهداية من ربنا عز وجل أن نربي بناتنا ونهذبهن ونطهرهن كما ينبغي أن تكون التربية، ويكون التهذيب والتطهير، وبدون اضطرارهن إلى سفور أو خلاعة أو فجور، ومن غير تبرج جاهلي مقيت، ولا تشبه بالرجال بغيض لعين.

إننا -ويعلم الله- لنستطيع بوحي من ديننا، وتوفيق من ربنا أن نحفظ مصالحنا، ونحمي كل حمى لنا، ونخصم خصومنا، ونعرف وجود كل خائن بيننا، وبدون تمثيل أو تصوير منعهما ديننا، وكرههما نبينا ﷺ.

إننا لنستطيع بوحي من ديننا ونصر وتأييد من ربنا أن نعز البلاد، ونصون كرامة الأفراد، ونعلي من شأن الفرد، ونرفع من قيمة الجماعة، وبدون أن نقلد الغرب في زي أو هندام، ولا في تحريم حلال، أو إباحة حرام.

وإننا -ولا شك- لنستطيع بوحي من ديننا ونور من ربنا، أن نهذب أنفسنا، ونطهر أرواحنا، ونثقف أفكارنا، ونرقي شعورنا، ونرفع آدابنا، وبدون احتياج إلى الغرب، ولا إلى أساتذة الغرب ولا إلى كتب ومجلات الغرب، ومهما كانت الحال، وكيفما وجدت الظروف.

إننا -وبكل تأكيد- يا قوم لنستطيع بوحي من ديننا، وبقوة من ربنا أن نستقل عن الغرب، ونقطع صلاتنا معه، وننفض أيدينا منه، ولا نخاف سقوطًا، ولا نخشى هبوطًا وإلى الأبد وطول الحياة!

إننا -ولا ريب- لنستطيع بأمر من ربنا، ووحي من ديننا أن ننصب أنفسنا كما أراد الله لنا أئمة للبشر، وهداة للعالمين، فيقتدي الناس بنا،

ويستنيرون بهدينا، وفي كل شئون الحياة، وحتى تسعد البشرية، وحتى تتحقق الكرامة الإنسانية.

كل هذا بحمد الله تعالى نستطيع تحقيقه -نحن المسلمين- ونستطيع غيره لأننا نتأيد بالله، ونتقوى به ولكن للأسف الشديد أبى لنا المنحرفون منا والمقلدون والمخدوعون إلا التبعية والتقليد والسير وراء الغرب وفي ركاب الغرب، ونعني بالغرب فجوره وفسوقه وتحلله، وتخنثه لا جده وحزمه ولا وفاءه لنفسه وصدق عزمه، فإن ذلك لم يقع لنا تقليد فيه.

ولِمَ؟ لأن ديننا يفرضه، وإيماننا يحتمه، ومكانتنا تدعو إليه، والمنحرفون لا يتقبلون ما جاء عن طريق الإسلام الذي انحرفوا عنه ولو كانت الحضارة الغربية التي خنعوا للغرب وخضعوا له من أجلها، -والعياذ بالله تعالى- من هذا الانحراف القبيح.

وإنما -مع الأسف- كان نصيبنا من تقليد الغرب ما سبق أن بينَّاه وفصّلناه، وما من شك أن الذي جنى على أمة الإسلام هم أبناؤها المنحرفون عنها حيث نصبوا أنفسهم في بلادها دعاة للغرب ولرذائله، وشروره ومفاسده، وبدون أجر ولا شعور أحيانًا، وبأجر وشعور وقصد أحيانًا أخرى، ومن بين هؤلاء الدعاة الذين لم يشعروا بأنهم يدعون إلى مبادئ الغرب، ويخدمون مصالحه وأفكاره ومبادئه وفي أقدس بقعة للإسلام وعند المسلمين الصالحين «مقنع عكاظ» و «متظاهر الرائد»[1] واللذان حدوا بنا لكتابة هذه السطور في بيان الطريق لهما حيث وقف المقنع يشكك ويغالط ويضلل عن قصد أو عن غير قصد، وقف على جريدة عكاظ الفيحاء يولول

(١) عكاظ والرائد: علمان على جريدتين تصدران بمكة المكرمة أو جُدَّة. والمقنع والمتظاهر لقبان لشخصيتين مجهولتين لا نعرف لهما في الخارج اسمًا ولا شخصًا ولما كانا يطعنان الإسلام بالدعوة إلى التحلل والفساد بواسطة تحليل الزمر والغناء تسترًا بهذين اللقبين ليخفى أمرهما حتى لا يُلْعَنا ويُطْردا على أيدي الصالحين منا (ج).

ويقول: أفتونا أيها العلماء في الغناء أحلال هو أم حرام؟ وكأنه يريد حقًا أن يعرف حكم الإسلام في ذلك وما هو في الواقع إلا مشككًا مضللاً وإن لم ير هذا أو يعتقده!

وفي الحقيقة: إن تساؤل أخينا هذا أصبح غير ذي موضوع ولا واقعية، لأن الغناء سواء كان حلالاً أو حرامًا قد أصبح فاشيًا منتشرًا بصورة فظيعة بحيث لم يخل منه بيت إلا ما قلّ، ولا شارع ولا سوق ولا دكان إلا ما قلّ، وحتى عرفات وفي يوم التجليات وحتى مهبط الوحي مكة المكرمة، والمدينة المنورة ويا للأسف!

وأخونا المقنع يعرف هذا جيد المعرفة، وإنما هو يهدف -ولو عن غير قصد- ومن وراء تشككاته وتضليلاته إلى أن يجهز كغيره على البقية الباقية من الصالحين الذين مازالوا يتحرجون من السماع إلى فواحش الأغاني التي سلبت أفراد الأمة الإسلامية الحياء، وكستهم ثوب الوقاحة والبذاء، كما يريد هو وكتاب أمثاله قد انحرفوا، أن يجهزوا كذلك على ما بقي للإسلام، وصوت الإسلام من إذاعة ظاهرة تمثله عمليًا، وتتكلم باسمه حقيقيًا، وهي إذاعة البلد الحرام مكة المكرمة، زادها الله تكريمًا وتشريفًا، وزاد من شرفها وكرمها ممن قدسها واحترمها تشريفًا وتكريمًا، ومهابة وعزًا، أرادوا القضاء عليها والانتهاء منها عندما تصبح كإذاعة إسرائيل وغير إسرائيل، مما تذيع الخلاعة، وتدعوا إلى المجون.

والذي نرى لزامًا التنبيه عليه وخاصة ونحن نكتب للحق وبيانه فقط، وأن طريق الدعاة المنحرفين وأسلوبهم في الدعوة إلى التقليد للغرب والتبعية له هو المغالطة والتضليل بإلقاء الشبه، وخلق المشكلات واصطناعها، وهذا يظهر من أسلوب أخينا المقنع -وإن كان كما يظن أنه ليس من دعاة الغرب ولا من أذنابه وعملائه، لأننا ننزه أبناء هذه الأمة المجيدة، وشعب هذه الحكومة الرشيدة، وسكان هذا الحرم الأقدس أن يوجد فيهم أو يكون بينهم من يرضى بالتبعية أو التسخير للغير. بيد أنه للأسف قد استخدم أخونا المقنع

-أصلحه الله- من غير قصد أسلوب دعاة التقليد والتضليل المنحرفين، فهو قد قدم لتشككاته أو طعناته مقدمة أظهر فيها نفسه أنه من دعاة الإسلام والموقفين حياتهم على خدمته، وحمايته إلى أن خلص من ذلك التشكيك والمغالطة فذكر ما سماه بالحوادث والأحاديث واتخذها أدلة على صحة ما يهدف إليه من بذر بذور الشك والخلاف بين المؤمنين في فاحشة الغناء النكراء، وهل هي حلال أو حرام؟ هذه الفاحشة القبيحة التي حرمها الله تعالى بقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والتي انتشرت بين المسلمين بصورة مهددة لهم ببلاء عظيم قد ينزل بهم، والعياذ بالله تعالى.

إن البيوت التي كان يتلى فيها كتاب الله تعالى، وترفع فيها أصوات التهليل والتكبير، والتسبيح والتقديس، قد أصبحت مراقص لا يسمع فيها طوال الليل والنهار إلا الزمر والتصفيق، وأصوات الشياطين من الزور والباطل ويالغرابة الإسلام في داره!

إن الأسر والعائلات الإسلامية التي كان إذا جهر بين أفرادها بلفظة سوء، أو بعبارة بذيئة تمعرت وجوه الجالسين منهم حياء وخجلاً، وتفرقوا يبكون من الحياء والاحتشام! أصبحت هذه الأسر تجتمع حول المذياع بذكورها وإناثها وهم يصفقون، ونسوا قول نبيهم ﷺ: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار**»[1] وأصبح حال تلك العائلات الطاهرة والأسر الشريفة أن يتهادى أفرادها الأغاني الخليعة،

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي رقم (٢٠٠٩) وصححه، وأحمد (٢/٥٠١)، وابن أبي شيبة في الإيمان رقم (٤٢)، وفي المصنف (٨/٣٣٥)، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن أبي الدنيا في المكارم رقم (٧٥)، وابن حبان رقم (١٩٢٩، ١٩٣٠- موارد)، والحاكم (١/٥٢، ٥٣)، والبيهقي في الشعب رقم (٧٧٠٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (٣٥٩٥)، وغيرهم، من حديث أبي هريرة، وسنده حسن، وله شواهد عن أبي بكرة، وعمران بن الحصين، وأبي أمامة ﷺ.

والأصوات الماجنة الفاتنة فلانة تهدي أختها أو حبيبتها فلانة أغنية (....) للمغني فلان، وفلان يهدي أخاه أو أخته أغنية (....) للمغنية أو المطربة فلانة وما إلى ذلك مما يندى جبين المسلم لسماعه حياءً وخجلاً، ويذوب له قلب المؤمن الصادق حسرة وكَمَدًا.

آهٍ ثم آهٍ، وما أجدرنا بالتأوّه والبكاء! وما أحرانا بالنداب والصراخ، والإسلاماه، وا ديناه! وا قلة أنصاره!.

أبعد كل هذا الذي أصاب ديننا وحل بديارنا من كل هون ودون، وسوء وشر، والمقنع المسلم الغيور -كما يزعم- يطالب بالنصوص المحرمة للغناء، ولا يخجل وهو يعلم أنه يغالط ويشكك الأمة التي تنتظر نصرته، وتأييده، وترجو إنقاذه وإصلاحه، وهي أحوج ما تكون إلى المنقذين والمصلحين في هذه الأيام، أيام المحنة العامة والبلية الشاملة التي تعرض لها إيمانها وإسلامها، وذهبت فيها آدابها وأخلاقها!

والمقنع -هداه الله- إذا كان حقًا شاكًا في حرمة الغناء أو حليته وأعوزه الدليل، فلماذا -وهو الكاتب الذكي والمصلح المفكر لا يلقي نظرة بسيطة على مقدمة الغناء، وثمرته، ونتيجته ليخرج بالدليل القاطع على التحليل أو التحريم، فإذا كانت مفيدة نافعة، ولا تكون في الغناء مفيدة ولا نافعة، لأنه لا فائدة في اللهو الحرام -ثم ينظر في نتيجته، فكذا كانت طيبة بناءة ولا تكون في الغناء إلا خبيثة هدامة، كما هو مشاهد محسوس، ثم يخرج بالدليل إما بالحل أو التحريم، للعلم العام عند سائر العارفين أن الله تبارك وتعالى لا يحل للمؤمنين إلا ما كان نافعًا صالحًا مفيدًا مثمرًا، ولا يحرم عليهم إلا ما كان ضارًا فاسدًا قبيحًا مسيئًا إلى أرواحهم، أو أعراضهم، أو أجسامهم. أو أموالهم، أو دينهم.

ولو نظر أخونا المقنع هذه النظرة لأراحنا من حيرته وتشككاته، ووفر علينا وعليه بعض الراحة والوقت، ولكن أبت عليه نفسه إلا إحراجنا وإتعابنا فها نحن له، وليأخذ ما يطلبه من النصوص في تحريم فاحشة الغناء والزمر التي

لم يختلف صالحان اليوم أو قبل اليوم في تحريمها أبدًا.

نصوص الكتاب الكريم في تحريم الغناء:

جاء في سورة الإسراء قول الله تبارك وتعالى في خطابه لإبليس عدوه: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قال مجاهد من أئمة التفسير: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «**صوت الشيطان: الغناء، والمزامير، واللهو**» وقال الضحاك أيضًا: «**صوت الشيطان في هذه الآية هو صوت المزمار**».

وإذا فليكف الغناء والمزمار قبحًا وتحريمًا أن يكونا عدة للشيطان وعتادًا له يغري بهما عباد الله على الفسق والعصيان، ويفتنهم بهما عن عبادة الله، ويصدهم عن سبيله.

قال تعالى من سورة لقمان عليه السلام: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [لقمان: ٦].

قال مجاهد: وهو الذي قيل فيه: إن أتاك التفسير عن مجاهد فحسبك قال: «لهو الحديث: الاستماع إلى الغناء، وإلى مثله من الباطل»، وقال: «حلف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالله الذي لا إله إلا هو، ثلاث مرات إنه الغناء»(١) يعني لهو الحديث في هذه الآية.

بيد أن للمقنع أن يقول: إن هذا مقيد بكونه يضل عن سبيل الله تعالى ومادام المستمع أو المغني لا يضل عن سبيل الله فلا محذور إذًا، فنقول له:

أولا: إن الإضلال عن سبيل الله نتيجة طبيعية للغناء والسماع لا تتخلف سواء قصدها المغني أو المستمع أو لم يقصداها، لأن المضلل عن سبيل الله ليس هو غير المغني أو المستمع دائمًا، بل نفس المغني أو المستمع

---

(١) صحيح. أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١/٦١)، وابن أبي شيبة كما في التلخيص (٤/٢٠٠)، والحاكم (٢١/٤١)، وغيرهم وصحح الحافظ إسناده، وورد عن ابن عباس نحوه.

تضل كذلك بالغناء أو السماع عن سبيل الله، ولهذا لم يذكر المفعول به في الآية، بل حذف ليعم المغني والمستمع وغيرهما ممن قد يقصد إضلالهم وإفسادهم.

وثانيًا: فهل الغناء يهدي بطبعه إلى سبيل الله ويدعو إليه؟ ومتى كان لا يهدي فهو يضل، ومتى كان لا يدعو فهو يصد. ثم هل عرف الناس طوال دهرهم ثمرة للغناء وسماعه سوى ما يصيب به قلوب أهله من قسوة، وأخلاقهم من التدهور والفساد، وأرواحهم من الخبث والتدسية، والعياذ بالله تعالى؟؟

أليس من المشاهد عندنا اليوم أن السماع شاغل عن ذكر الله تعالى، وعن الصلاة؟ أو لم يكف الغناء والسماع إليه تحريمًا ومنعًا أن يذكرا، وأنهما سبيل إلى الصد عن سبيل الله عز وجل، وطريق إلى الانشغال عن ذكر الله؟ ألم تحرم الخمر والميسر من أجل أنهما وسيلة إلى الصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ ألم يقل الله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ٩١].

وثالثًا: قال تعالى من سورة النجم: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم: ٥٩-٦١].

قال عكرمة عن ابن عباس[1] رضي الله عنهما: «السمود هو الغناء بلغة حمير، -وهي إحدى القبائل العربية- قال: يقال: اسمدي لنا يا فلانة: أي غني لنا. قال عكرمة في تفسير الآية: كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، ليصدوا الناس عن القرآن بالغناء، فنزلت الآية: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ إلى ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾، ولهذا سمى السلف الصالح الغناء: قرآن الشيطان، لأنه يعارض به القرآن، ويشغل به عنه وعن ذكر الله كما يصد به عن الله تعالى.

(١) انظر تفسير الطبري (٢٧/٨٢، ٨٣)، والقرطبي (١٧/٨٠).

وأخيرًا فهل ذمُّ الله تعالى لأصحاب هذه الصفات وتقريعه لهم إنكاره عليهم هذا الصنيع من الضحك والغناء دال على غير تحريم ومنعه؟

هذه ثلاث آيات من كتاب الله تعالى قال فيها أئمة التفسير: إنها دالة على تحريم الغناء، ومن بين هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى أجمعين، الإمام المفسر الكبير القرطبي.

وهناك آية رابعة، قال تعالى في ذكر صفات المفلحين من فاتحة سورة المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣].

فلو كان الغناء -وهو بلا شك لغو لخلوه من أية فائدة- فلو كان مباحًا أو خاليًا من الفساد المدنس للنفس لما كان الإعراض عنه وعن مثله من كل لغو وباطل صفة مدح وكمال يمدح بها المتصف بها وتؤهله لأن يكون من ورثة الفردوس حيث قال تعالى في بيان جزائهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

هذا وقد يقول المقنع: إن هذه الآيات التي سقتموها أدلة على تحريم الغناء ومنعه ليست هي صريحة في ذلك، وكل ما فيها أنه إيماء وإشارة فقط ولكننا نقول له:

١- إن من له أدنى علم بكتاب الله تعالى يعرف أن التحريم للأشياء لا يكون فيه دائمًا بصيغة التحريم أو النهي، وإنما يكون بهما ويكون بغيرهما من الصيغ، وقد يكون أبلغ في الزجر، وأشد في التحريم. وذلك كأن يذكر عاقبة سيئة لفعل ما من الأفعال أو يذكر شيئًا معقبًا عليه بذمه أو بذم فاعله ومتعاطيه، فإن هذا يكون محرمًا كالنهي عنه أو أشد، ومن ذلك: الحسد، والكبر، والسحر، والغل والغلول، فهذه وغيرها محرمة إجماعًا، ومع هذا فلم ينزل فيها حرف واحد يكون بالصيغة التي يريد المقنع وهي النهي الصريح، أو التحريم الصريح، وكل ما جاء فيها أن الله تعالى ذم السحر وفاعله وهذا هو الشأن كذلك في الكبر والغل والغلول.

وأوضح من هذا فاحشة اللواط فإنها طبعًا وشرعًا، وبإجماع البشرية

قاطبة، والشرائع الإلهية عامة، ومع هذا لم يرد فيها نص واحد من الكتاب الكريم يحرمها بالصيغة التي يريد المقنع وأمثاله، وكل ما جاء في تحريم هذه الفاحشة العظمى حكايته تعالى عن نبيه لوط عليه السلام وهو يؤنّب قومه، ويعتب عليهم في شأنها، مع ذكر عاقبة خاسرة كانت لهم بسببها وبغيرها من الذنوب والمعاصي، فهل يستطيع المقنع ومن لف لفه أن يقول: اللواط مباح -كما قال في الغناء- وليس بمحرم، لأن الكتاب لم ينص على تحريمه ومنعه بصيغة المنع والتحريم؟

وقد يقول المقنع -فتح الله للحق بصيرته-: إن اللواط حرم بلفظ صريح في التحريم، وهو قول الله تعالى في بيان ما حرم على عباده: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، غير أننا نقول له: إن الفواحش لفظ عام للواط وغيره من كل قبيح شديد القبح كالبخل والشح والزنا ومقدماته، والكذب والسرقة والزمر والغناء، فليس إذًا لفظ الفواحش نصًا في تحريم اللواط، وإنما هو دال على تحريمه كما هو دال على تحريم المعازف والغناء سواء بسواء.

٢- ليعلم المقنع أن الغناء في عرف اللغة معناه الصوت الحسن، فلو نزل القرآن بتحريم الصوت الحسن لحرم على المؤمن أن يرفع صوته مخافة أن يكون في صوته حسن أو تطريب. وأي حرج أعظم من هذا الحرج؟ والله يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن هنا كان تحريم الغناء وهو الصوت الحسن مشروطًا بأن يكون داعيًا إلى لهو، أو يكون معه زور من الكلام، وباطل من القول، لا مطلق الصوت، فإنه يكون بالقرآن وبغيره من الكلام الطيب، وهو إذ ذاك لا محذور فيه. ولعل هذا هو السر في مجيء الغناء الحرام في القرآن الكريم بلفظ السمود، لأن السمود لا يتناول في باب الغناء غير الغناء المعروف، والذي لا يخلو من لهو ومجون، ولا تخلو ألفاظه من لغو وباطل محرمين. ومن هنا أيضًا جاء الغناء الحرام مقرونًا بلفظ اللهو في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ

ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٦]، للتنبيه على أن المراد بالغناء ذاك النوع الخاص المقرون باللهو، كآلات الطرب الصارف عن ذكر الله تعالى، الصاد عن سبيله كما جاء بلفظ صوت الشيطان في قوله عز وجل: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤]. لأن الشيطان لا يوحي إلا بالباطل ولا يوسوس بغير زخرف القول تضليلاً وتغريرًا.

هذا وزيادة في الإيضاح والبيان نعرض لأخينا المقنع الحيران في حكم الغناء ما يلي، ولعل هذه الشبهة التي علقت بذهنه تزول:

١- الإجماع على أن الغناء بآلة حرام، ولو كانت الألفاظ التي يتغنى بها من كلمات الله أو أسمائه أو صفاته تعالى.

٢- أجمعوا على أن سماع صوت الأجنبية والتلذذ به حرام، ولو كان بالتهليل والتكبير، فقد قال ﷺ: «**إنما التصفيق للنساء، والتسبيح للرجال**»[١]، فلم يأذن عليه الصلاة والسلام للمرأة أن ترفع صوتها لغير ضرورة أكيدة، حتى ولو بذكر الله عز وجل، وهي في أكمل حال، أي في الصلاة.

٣- كانوا مجمعين على أن المغني من الرجال يطلق عليه اسم «المخنث» والمغنيات مخانيث، وكفى بالمرء خزيًا وعارًا أن يقال: إنه مخنث أليس كذلك يا مقنع.

٤- من المعلوم يقينًا أن الرجل الغيور الذي يتحلى بالمروءة والشهامة والعزة والكرامة لا يرضى بحال لامرأته أن تسمع غناء أجنبي يطرب بصوته ويصف في غنائه العشق والحب، والخلخال والدلال، والهجر والوصال.

٥- الإجماع على تحريم القول الباطل وسماعه، وسواء كان بصوت مطرب أو بغيره من الأصوات العادية، والغناء المعروف اليوم والذي كابرتم في تحريمه، وهو ما ترسله أجهزة الراديو ومحطات الإذاعة قد اجتمع فيه كل

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٢٠٣)، ومسلم (١٠٦/٤٢٢)، من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري رقم (١٢٠٤) من حديث سهل بن سعد. وفي الباب عن جابر.

محذور مما لا يجعل مؤمنًا واحدًا يتردد في منعه وتحريمه، وذلك لأنه بآلة لهو وبألفاظ خليعة، وبأصوات النساء العاهرات، والرجال المخنثين. وفوق هذا أنه كلام باطل ليس فيه من الحق شيء، والباطل ضلال، والضلال في النار.

قال ابن القاسم: سألت مالكًا رحمه الله عن الغناء فقال لي: قال الله تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢] أفحق هو؟

والآن فهل اقتنع المقنع بحرمة ومنع هذا الغناء البغيض، فيستغفر الله ويتوب إليه، ويعتقد كالصالحين حرمة الغناء الذي كان شاكًا في حرمته، بل كان يشكاك المؤمنين فيه، ثم يعلن من على منبر دعوته «مجلة عكاظ» أن الغناء حرام فاجتنبوه أيها المؤمنون الصالحون. أم سوف يلف ويدور ويقول: أنا لم أدع إلى الغناء المصاحب للخلاعة والمجون، وإنما دعوت للغناء الطاهر البريء، وهاهو ذا كلامي شاهد لي لقد قلت في مطلع حديثي: أنا لم أطلب أن تذاع أغان خليعة، بل أردت أن تذاع أغان لأن من الأغاني ما هو مباح ومنها ما هو ممنوع. فنقول له: إن قولك المعسول هذا والذي أوردته في مقدمة تشككاتك لم يكن إلا مجرد سُلَّم أقمته عن قصد أو غير قصد لتصل به إلى غرضك من إلقاء بذور الشك في نفوس المؤمنين حتى يشكوا في حرمة هذه الأغاني الماجنة الخليعة التي خمت منها الدنيا وتعفنت بها الحياة. ونحن لا نستطيع تصديقك إن ادعيت البراءة لنفسك، لأن الأسلوب الذي كتبت به هو نفس أسلوب الهدّامين من المنحرفين في كل بلد إسلامي، إنهم ما نشروا السفور والفجور والربا والزنا والفواحش والخنا والخمور بين المسلمين، وما عطلوا الأحكام والشرائع، وما أهملوا الفرائض وأنسوا السنن والآداب الشرعية إلا بمثل هذه الأساليب الملتوية والتي ظاهرها نصح وإصلاح، وباطنها غش وفساد.

فأنت أيها المقنع الحاذق والكاتب الأريب لو كنت حقًا تريد الإصلاح لكنت اكتفيت بقولك: إن من الغناء ما هو حرام وما هو مباح، ولكنك لسوء الحظ سقت بعد ذلك الحوادث والأحاديث، على حد تعبيرك تشكيكًا

وتضليلاً، ثم رفعت عقيرتك -سامحك الله إن أنبت إليه- وقلت في تحد عنيف: بينوا لنا أيها العلماء حكم الغناء أحلال هو أم حرام؟

وعندها كنت كمن كشف عن نفسه الغطاء فعرفناك وأنت مقنع مستور، وعرفنا غرضك الذي أنت حوله تدور، وهو بلا شك حسبما ظهر لنا من كلامك أنه الإجهاز على الرمق الباقي في الأمة ممن يتحرجون من سماع الأغاني لاعتقادهم حرمتها، فجئت أنت بحوادثك وتشككاتك وحيرتك وتساؤلاتك لتشككهم وتسهل عليهم الدخول في هذه المفسدة التي طالما حاربوا أنفسهم من أجلها وترددوا في الوقوع فيها.

نصوص السنة المطهرة في تحريم المعازف والغناء:

وبعد نصوص الكتاب الظاهرة القطعية في تحريم الغناء المعروف اليوم، والذي صاحبه العزف، وهو كما هو أصوات المرّد، ونغمات الحسان، هذا الغناء الذي اختلطت فيه أصوات النساء بأصوات الرجال، ولم يستعمل فيه سوى ألفاظ الفحش والبذاءة، والسوء والهجر والكفر، نورد نصوص السنة المطهرة إعذارًا لإخواننا المخدوعين، وإنذارًا لهم.

١- روى البخاري في صحيحه عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف**»[(١)].

فالمراد بالحِرِ: الفرج، والمعنى أنهم يستحلون الزنا، والمراد بالمعازف آلات اللهو، من طبل، وطنبور، وعود، وقانون، وقيثارة ونحوها. ومعنى يستحلون: إما أنهم يفعلون هذه المحرمات فعل المستحل لها بحيث يكثرون منها ولا يتحرجون من فعلها. وإما أنهم يعتقدون حليتها، وقد يكون هذا بسبب فتيا ضالة من فتاوى أصحاب الأهواء.

---

(١) صحيح. علقه البخاري في صحيحه رقم (٥٥٩٠) عن شيخه هشام بن عمار، ووصله الطبراني في الكبير رقم (٣٤١٧)، والبيهقي في سننه (٢٢١/١٠)، وابن عساكر، وغيرهم، وله طريق آخر عند أبي داود رقم (٤٠٣٩)، وانظر الصحيحة رقم (٩١).

ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالة قطعية ولو لم يرد في المعازف حديث ولا آية سوى هذا الحديث لكان كافيًا في التحريم، وخاصة في نوع الغناء الذي يعرفه الناس اليوم، هذا الغناء الذي مادته ألفاظ الفحش والبذاءة، وقوامه المعازف المختلفة من موسيقى وقيثارة وطبل ومزمار وعود وقانون، ومتمماته أو محسناته أصوات المخنثين ونغمات العاهرات.

ووجهة دليل الحديث على الحرمة هو قوله ﷺ: «**يستحلون**» فإنه لو لم تكن هذه الأشياء محرمة لما كان لقوله ﷺ «**يستحلون**» من معنى يذكر. والأمر واضح فلا يخفى إلا على من طمست الشهوات بصيرته، والعياذ بالله تعالى من ذلك.

٢- روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى حرم على أمتي الخمر والميسر والكوبة والغبيراء، وكل مسكر حرام**»(١).

فالكوبة: الطبل الصغير. وقيل هو البربط، وعلى كل حال فهو آلة من آلات الطرب ولا شك. وأما الغبيراء، فقد اختلف في معناها، فقيل: هي آلة من آلات الطرب، وقيل هي شراب يتخذه الحبشة من الذرة، وكونها آلة من آلات الطرب، كالعود والطنبور أقرب، ووجهة دلالة الحديث على تحريم الغناء هي:

١- أن الغناء لهو وحرام، ولو لم يكن حرامًا كيف تحرم آلته؟

٢- الأغاني المعروفة اليوم والتي تذيعها محطات الإذاعة لا تخلو قط من آلة طرب كمزمار أو قانون ونحوهما، فيحرم الغناء لذاته، ولأنه بألفاظ الفحش والباطل والسوء، ويحرم لأنه بأصوات المومسات والعاهرات، التي يحرم على الرجال سماع أصواتهن، أو بأصوات المخنثين الذين مهروا في النغم

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد في مسنده (١٧١/٢)، وفي الأشربة رقم (٢٠٧)، وأبو داود رقم (٣٦٨٥)، وغيرهما وانظر الصحيحة رقم (١٧٠٨). قوله: «الكوبة»: الطبل. قوله: «الغبيراء»: المزر وهو نبيذ الذرة خاصة.

المثير للشهوات المحرك للغرائز، فيحرم على المرء سماعه لذلك، وهو مع هذا مصاحب للعزف على آلات اللهو المحرمة بنص حديث البخاري السابق ذكره.

٣- روى الترمذي في سننه من حديث علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء**» فذكر منها: «**إذا اتخذت القينات والمعازف**»[1]. ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء ظاهرة، لأن اتخاذ القينات والمعازف لا يكون إلا للغناء، صدق رسول الله ﷺ لقد ارتكبت أمته بالأندلس ما حذّر منه فاتخذت تلك الأمة الغابرة القينات والمعازف، وأسرفت في ذلك إلى حد أن أصبحت الدور والبساتين توقف على الموسيقى، وأصبح المرضى يعالجون في المستشفيات بالزمر والغناء، فحل بهم بلاء استأصل شأفتهم. وقطع دابرهم، ولم يبق منهم أحدًا: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣].

وهل لدعاة الأغاني اليوم إنكار هذه الحقيقة أو التنكر لها؟

وقل: الذي أنكر نصوص الكتاب والسنة لا يبعد أن ينكر كل حقيقة في الوجود.

٤- روى الحميدي في مسنده عنه ﷺ قوله: «**لا يحل ثمن المغنية، ولا بيعها، ولا شراؤها، ولا الاستمتاع بها**»[2].

---

(١) ضعيف. أخرجه الترمذي رقم (٢٢١٠)، وابن حبان في المجروحين (٢/٢٠٦-٢٠٧)، والخطيب في تاريخه (٣/١٥٨)، من طريق محمد بن عمر بن علي، عن علي بن أبي طالب، وفي سنده الفرج بن فضالة وهو ضعيف، وفيه انقطاع بين علي، والراوي عنه.

(٢) حسن. أخرجه الحميدي رقم (٩١٠)، وابن ماجه رقم (٢١٦٨)، ومن حديث أبي أمامة، وسنده ضعيف لحال مطرح وغيره، وله شواهد يرتقي بها إلى الحجية، وانظر ملحق كتاب «تحريم النرد والشطرنج والملاهي» للآجري (ص٣٥٢-٣٥٦)، والصحيحة رقم (٢٩٢٢).

إن دلالة هذا الحديث على ما جاءت فيه نصًا من تحريم ثمن المغنية وبيعها وشرائها والاستمتاع بها لظاهرة، وإنما نريد أن نقول: إن الظاهري - وهو أحد دعاة الأغاني اليوم- إذ يطعن في سند هذا الحديث ليبطل الاستدلال به على حرمة اتخاذ المغنيات معناه أنه يريد بذلك أن الله ورسوله أباحا للمؤمن أن يكون متى شاء ماجنًا خليعًا صفيقًا فاحشًا بذيئًا مسرفًا ينفق ماله في شراء المغنيات، ويقضي أوقاته في سماع أغانيهن ليطرب فيشرب، ويسكر فيفجر!!

فوا عجبا! أهكذا يريد دعاة الأغاني والزمر للمؤمن الذي حكم الله برشده وجعله وصيًا على البشرية، وإمامًا تقتدي به الإنسانية في الحياة. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إذ يصورون ولي الله بهذه الصورة الشوهاء، يصورونه ماجنًا خليعًا، همّه الزمر والأغاني طوال الحياة.

د- روى ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يتغنى من الليل فقال: «**لا صلاة له، لا صلاة له، لا صلاة له**»[1].

ودلالة هذا الحديث على تحريم الغناء دلالة التزامية، لأن نفي الصلاة تستلزم أن المغني فاحش آتٍ للمنكر فيكون الغناء فُحشًا ومنكرًا، والفحش والمنكر من المحرمات قطعًا، وقد نفى ﷺ في حديث آخر على الفاحش الآتي للمنكر صلاته وأبطلها بقوله: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا**

---

(١) لا يصح عنه. أخرجه أبو نعيم كما في اللآلئ (٢/٢٠٦، ٢٠٧)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/١١٥)، وفيه سعيد بن سنان وهو متروك، انظر الميزان (٢/ ١٤٣)، وتذكرة الموضوعات (ص١٩٧) للفتني الهندي.

صلاة له»[1] قال هذا ﷺ إما بوحي خاص، وإما باستنباط، وتأول من قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فإن لازم هذا أن من لم تنهه صلاته عن قول الفحش والمنكر وعن فعلهما فلا صلاة له. وشيء آخر، فهل هذا الرجل الذي نام بعض الناس ولم ينم، وقام بعض آخر يتهجد ويتعبد ولم يقم، وعكف على الغناء يثير به كوامن الشهوات، ويستفز به الغافلات، ويستهوي به العفيفات يعتبر مقيمًا للصلاة، وصلاته ثابتة له مؤثرة في نفسه بالزكاء والطهر فيشفق عليه (الظاهري) ويقول: لا تبطل صلاته، لا تبطل صلاته لمجرد تغنيه، أبدًا أبدًا، ويطعن في سند الحديث بجهالة راوٍ من رواته، أو ضعفه ليخلص إلى أن الغناء حلال وليس هو بفاحشة ولا منكرٍ ولا باطل ولا زور، كل ذلك ليخرج عن جماعة المسلمين ويحتفظ بشذوذه والعياذ بالله من الخذلان ووساوس الشيطان.

٦- ذكر القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن من رواية مكحول عن عائشة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه»**[2].

ودلالة هذا الحديث ظاهرة في تفسيق المكثر من الاستماع إلى الغناء، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله. بيد أن الظاهري يقول: إن هذا الحديث معلول فلا يحتج به على تفسيق المكثر للاستماع، لأن مكحولاً رحمه الله تعالى كذب على عائشة وعلى النبي ﷺ معًا، وحاشاه أن يكذب عليهما. فهاهم الصالحون اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم وبدون هذا الحديث لا يصلون على من اتخذ عاهرة ترقص له وتغنيه، ويقضي ليله ونهاره في سماع باطلها وما ذلك إلا فهمًا من الصالحين لنصوص الكتاب والسنة العامة والتي تقتضي

---

(١) ضعيف منكر. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره -كما ذكر ابن كثير (٣/٤١٥)- من حديث عمران بن حصين، وفي سنده عمر بن أبي عثمان وهو مجهول، والحسن مدلس وقد عنعن، وانظر الضعيفة رقم (٢، ٩٨٥).

(٢) ضعيف. مكحول لم يسمع من عائشة، وقد ذكره القرطبي في تفسيره (١٤/٣٧).

تفسيق من كان هذا شأنه في الحياة.

ثم وهل من الإنصاف يا عباد الله أن نكذب مكحولاً، ونطعن فيه ونصدق الظاهري ونقدسه، ونحن نعرف أنه خرج غير ما مرة عن جماعة المسلمين بشذوذه وتهوره؟ اللهم ألهمنا رشدنا، وأزل غشاوة الجهل عن أبصارنا وبصائرنا يا رب العالمين.

٧- روى ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من جلس إلى قينة (مغنية) يسمع منها صُبَّ في أذنيه الآنك[١] يوم القيامة»**[٢] والحديث دال على حرمة السماع دلالة واضحة لا تقبل الجدل بحال، للوعيد الشديد الذي تضمنه، وهو نظير قوله عليه الصلاة والسلام: **«من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة»**[٣].

فمستمع الغناء آذى نفسه بتدسيتها بسماعها الباطل والفحش والزور، ومستمع حديث الغير آذى غيره بسماع سره، وما يحب أن يخفيه وهذا ذنب يدسي النفس، فإذا مات ولم يتب كان من أهل النار حيث استجوبها بتدسية نفسه بآثار ذنب المعصية، ومن المعلوم أن العذاب في النار ألوان، ومن تلك الألوان: صب الآنك في آذان المسيئين إلى أنفسهم بواسطة آذانهم لسماعهم ما لا يحل سماعه ولا يجوز لهم.

٨- روى الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» مرفوعًا من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من استمع إلى صوت**

---

(١) الآنك: الرصاص المذاب.

(٢) باطل. رواه الدارقطني في غرائب مالك -كما في التهذيب (٧/٧٧) وغيره- من طريق أبي نعيم عبيد بن هشام (تغير بآخره)، وقال الإمام أحمد: «هذا حديث باطل» علل ابن الجوزي (٢/٣٠٠)، وقال الدارقطني: «تفرد به أبو نعيم ولا يثبت هذا عن مالك ولا عن ابن المنكدر».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٧٠٤٢) من حديث ابن عباس.

غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين» فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: «**قراء أهل الجنة**»[(١)].

وهذا الحديث دال على كراهة الغناء ولو بألفاظ غير بذيئة ولا باطلة، لأن من شؤمه حرمان صاحبه من أعظم لذة في الجنة، وهي سماع قرائها الروحانيين عقوبة له حيث سمع غناء الدنيا وتلذذ به وهذا في العقوبة بالحرمان نظير قوله عليه الصلاة والسلام: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الجنة**»[(٢)].

ويفسر هذا بوجهين: أن من عصى ربه بهذا النوع من المعاصي، وتدست نفسه بأثر المعصية، ولم يتب توبة تزكي نفسه، وتذهب بآثار ما علق بها من المعصية ومات على ذلك فإن هذا قطعًا هو كما أخبر النبي ﷺ، فلا يشرب خمر الجنة، ولا يلبس حريرها، ولا يسمع الروحانيين فيها، لأنه في النار بعيدًا عن الجنة ونعيمها.

وإن هو خرج من النار بشفاعة النبي ﷺ، ودخل الجنة فيبقى محرومًا كذلك عقوبة له، وإما أن صاحب هذه المعصية قد يتوب منها وتزكو نفسه ويدخل الجنة ابتداءً، ولكن يحرم لشؤم المعصية من لذة ما كان قد تمتع بلذته في الحياة الدنيا، مما حرم الله ورسوله ﷺ.

٩- روى ابن ماجه عن أبي أمامة مرفوعًا عن النبي ﷺ: «**إن الله يبغض صوت الخلخال كما يبغض الغناء**»[(٣)]. والحديث دال على حرمة تعمد إبداء

---

(١) ضعيف. أخرجه الحكيم (ص١٥٤)، وضعفه الشيخ ناصر الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٤٠٩).

(٢) صحيح. أخرجه الحاكم (١٤١/٤)، وابن عساكر في تاريخه، من حديث أبي هريرة، وفي سنده خالد بن عبد الله بن حسين روى عنه جمع ولم يوثقه غير ابن حبان، ورواه ابن ماجه رقم (٣٣٧٤) مختصرًا، وله شواهد من حديث أنس وابن عمر وغيرهما، وانظر الصحيحة رقم (٣٨٤).

(٣) لا يصح. لم يخرجه ابن ماجه، وإنما ذكره السيوطي في الجامع الكبير وعزاه
=

الزينة من المرأة المؤمنة، ودال كذلك على حرمة الغناء، ووجه ذلك أن المؤمن المنيب والعبد الصالح لا يفعل شيئًا يكرهه سيده بأي حال من الأحوال.

وهنا نقول للظاهري ومن لف لفه، وأسف مثله: هل حرم الله عز وجل ضرب الخلخال في رجل المرأة المؤمنة لإبداء الزينة؟ وسيقول: نعم، قطعًا، لأن هذا صريح الكتاب فلا ينكره مؤمن أبدًا، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣٢]، ونقول له مرة أخرى: ولماذا؟ وقد يصدق الجواب ويقول: لأنه يثير فتنة الشهوة في قلوب الرجال الذين يسمعون صوت الخلخال، فقد يحرك هذا البغيض ساكن أحدهم ويؤدي به إلى أن يطلب ذات الخلخال، أو يطلب غيرها فيجرم، وهذا النوع من الإجرام جزاؤه كما هو معروف قتل شنيع: رجم بالحجارة حتى الموت، وعندها يخسر المجتمع الإسلامي عضوين اثنين من المؤمنين، وما أحوج المجتمع الإسلامي إلى كثرة المؤمنين!

ومن أجل هذا حرم كل سلوك أو عمل يؤدي إلى هذه الخسارة ولو كان ضربًا بالخلخال، أو صوتًا متكسرًا من أصوات النساء أو الرجال، قال تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

واعجبي! كيف يكون لين كلام المرأة منهيًا عنه محرمًا إذا هي خاطبت الأجنبي، ولا يكون غناؤها بألفاظ السوء والبذاءة وهو موجه إلى كل من هب ودب محرمًا؟

وهل يسلم لنا الظاهري ومشايعوه من هواة الغناء والمزمار إن قلنا: إن

=

للديلمي، فهو ضعيف، راجع مقدمة الجامع.

تحريك الشهوة بواسطة أصوات المغنين والمغنيات هو أشد من تحريكها بصوت الخلخال، لما في النطق من موسيقى، وفي العبارات من نبرات؟ وإن سلموا لنا ما قلناه فإنا نقول لهم -وهم يحلون الزمر والغناء-: كيف يحرم الله صوت الخلخال ويبغضه، ويحرم لين كلام المرأة إن هي خاطبت أجنبيًا، ولا يحرم الغناء والزمر، وهي أصوات تفعل بقلوب الرجال ما لا يفعله السحر والخمر بحال؟

وبعد كل هذا فكيف لا يخجل الظاهري ولا يستحي من الله والمؤمنين عندما يعلن على رءوس الأشهاد، ويكتب بحروف بارزة حمراء: أن الغناء واستعمال المعازف والمزامير والاستماع إليها مباحة، وأنها لم يحرمها كتاب ولا سنة، ويا للعجب! ماذا يفهم هذا الرجل من الكتاب والسنة؟ أيفهم منهما أنهما مجرد نصوص جوفاء لا ترمي إلى هدف، ولا تقصد إلى غاية، أم ماذا يفهم يا ترى؟!

ويا سبحان الله كيف تضل الأفهام! وكيف تزل الأقدام!

اللهم إنا نعوذ بك من أن نضل أو نضل، أو نزل أو نزل، ونسألك اللهم العصمة من الخطأ والخطل، ومن النزغ والحمق والطيش.

حكم الأئمة الأربعة
على الغناء واستعمال المعازف والاستماع إليها

١- الإمام مالك:

المعروف عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله تعالى- النهي عن الغناء، وعن السماع إليه. وقد سأله مرة تلميذه ابن القاسم رحمه الله عن الغناء فأجابه قائلاً: قال الله تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس: ٣٢]، أفحق هو؟

وما أحسن جواب الإمام، وما أعظم فقه مالك!

فإنه إن لم يكن الغناء حقًا فهو باطل، وهل من عاقل يقول: الغناء حق؟

وسئل مرة عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء، كأمثال إبراهيم بن سعد، الذي اتخذ المقنع عمله حجة في إباحة الغناء كما سيأتي إن شاء الله، فقال: «إنما يفعله عندنا الفساق» فحكم الإمام رحمه الله تعالى على المغنين والمستمعين والمشتغلين بالغناء والطرب بالفسق، والفاسق في حكم الإسلام لا تقبل شهادته، ولا يصلي الأخيار عليه إذا مات، بل يصلي عليه غوغاء الناس وعامتهم!

ومن أحكام مالك الفقهية أن الرجل إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب الذي هو كونها مغنية.

فانظر كيف جعل -رحمه الله تعالى-، وهو إمام دار الهجرة، الغناء عيبًا ترد به الجارية كما ترد بالزنا الزانية، ولمه؟ والغناء بريد الزنا.

٢- الإمام الشافعي:

قال -رحمه الله- في كتاب أدب القضاء: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته، فهذا عالم قريش الذي طبق علمه الأرض محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى، يحكم على الغناء بأنه لهو -واللهو حرام، إلا ما خص الشارع منه كالرماية والسباحة ونحوهما، وألحقه بالباطل، والباطل حرام قوله وسماعه، وشبهه بالمحال، والمحال ممنوعًا شرعًا، ونتيجة هذا الرأي الحكيم أن الغناء حرام إلا ما خص الشارع

منه، وأن المكثر غناءً أو استماعًا فاسق سفيه غير راشد، والفاسق ترد شهادته، والسفيه يحجر عليه، وكفى المغني والمستمع هذا خزيًا وعارًا.

وسئل رحمه الله عن الرجل تكون له القينة فيجمع أصحابه لتسمعهم الغناء؟ فقال: هذه دياثة، وصاحب هذه الجارية ديوث! والرسول ﷺ يقول: **«لا يدخل الجنة ديوث»**[1].

هذا هو الإمام الشافعي الذي لا يمكن أن يشار إلى المقنع أو الظاهري أمامه حتى بالإشارة فضلاً عن أن يشبها به فقهًا وعلمًا وصلاحًا وتقوى، يحكم بتفسيق وتسفيه المكثر من الغناء والسماع، ويحكم بدياثة صاحب المغنية الذي يجمع الرجال على غنائها. وما أشبه صاحب الجارية بالرجل الذي تظل امرأته أمام المذياع تستمع إلى أغاني فريد الأطرش، وعبد الوهاب، ....، والمرحومة! أسمهان كما يقولون!

٣ـ الإمام أبو حنيفة:

أما أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- فقد كان حكمه أشد وأقسى، فهو يرى الغناء من الذنوب التي يجب تركها والابتعاد عنها، وتجب التوبة منها فورًا، كسائر الذنوب والمعاصي، وأما أصحابه فقد صرحوا بحرمة الغناء وسائر الملاهي، من مزمار، ودف، وقيثارة ونحوها وخصوا الغناء بأنه معصية توجب فسق صاحبها وترد شهادته، وبالغوا في النهي والسماع إلى حد أن قالوا: السماع فسق والتلذذ به كفر[2] وقالوا في المار يسمع الغناء: يجب عليه

---

(١) ضعيف. أخرجه الطيالسي رقم (٦٤٢) من حديث عمار بن ياسر، وفي سنده من لم يسم، وقد صح الحديث عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: **«ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة والديوث...»** وقد أخرجه النسائي في المجتبى رقم (٢٥٦٢)، وأحمد (١٣٤/٢)، وابن خزيمة في التوحيد رقم (٥٧٥، ٥٧٨)، وأبو يعلى رقم (٥٥٥٦)، وغيرهم وله شاهد آخر مرسل، وهو مخرج في «الحجاب ... يا مسلمة».

(٢) حجتهم في تكفير المتلذذ بالسماع حديث ضعيف. من المعلوم أن الكفر يكون كفرًا دون كفر. كما بوّب ذلك البخاري رحمه الله تعالى لقول الرسول ﷺ في =

أن يجتهد في أن لا يسمعه، وكذا إذا كان في دار مجاور له، وقال أبو يوسف: إذا سمع المؤمن صوت الملاهي والمعازف في دار دخل على أصحابها بدون إذنهم ليتمكن من تغيير المنكر، لأن تغيير المنكر فرض، وأن للإمام أن يحبس، أو يضرب، أو يرحل من لا ينتهي عن هذه الفاحشة.

٤ ـ الإمام أحمد:

من غير المشكوك فيه تحريم الملاهي عامة، غناء كانت أو ضربًا على عود أو مزمارًا أو غير هذه عند أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- وعند أصحابه أجمعين.

ومن المنصوص عليه في كتبهم: كسر آلات اللهو والطرب كالطنبور وغيره إذا رؤيت مكشوفة وأمكن كسرها، لأنها من المنكر الذي يجب تغييره وإزالته، بل قد نصوا على أنه لو علم أن هناك آلة مستورة تحت ثوب لكشف عنها وكسرت.

وأوضح من هذا وأقوى في الاستدلال على حرمة الغناء عن أحمد -رحمه الله- أنه نص في أيتام ورثوا جارية مغنية، وأرادوا بيعها أن لا يبيعوها إلا على أنها ساذجة غير مغنية، لأنها بوصفها مغنية قد يزيد ثمنها، فيفهم من هذا أنه لو كان بيع المغنية حلالاً، وأن الغناء مباح لما كان يأمر بتضييع مال اليتامى، وتضييعه من أشد الحرام، ولكن لما كان الغناء حرامًا، وكان ثمن المغنية حرامًا كما أنه لما كان البغاء حرامًا كان ثمن البغي حرامًا، وهكذا حرم ثمن الصليب، وثمن الخمر، والخنزير، لأنها محرمات، وثمن المحرم حرام.

ومن أجل هذا أمر الإمام -رحمه الله- ألا تباع الجارية على أنها مغنية، لأن ثمنها حينئذ يكون حرامًا. فدل هذا على أن الإمام أحمد كان يحرم الغناء ولا يبيحه، وقد سأله مرة ولده عبد الله عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب فلا يعجبني، وقال: إن مالكًا لما سُئِلَ عنه قال: إنما يفعله الفساق

= النساء «**ويكفرن العشير**» فلعل مرادهم من كفره أنه كفر نعمة ومعصية، لا كفر مخرج عن الملة، وهو الصواب (ج).

عندنا.

وأخيرًا فهذا حكم حماة الإسلام، وأنصار الشريعة وأمناء الأمة مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمة الله عليهم أجمعين، وهو حكم واضح وصريح في منع الغناء وتفسيق فاعله والمستمع إليه، كما هو أيضًا حكم مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد تقدم على حكم الأئمة حكم الله ورسوله ﷺ، وهو كذلك أكثر صراحة وأشد وضوحًا في منع الغناء وتحريمه، فهل يجوز بعد هذا لمؤمن يحب الله وروسوله أن يقول: إن هذا الغناء الذي يعرفه الناس اليوم مباح حلال؟

وهل يجوز لمؤمن يحترم نفسه، ويستبرئ لدينه وعرضه أن يعدل عن هذا المنهج القويم، وهذه الجادة الواضحة إلى مسلك أعوج سلكه أناس مطعون فيهم، وهم عبيد الله العنبري، وإبراهيم بن سعد وابن حزم الظاهري، غفر الله لنا ولهم ورحمنا وإياهم؟[1].

ولكن يا لغرابة الإسلام اليوم! ويالقلة أنصاره بين أهله، وفي وسط داره! وإلا فكيف يسمح لأصحاب الأهواء، وصرعى الشهوات أن يلقوا في أمة الإسلام هذه الشبهة، ويبثوا فيها هذه الشكوك والوهميات تغييرًا وتضليلاً؟

وأغرب من هذا أن يكون مصدر هذا التضليل آراء ابن حزم الظاهري التي أقبرتها الأمة، وطواها التاريخ، فيأتي من ينشرها اليوم بعد البلى، ويظهرها بعد الفناء، ويقول: هذا هو الدين الصحيح! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) غفر الله للشيخ أبي بكر الجزائري، فهؤلاء أئمة أجلاء، قد أخطئوا -عن غير عمد منهم- وهذا مغمور في جنب فضلهم، رحمهم الله تعالى، وليس لنا أن نتابعهم عليه، أو أن نتبع زلات العلماء، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ، وقد رد عليهم الأئمة وبينوا ذلك بيانًا شافيًا.

الغناء المرخص فيه شرعًا

من سماحة شريعتنا الإسلامية مراعاتها للضعف الأصيل في الإنسان، فهي تحرم الميتة والدم ولحم الخنزير تحريمًا باتًا ولكن تبيحها عند الضرورة قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٥]، فبعد تحريمها لهذه الأربعة تحريمًا قطعيًا على سائر المؤمنين أباحت للمضطر القدر الذي يحفظ به حياته، ويبقى به على وجوده بشرط أن لا يتعدى القدر المرخص له فيه، وهي تحرم الكفر بأي لفظ من ألفاظه، وفي أية صورة من صوره، ولكن تبيح للمؤمن منه عند الإكراه ما يدفع به عن نفسه شر العذاب، وما يرفع به عن ذاته ما لا يتحمله من النكال، وما لا يطيقه من الوبال، وبشرط أن لا يتعدى الكفر لسانه إلى قلبه، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ [النحل: ١٠٦]، وهي تحرم اتخاذ الكلاب وبيعها وثمنها، ولكنها ترخص في اقتنائها وتبيحه في حالة خاصة، قال ﷺ: «**من اتخذ كلبًا إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية انتقص من أجره كل يوم قيراط**»[1].

وهي تفرض الصوم فرضًا أكيدًا، قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ولكنها تراعي ضعف المؤمن فترخص له في الإفطار في حال السفر أو المرض على أن يقضي ذلك يوم زوال عذره، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهي تحرم الجهر بالسوء ولكنها ترخص للمؤمن في حالة الشكوى أن ينطق بمظلمته، ويصرح بشكواه، قال تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٢٢، ٢٣٢٤)، ومسلم (١٥٧٥/٥٧-٦٠)، من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن ابن عمر، وسفيان بن أبي زهير، وغيرهما.

ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء: ١٤٨].

وعلى أساس هذه الكليات والقواعد العامة في الشريعة الإسلامية السمحة جاء حكم الغناء واللهو واللعب، فنصوص الكتاب والسنة العامة تحرم الغناء واللهو واللعب، لأن هذه صادة بطبعها عن سبيل الله، صارفة للمؤمن عن الحق الذي هو قائم به، معرضة رشده إلى سفه لا ينبغي له، لأن أتباع هذه الملة الحنيفية مجتبون للدعوة إلى الحق، وإعلانه، ولإقامة العدل في الأرض وحمايته، ورفع راية الإسلام، ونشر مبادئه، فهم أوصياء البشرية، وهداة الإنسانية، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٨].

ولذا كان لا يتفق وكرامة المؤمن الانشغال بالغناء واللهو واللعب، ومن تخلى من المؤمنين عن إمامته، ونزل من علياء كرامته فأسف واشتغل بالغناء واللهو واللعب فهو سفيه طائش أحمق جاهل، لا يتردد المؤمنون في تفسيقه، وإسقاط عدالته، وترك شهادته، وعلى هذا الاعتبار مضى حكم الأئمة الأربعة في تسفيه وتفسيق المغني والمستمع كما سبق أن ذكرناه.

ولكن -والحمد لله مع تحريم شريعتنا للغناء واللهو واللعب فقد رخصت فيها في حالات خاصة، كما رخصت في كثير من المحرمات والمنهيات، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها، ومن ذلك الغناء والدف في العرس والعيد، ولكن تحت قيود ثقيلة وشروط شديدة، كما سيذكر قريبًا إن شاء الله تعالى.

وما رخصت فيها أيضًا ملاعبة الرجل امرأته وأولاده الصغار، أو فرسه لرياضته وتمرينه، والسباحة والسباق والرماية والصيد والمصارعة وهي أنواع من اللعب كما رخصت في إنشاد الشعر والارتجاز في الجيش لتحميس المجاهدين، وإثارة روح الشجاعة والبطولة فيهم في حال سيرهم إلى المعركة، أو إقبالهم عليها.

الرخصة في الغناء والدف في العرس وبيانها:

١- روى الخمسة إلا أبا داود ﷺ: «**فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح**»[(١)].

٢- روى ابن ماجه قوله عليه الصلاة والسلام: «**أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال**»[(٢)].

٣- روى البخاري وأحمد عن عائشة رضي الله عنها: أنها زفت امرأة من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، ما كان معكم من لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو**».

٤- روى الجماعة إلا مسلمًا والنسائي عن الربيع بنت معوذ قالت: دخل عليّ النبي ﷺ غداة بني علي، فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف، يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت إحداهن: وفينا رسول الله يعلم ما في غد، فقال النبي ﷺ: «**لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين**»[(٣)].

وبعد، فهذه أربعة أحاديث منها الضعيف اصطلاحًا[(٤)]، ومنها الحسن،

---

(١) حسن. أخرجه الترمذي رقم (١٠٨٨) وحسنه، والنسائي في المجتبى (١٢٧/٦) رقم (٣٣٦٩، ٣٣٧٠)، وابن ماجه رقم (١٨٩٦)، وأحمد (٤١٨/٣)، (٢٥٩/٤)، وغيرهم، من حديث محمد بن حاطب، وفي سنده أبو بلج يحيى بن أبي سليم وهو صدوق ربما أخطأ، وانظر الإرواء رقم (١٩٤٤).

(٢) ضعيف. أخرجه ابن ماجه رقم (١٨٩٥)، والبيهقي (٢٩٠/٧)، من حديث عائشة، وفي سنده خالد بن إلياس وهو متروك الحديث، والشطر الأول ثابت، فقد أخرجه ابن حبان رقم (١٢٨٥)، والطبراني وغيرهما من حديث ابن الزبير مرفوعًا بلفظ: «أعلنوا النكاح» وسنده حسن، وانظر الإرواء رقم (١٩٩٣)، وآداب الزفاف (ص١٨٣)، والضعيفة رقم (٩٧٨).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٠٠١، ٥١٤٧)، وأبو داود رقم (٤٩٢٢)، والترمذي (١٠٩٠)، وابن ماجه رقم (١٨٩٧)، وأحمد (٣٥٩/٦، ٣٦٠)، وغيرهم.

(٤) المراد بالاصطلاح هو أن علماء الحديث -رحمهم الله تعالى- وضعوا شروطًا

ومنها الصحيح تشهد للرخصة التي عرفتها الأمة الإسلامية من عهد نبيها ﷺ إلى يومها هذا في الغناء والدف في العرس، ولكن بشروطها، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، وهاهي شروطها:

١- أن تكون في عرس نكاح شرعي.

٢- أن يكون الدف عبارة عن إطار غربال قد جعل عليه جلد فقط بحيث يخلو من الوتر، ومن أي شيء زائد عليه لقوله ﷺ: «**واضربوا عليه بالغربال**»، فنص على الآلة الخاصة، وهي الغربال، ولذا أتى بأداة التعريف للعهد أي: الغربال المعهود عندكم، حتى لا يتناول غير النوع المعروف، ولو لم يكن هذا مرادًا لجاء التعبير هكذا: «**واضربوا عليه بالغربال**».

٣- أن يكون الغناء بألفاظ خالية من الفحش والبذاءة، ومن الزور والباطل، وما بها من شائبة شرك، ولا رائحة كفر أو هجر.

٤- أن يكون المغني نساءً لا رجالاً، لأن النساء هن المعروفات بالصوت والغناء، أما الرجل إذا تغنى فهو متشبه بالنساء ملعون على لسان محمد ﷺ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء**».

٥- أن لا يكون مع النساء المصوتات في العرس رجال أجانب، لأن اختلاط الأجنبي بالنساء حرام، ولأن سماع صوت الأجنبية بلذة حرام كذلك.

٦- أن يضمن صاحب العرس نظافة الألفاظ التي تقال وطهارتها وأن يراقب كل ما قد يقال في غناء العرس فيبيح[1] منه ما أباحه الشرع، ويمنع ما

= لقبول رواية الحديث، فإن توافرت تلك الشروط فالرواية صحيحة، والحديث مقبول، وإن لم تتوفر فالحديث ضعيف، ويفهم من هذا أنه قد يكون الحديث ضعيفًا اصطلاحًا، وهو في نفس الأمر صحيح ثابت عن النبي ﷺ فلذا ينبغي للمؤمن الصادق أن يحتاط في رد الحديث. (ج).

(١) قد ينكر علينا البعض هذا الشرط، ويستبعد ما يلزم صاحب العرس من مراقبة الألفاظ التي تقال في عرسه ولكن نقنع هذا البعض بأن ما اشترطناه سليم ومعقول =

منعه، ودليل هذه المسألة: أن النبي ﷺ رد على الجارية قولها: وفينا رسول الله يعلم ما في غدٍ. ومنعه لأنه فيه رائحة شرك بنسبة علم الغيب إلى الرسول ﷺ وأباح لها ﷺ باقي كلامها، لأنه ما فيه من بأس ولا محذور، فقال لها: «**دعي هذا، وقُولي ما كنت تقولين**».

فإذا توفرت هذه الشروط جاز الدف والغناء أو الصوت كما هو تعبيره ﷺ، وما أصحه من تعبير! لأن المقصود من الغناء في العرس مجرد إظهار النكاح بصوت مرتفع عال يسمع، لا التلذذ بالنغم، والتمتع بنبرات صوت الحسان، والله أكبر ما أجمع كلامه! وما أدق تعبيره! وما أصح قصده! جعلني الله فداء سننه، وضحية شريعته.

هذا وينبغي أن نعلم أن الذي شرعت هذه الرخصة من أجله هدف سام، وأن الغرض منها غرض شريف، إنها كانت للفصل بين النكاح الحرام، والنكاح المباح الحلال، إنها أشبه برخصة أكل الميتة للمضطر إذ تلك أبقت على نفس مسلمة، وهذه أبقت على نفوس، وعملت على صيانة أعراض، ومن أجل هذا شرعها وحث عليها رسول الله ﷺ.

الرخصة في الغناء واللهو في العيد وبيانها:

١- أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، قالت، وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟! وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر**

=

وممكن ميسور أيضًا نقول: إذا كانت الحكومات اليوم لا تسمح بإلقاء كلمة في حفلة أو بنشرها في صحيفة أو إذاعتها في محطة إرسال إلا بعد مراقبتها والاطلاع عليها وحذف ما ينبغي أن يحذف منها، وكل هذا من أجل السياسة والحكم لا غير، فلماذا لا تراقب التي تقال في العرس إذًا حتى يحذف منها ما لا يجوز قوله وسماعه ويترك ما يجوز، أم السياسة أولى بالمحافظة عليها من توحيد الله وشريعته؟!

إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا»[1].

٢- رواية البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه، وجاء أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «**دعهما**» فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: «**أتشتهين تنظرين؟**» قلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده وهو يقول: «**دونكم بني أرفدة**» حتى إذا مللت قال: «**حسبك؟**» قلت: نعم، قال: «**فاذهبي**»[2].

٣- روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم في المسجد، دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها، فقال رسول الله ﷺ: «**دعهم يا عمر**»[3].

٤- وفي لفظ عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحًا بذلك، وهذا اللفظ متفق عليه[4].

فهذه أربع روايات ثابتة صحيحة لا شك فيها: أما الأولى: فهي مؤذنة بترخيص الشارع ﷺ في الغناء والدف يوم العيد وهذا ظاهر من قوله ﷺ: «**إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**»، ويفهم من هذا أنه لو كان في غير العيد

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٩٥٢)، ومسلم (٨٩٢/١٦-٢١) كتاب العيدين.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٩٤٩، ٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢/١٩).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٩٠١)، ومسلم (٨٩٣/٢٢).

(٤) رجاله ثقات. أخرجه عبد الرزاق رقم (١٩٧٢٣) عن معمر عن ثابت عن أنس- به، وأخرجه أبو داود رقم (٤٩٢٣)، وأحمد (٣/١٦١)، وعبد بن حميد رقم (١٢٣٩- منتخب) وأبو يعلى رقم (٣٤٥٩)، والبغوي في شرح السنة رقم (٣٧٦٨)، كلهم من طريق عبد الرزاق- به ورواية معمر عن ثابت فيها مقال، لكن الراوي عنه عبد الرزاق فحديثه عن معمر أصح لأنه حدث عنه من كتبه. ولم أر هذا الحديث في الصحيحين كما ذكر الشيخ حفظه الله.

لوافق نهي أبي بكر محله، ولما رخص للجاريتين في الدف والغناء، لأن الأصل المنع، ولذا لما رأى أبو بكر رضي الله تعالى عنه ذلك بادر إلى إنكاره قيامًا بواجب النهي عن المنكر، ولهذا أيضًا احتاج النبي ﷺ إلى التعليل لهذا الحكم المخالف لما تقرر قبله من منع الغناء والدف فقال: «**إن لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**» وفي لفظ «**حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح**».

والملاحظ هنا أمور وهي:

١- الرخصة الشرعية تقدر دائمًا بقدر الحاجة، ولا تتعدى محلها، فلا يجوز أن نعدي هذا النوع من اللهو إلى غير العيد.

٢- قول عائشة رضي الله عنها «جاريتان» وقولها «ليستا بمغنيتين» يدل على أن هذه الرخصة كانت في غناء جاريتين صغيرتين، والصغار يرخص لهم ما لا يرخص للكبار في باب اللهو واللعب، وأنَّ هاتين الجاريتين لم تكونا من المعروفات بالغناء المشتهرات، فيفهم من تنصيصها على هذا أنهما لو كانتا معروفتين بالغناء لم تكن لتسمح لهما بذلك، وإنما لما رأت أنهما صغيرتان وأن ما كانتا تقولانه من الكلام لا يعدو كونه أناشيد فخر وحماس قيلت في حرب من الحروب السابقة فأغضت عنهما لذلك، وخاصة أن عائشة يومها كانت صغيرة تحب اللهو واللعب بطبعها.

٣- قول أبي بكر ﷺ: «مزمارة الشيطان» دال على علم سابق له بأن الغناء والدف منهي عنهما، وأنهما من صوت إبليس يوقد به الفتن ويهيج به الشرور والشهوات، ويضل به عن سبيل الله ويصد عن ذكره.

٤- قول عائشة رضي الله عنها: «فلما غفل غمزتهما فخرجتا» دالٌّ على أنها رضي الله تعالى عنها كانت تشعر بالإساءة حيث سمحت للجاريتين بالتدفيف والإنشاد، وأن الرخصة وإن حصلت في هذا النوع من اللهو في هذا اليوم لم تكن لتزيل من نفسها ما شعرت به من مرارة الإساءة فلذا تحينت الفرصة لغفلة النبي ﷺ وأخرجتهما من البيت.

٥- أليس من خطل الرأي، وخطأ الفهم، وعمى البصيرة كذلك

الاحتجاج بهذه الرخصة على أن الغناء والمعازف، وبالكيفية التي يعرفها الناس اليوم، ولا يعرفون سواها مباحان وحلالان ولم يحرمهما كتاب ولا سنة؟!

أين ما قاله بنتان صغيرتان من أبيات شعرية مضمونها الحماس والفخر، حيث إن هذه الأبيات قد قيلت في حرب تعتمد على إثارة النعرة وتقوية الحماس، شأنها شأن سائر الحروب، أين هي من الأغاني الشائعة اليوم، والتي لحمتها وسداها ألفاظ الفحش والبذاء والهجر والكفر، ومعها أصوات العاهرات والمومسات، وأصوات المخنثين الماجنين مما لا يجيز الاستماع إليه والتلذذ به إلا فاسق لا يطيب له العيش إلا في حياة المجون والخلاعة؟.

هذا، وأما باقي الروايات فإنها دالة على رخصة أخرى وهي اللعب واللهو يوم العيد إذا كان اللعب يتضمن فائدة تعود على المسلمين بالخير وكان خاليًا من كل ما يسيء أو يضر الفرد أو المجموع فلعب الحبشة كان قطعًا بالحراب والدرق، وهو عبارة عن تمرين على سلاح، ورياضة على كيفية استخدامه، كما هو إظهار للبطولة، وإبراز لروح المقاومة، وحب الجهاد. وكل ما فيه أنه مازجه نوع من خفة المرح، ونشاط الفرح كان سببه يوم فرح عام هو يوم العيد، وأين هذه الرخصة بشروطها من السهرات الحمراء، والمراقص الماجنة التي تشرب فيها الخمور، وتنتهك فيها الأعراض، وتذبح فيها الكرامة، ويهدر فيها الشرف والطهر والعفاف؟!

ومع هذا كله -ويا للأسف- ولا يخجل إخواننا المنحرفون عندما يجملون القول تضليلاً وتمويهًا ويقولون: الكتاب والسنة لم يحرما الغناء، والمعازف، ولا الاستماع إليهما!!

ثم يتبجحون بالتضليل والمغالطة وكأنهم اكتشفوا لأمة الإسلام الذرة أو الهيدروجين لتعتز بذلك وتغلب وتسود.

ألم يعلموا أنهم بمثل هذه المواقف الشائنة يخدمون أصحاب الأهواء، وعبَّاد الشهوات، ويساعدون الاستعمار الغربي الذي يدين بالمسيحية ويناصر

الصهيونية يساعدونه على القضاء على الروح الديني في نفوس المسلمين ليسهل لهم بذلك الاستيلاء مرة أخرى على البلاد الإسلامية، والسيطرة عليها من جديد بعد أن طرد منها بفضل الله تعالى ثم بفضل الروح الديني الذي استيقظ في نفوس المسلمين في هذا العهد الأخير، فحملهم على المطالبة بعزة المؤمن وكرامة المسلم في الحياة، ثم على انتزاعهما بالقوة من أيدي الغاصبين المسيحيين.

حجج المقنع في إباحة الغناء ودحضها:

١- احتج المقنع في إباحة الغناء بقوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ من سورة الأعراف حيث السياق هكذا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فقال: إن الطيبات قد فسرت بالمستلذات، وما دام الأمر كذلك فالأصوات المطربة مستلذة والغناء مستلذ، والمعازف مستلذة، فهي إذًا حلال، وغره أن التفسير للطيب بالمستلذ هو تفسير لغوي لا شرعي.

ففهم أن كل مستلذ حلال، واعجب أنت أيها المؤمن الصالح من هذا الفهم الغريب والاستدلال العجيب!

إن صاحب هذا الفهم لم يبق أمامه -وعلى طول الخط- أي محرم أو ممنوع قط مادام مقياسه في معرفة الحلال والحرام هو اللذة، فإن الزنا لذيذ، وشرب الخمر لذيذ كذلك، فهما إذًا حلالان مباحان حسب فهمه، وسماع الباطل يلذه السمع طبعًا، وتستروح النفس عنده فهو إذًا حلال مباح، والتمتع بمغازلة الحسان ومداعبتهن في أماكن الريبة لذيذ، فهو إذًا حلال، وهكذا فكل ما وجدت فيه لذة فهو في حكم صاحب هذا الفهم حلال مباح ولو حرم بألف آية، ومليون حديث!!

هذا هو فهم المقنع للآية الكريمة، والذي أدَّى به إلى تحليل الحرام والعياذ بالله تعالى، وأما ما يفهمه سائر المؤمنين والمفسرين من هذه الآية فهو

أنه لما سأل موسى لنفسه ولبني إسرائيل قومه حسنة الدنيا ورحمة الآخرة بقوله: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أجابه الحق عز وجل بقوله: ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، ومعنى هذا أن الله تعالى لم يقبل دعوة موسى على إطلاقها بل جعلها مقيدة بالنسبة إلى الأجيال المقبلة من قومه بالتقوى وإيتاء الزكاة، واتباع النبي سيدنا محمد ﷺ وهذا الصرف الذي وقع لموسى عليه السلام عن مطلق دعوته كان قد وقع مثله لإبراهيم عليه السلام.

وذلك لأن الله تبارك وتعالى لا يحابي ولا يوارب ولا يجامل، وإنما يهب فضله، ويعطي رحمته لمن يتعرض لها بالتوقي من الشرك والشرور والمفاسد، وبالتزكية للروح بالإيمان الصحيح والعمل الصالح فقد قال تعالى لإبراهيم: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤]، حصل له هذا الشرف وهذا الفضل والكمال بعد نجاحه في الامتحان المرير القاسي الشديد، والمشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فلما سمع إبراهيم هذا الوعد الإلهي المقطوع بوقوعه تشوفت نفسه عليه السلام إلى تعميمه لكافة ذريته من بعده، وكيف وهو الأب الرحيم؟ فقال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فصرفه الله تعالى عن تعميم الإمامة في كل ذريته بقوله جلت قدرته وتعالت كلماته: ﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وبعد هذا الخروج البسيط عن الموضوع نعود إلى ما نحن بصدده فنقول: إن قوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] جاء في

أعقاب ذكر النبي ﷺ في التوراة، ويحمل القول في ذلك أن ما طلبه موسى عليه السلام له ولقومه كان مشروطًا بالنسبة إلى قومه من بعده باتباع النبي الأمي الموصوف بأنه يحل لليهود ما كان محرمًا عليهم من الطيبات التي حرمت عليهم بظلمهم، كما قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٦٠]، وهذه الطيبات التي حرمت عليهم بظلمهم ويحللها لهم النبي الأمي إن هم آمنوا به واتبعوه هي كل ذي ظفر من بعير، ونعامة، وشحوم البقر والغنم، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

ومن هنا يعلم يقينًا أن المراد بالطيبات في هذه الآية هي كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم إلا ما استثني منها، وليس كما يفهم المقنع من أنها ما استلذ وطاب، بل المراد بها طيبات خاصة كانت قد حرمت على اليهود عقوبة لهم على فسقهم وظلمهم، وبما أن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع فإن من يؤمن به من اليهود ويتبعه يحل له ما كان محرمًا عليه في الشريعة المنسوخة، وخاصة تلك الطيبات التي ما كانت لتحرم عليهم لولا ظلمهم واعتداؤهم.

والآن، ألم تر أيها المؤمن الصادق أن المراد بالطيبات في هذه الآية هي تلك التي كانت قد حرمت على اليهود بظلمهم، وجاء نبينا ﷺ بشريعة ناسخة لما قبلها فأحلتها لهم؟

وهل في هذه الآية بعد هذا من دليل للمقنع على أن المراد بالطيبات فيها هو ما استلذ وطاب حتى الغناء والزمر وسماع الشر والباطل؟

والجواب الصحيح: أنه لا دليل للمقنع في هذه الآية على إباحة الغناء والزمر واللهو، ومن طلب منها دليلاً على ذلك فقد صد عن سبيل الله

وابتغاها عوجًا، والعياذ بالله.

ومن الإنصاف أن نقول: إنه قد جاء ذكر الطيبات في القرآن الكريم في غير هذه الآية، وكان المراد به مطلق اللذيذ الطيب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢] غير أن المفسرين مجمعون على أن المراد بالطيب هنا زيادة على كونه لذيذًا غير مستقذر أنه حلال مباح بالحكم الشرعي، وإذًا فلا حجة فيه للمقنع كذلك.

٢- حديث الجاريتين الذي سبق أن ذكرناه بنصه وبألفاظه المختلفة وهو كما عرفت أيها المؤمن الصادق لم يدل على أكثر من رخصة شرعية مقيدة بقيود ومشروطة بشروط، فإن وجدت قيودها وتوفرت شروطها جازت، وكانت دالة على جواز الصوت بالأناشيد في يوم العيد ولو كان معها دف، وإلا فلا تجوز. والأمة مجمعة على هذه الرخصة وجوازها، وقد حملت هذا الحديث الشريف بألفاظه المختلفة عليها وقصرته عندها، كل ذلك فهم من الأمة للنصوص الشرعية والكليات والقواعد العامة في دين الإسلام.

وشيء آخر فهل يقاس -أيها المؤمن- غناء جارية صغيرة تغني لجارية صغيرة مثلها وتسمعها صوتها الذي لا يتعدى جداري المنزل بغناء عاهرة ماهرة تخرجت من معاهد الدعارة والفجور تغني للرجال والنساء معًا، وبألفاظ قذعة قذرة، ويبلغ صوتها كل بيت وشارع ودكان، ويطبق أقطار السماء والأرض؟؟!

٣- حديث لعب الحبشة بالحراب والدَّرَق[1] في المسجد وهو كما سبق مقرر للرخصة التي عرفتها الأمة المحمدية من عهد نبيها ﷺ إلى يومها هذا، وهي جواز بعض الألعاب المتوخى فيها فائدة تعود على الأمة بالصلاح والخير ولذا فإن كثيرًا من الأقطار الإسلامية مازال أهلها يلعبون بالخيول يوم العيد، ويظهرون مهارات فائقة في ركوبها، وبطولات في الفروسية عجيبة.

---

(١) الدرق: جمع درقة، الترس من جلود، ليس فيه خشب ولا عقب.

وهذا ولا شك نافع وصالح وهو من نوع ما جاء في حديث الحبشة، لأنهم كانوا يقفزون في حركات خفيفة وهم يلوحون بالحراب ويضربون بها الدرق، ولما في هذا من إظهار قوة الإسلام، وإحياء روح الدفاع والمقاومة في النفوس كان ﷺ يدفع عنهم ويقول لعمر ﷺ: **«دعهم يا عمر»**، ويؤمنهم قائلاً **«أمناً بني أرفدة»**، وهذا عين ما كان يقام من ألعاب بطولية بالسيوف عند زيارة الملك الصالح عبد العزيز آل سعود -رحمة الله تعالى عليه- لأحد مناطق مملكته إبان حياته، وشتان ما بين ما رخص فيه الشارع من هذا اللعب الطاهر الذي لم يخرج عن كونه رياضة بدنية، الأمة في حاجة إليها، وإلى تشجيعها، وبين ما يدعو إليه الخليعون في البلاد الإسلامية من الرقص الماجن، والفواحش القبيحة، واختلاط الجنسين في المسارح، والأغاني الخبيثة، والزمر الجنوني.

وأخيرًا فهل حديث الحبشة ولعبهم في المسجد بالحراب والدرق في يوم عيد أو ما هو كالعيد من قدوم نبي عظيم، أو صالح كريم هو صالح للاحتجاج بأن اللهو واللعب والغناء المعروف اليوم مباح حلال؟.

ومن يقول بهذا أيها المؤمن الصادق سوى صاحب هوى مفتون؟

٤- حديث عائشة رضي الله عنها في قصة زفاف الفتاة التي كانت في حجرها وأن النبي ﷺ قال: **«فلو بعثتم من يقول معها:**

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم»(١)

هذا الحديث هو عين ما أخذت منه أمة الإسلام رخصة الصوت والدف في العرس، وهي تعمل بها في كل بلاد العالم الإسلامي إلى ما بعد اليوم معتقدة أن الصوت والدف في العرس شريعة نبيها ﷺ، وأنها رخصة

(١) حسن. أخرجه ابن ماجه رقم (١٩٠٠)، وأحمد (٣/٣٩١)، والبيهقي (٧/٢٨٩)، من حديث جابر، وفيه عنعنة أبي الزبير، وله شاهد ضعيف عن عائشة، أخرجه الطبراني في الأوسط، وانظر مجمع الزوائد (٤/٢٨٩)، والإرواء رقم (١٩٩٥)، وآداب الزفاف (ص١٨١).

العرس التي لم ينكرها مسلم واحد منذ أن كانت إلى اليوم، وكيف؟ والرسول ﷺ يقول: «**فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح**».

فهل لنا أن ننقل هذه الرخصة عن موضعها، ونعديها إلى غير محلها، ونبيح الغناء والزمر، فنحول بيوت المسلمين إلى مراقص ومزامر وأغان شيطانية عابثة من هذا الزمر الجنوني، والأغاني الفاحشة، التي ذهبت بإيمان وحياء كثير من الناس وحولت كثيرًا من الأسر إلى ندامى، ما بينهم من حياء ولا احتشام، حتى لكأنهم قوم خليعون صفيقون يعيشون طول دهرهم على الإجرام والفساد؟.

د- حديث «**لله أشد أذنًا -سماعًا- إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته**»[(1)].

فيا للعجب كيف يتخذ هذا الحديث دليلاً على إباحة الغناء والزمر؟ وما فيه أكثر من أن صوت الرجل -لا المرأة- وبالقرآن لا بألفاظ الدعارة والتخنث يحبه الله كثيرًا ويسمعه بكيفية أشد من سماع صاحب القينة إلى قينته!!.

وأما قوله: من صاحب القينة إلى قينته إن تشبث به المقنع ورأى فيه دليلاً على ما يدعو إليه، لما فيه من إشارة إلى سماع صاحب الجارية من جاريته فليس فيه من دليل قط، لأنه من الجائز أن تغني المرأة لزوجها، والجارية لسيدها بألفاظ طاهرة تترنم بها المرأة أو الجارية في بيتها أمام الزوج أو السيد، وأي محذور في هذا؟ إنه إذا كان قد حل للسيد من جاريته فرجها فكيف لا يحل له أن يسمع صوتها؟ وإذًا فكيف يتخذ هذه الحديث دليلاً على إباحة أغاني المخنثين تسمعها العفيفات، وعلى أغاني العاهرات يسمعها

---

(١) ضعيف. أخرجه ابن ماجه رقم (١٣٤٠)، وأحمد (١٩/٦، ٢٠)، والبخاري في تاريخه (١٢٤/٧)، وابن حبان رقم (٦٥٩- موارد) والطبراني في الكبير (ج١٨/ رقم ٧٧٢)، والحاكم (٥٧٠/١، ٥٧١)، والبيهقي (٢٣٠/١٠)، من حديث فضالة بن عبيد، وفي سنده ميسرة مولى فضالة لم يوثقه غير ابن حبان.

الرجال الصالحون وفي كل يوم وليلة، وفي كل بيت ومكان؟

٦- حديث نذر الجارية الضرب بالدف بين يدي رسول الله ﷺ إن رده الله من سفره سالمًا معافى.

أليس الدف مرخصًا فيه شرعًا في العرس والعيد؟

وإذا كان هذا معلومًا للجارية، فلماذا لا يجوز لها أن تنذر ضرب الدف أمام نبيها ﷺ فرحًا بمقدمه؟ أليست عودة النبي ﷺ سالمًا إلى أنصاره وداره ومحبيه وحوارييه عيدًا من خير الأعياد، والأعياد قد رخص فيها الدف والصوت واللعب؟ فما المانع إذًا من أن تنذر هذه الطفلة الصغيرة والتي لم تكلف بعد ضرب الدف يوم عيد قدومه ﷺ؟.

ومع هذا فقد قال لها عليه الصلاة والسلام: «**إن كنت نذرت فأوفي**»[1]، ومفهومه أنها لو لم تنذر لما فعلت أمامه ﷺ. وإن قيل: لو لم يكن الدف مباحًا لما جاز نذرها ولا صح، لأن نذر المعصية لا يجوز، قلنا: نعم فإن الرخصة بجواز الدف في العرس والعيد معلومة معروفة وهذه من تلك فأين إذًا محل الاستدلال من هذه القصة بأن الغناء والمزمار حلالان مباحان!؟

٧- قول المقنع: والقصب والآلات الوترية لم يرد فيها نص صحيح يمنعها، اعلم أيها المؤمن الصادق أن قوله هذا بالرغم من أنه مغالطة مفضوحة، فإنه دال على جهل الرجل وعدم علمه حتى بمدلولات الألفاظ العربية، وبيان ذلك:

١- أن هذه الآلات تسمى معازف، وقد جاء تحريمها في صحيح البخاري تحريمًا قطعيًا، لأن الصيغة التي وردت في ذلك من صيغ التحريم الشديدة حيث صاحب ذلك إيعاد لأصحابها ومرتكبيها قردة وخنازير، وقد تقدم نص الحديث فليرجع إليه!

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود رقم (٣٣١٢)، وغيره، من حديث عبد الله بن عمرو، وسنده حسن، وله شاهد من حديث بريدة، وقد أخرجه الترمذي وابن حبان وغيرهما، وانظر الإرواء رقم (٢٥٨٨).

٢- فإنه يريد بفهمه هذا من الرسول ﷺ أن يكون فنانًا عصريًا قد استخدم كل آلات الطرب، وعرفها واحدة واحدة لكثرة ممارسته لها، فيسمي له كل آلة باسمها الخاص، كأن يقول له: العود حرام، البيانو حرام، القيثارة حرام، وهكذا.

مسكين أخونا المقنع! ألم يعلم أن نبينا الطاهر ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وأن قوله: المعازف، شامل لكل آلة، سواء كانت ذات وتر أو غيره، وإن العزف في اللغة: الصوت المطرب من أي مصدر كان، وآلته تسمى معزفًا وتجمع على معازف.

وبناء على هذا، فإن صوت المغني والمغنية داخل في لفظ المعازف بحكم أنه صوت مطرب وهو إذًا حرام بالحديث الصحيح الصريح الذي أخرجه إمام المحدثين البخاري رحمة الله تعالى عليه، وبعد هذا فهل بقي للمقنع من يصدقه في أن القصب والآلات الوترية لم يرد فيها نص صحيح يمنعها؟

٨- استدل المقنع على إباحة الأغاني الحالية التي حرمها الكتاب والسنة وإجماع الأمة بعمل إبراهيم بن سعد، وما أتفه ما استدل به! لأن إبراهيم بن سعد هذا رجل مطعون فيه(١)، وقد قدمنا قول الإمام مالك في أمثاله ممن عرفوا بالفسق والزمر في المدينة، فقد قيل لمالك: ما تقول فيما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله الفساق عندنا، الله أكبر! قد فسق الإمام مالك مفتي المقنع، وعمدته في إباحة الغناء، وسنده في جوازه، وبطل استدلاله بفتاويه.

وبلا أسف أن إبراهيم بن سعد هذا والذي يرفع المقنع نسبه إلى أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو عبد الرحمن بن عوف ؓ ظنًا منه أننا نقيم لغير الإيمان والعمل الصالح وزنًا، والله يقول: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ونبيه ﷺ يقول: «**من أبطأ به عمله لم يسرع به**

---

(١) بل هو ثقة، وقد أخطأ في هذه المسألة، وهي مغمورة في جانب فضله.

نسبه»[1]، ونبيا الله نوح ولوط عليهما السلام قيل لزوجيهما ﴿ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠]، ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾.

نقول: إن إبراهيم بن سعد هذا قد فسّقه المقنع نفسه عندما قال: إنه يفتي بالحل! فتعبيره هذا يفهم منه بوضوح، وكما هو الواقع أن الأمة الإسلامية في عصورها الذهبية الأولى كانت على تحريم الغناء، وأن إبراهيم هذا كان يفتي بالحل خروجًا عن الأمة الإسلامية وجماعة المسلمين، وأي فسق أعظم من الخروج على جماعة المسلمين، واتباع غير سبيل المؤمنين؟

وليس أدل على تفسيق المقنع لصاحبه ومفتيه الذي يحتج بفتاويه على حلية ما حرم الله ورسوله من الأغاني الماجنة والمعازف المنكرة من قوله فيه: إنه قد سمع منه الإمام أحمد بعد أن كان إبراهيم قد حلف ألا يحدث حديثًا -ضبعًا عن رسول الله ﷺ- إلا بعد أن يغني على عود، ويالضياع سنة الرسول إذا كانت تؤخذ عن الحشاشين، وأصحاب الأهواء والمجون!! ويالخسارة الإسلام، إذا كانت نصوصه تطلب من هذا النوع الرخيص من الناس!!

اسمع يا مقنع! إنك والله لو كنت صادقًا أو ناصحًا، وإنك لا تريد إلا نصرة الإسلام وحمايته كما زعمت مطولاً في حديثك لما استطعت أن تذكر هذه الحادثة، ولو ثبتت لديك باليقين، وبرؤية العين، لأنك بذكرها تهدم أركان الإسلام، وتزلزل الإيمان في قلوب المؤمنين ولكن لا لوم ولا تثريب مادامت الدوافع معروفة، والأسباب مكشوفة.

وأخيرًا، فمن هو هذا إبراهيم الموهوم المطعون والذي تكون فتواه حجة على إجماع المسلمين، وعلى نصوص الكتاب والسنة، من هو يا ترى؟ أصديق هو، أم عبد الله بن مسعود، أم عبد الله بن عباس، أم القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق، أم عمر بن عبد العزيز، أم مالك، أم الشافعي، أم أبو حنيفة، أم أحمد، وكلهم ما بين محرم للغناء ومفسق للمغني والمستمع؟

---

(١) جزء من حديث طويل، أخرجه مسلم (٣٨/٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة.

وأخيرًا، فهل يتوب المقنع إلى الله ويستغفره فإن الله يتوب عليه ويعتقد كالصالحين حرمة الغناء والمعازف، ويعلن عن توبته من على منبره، فنحمد الله له على التوبة، ونهنيه على الرجوع؟؟

حجة الظاهري الداحضة في إباحة الغناء والمعازف

هل تدري أيها المؤمن الصادق بما احتج هذا المتظاهر؟

هل تدري بما احتج على إباحة الغناء والمزامير والمعازف والاستماع إليها؟ هل تدري بماذا احتج وعج؟

إنه لم يحتج على صحة ما ادعاه بكتاب، ولا سنة ولا قياس، ولا إجماع الأمة. إنه لم يحتج بأكثر من رأي رجل خرج على المذاهب الأربعة، وحارب أكثرها، وشنع على كثير من أصحابها، وسفه آراء كثيرة، وكأنه لم ير إلا رأيه صائبًا، ولم يعرف إلا نفسه راشدًا.

احتج المتظاهر برأي رجل تطاول على العقول، وسفه الأحلام، وضلل المفاهيم وجمد على ظاهر النصوص، فكان حظه منها ما طفا على سطح العبارة، ولو صور الجنة مغارة، والنار منارة.

ومزالق هذا الرجل الذي اتخذه متظاهر الرائد اليوم قدوة له وإمامًا، واحتج بقوله في تحليل ما حرم الكتاب والسنة والإجماع، والقياس والعقل والنقل.

نقول: مزالق هذا الرجل وسقطاته أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، وهاك أيها المؤمن المتبصر صورة مصغرة من مزالق هذا الرجل حتى لا تحدث نفسك أبدًا بأن ما قاله في الزمر قد يحتمل الصدق، أو الصحة بحال.

روت الأئمة عن نبيها ﷺ قوله: «**لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه**»[1]، وفهمت أن نبيها نهاها عن البول في الماء

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٣٩)، ومسلم (٢٨٢/٩٥، ٩٦)، وغيرهما من حديث أبي هريرة.

الذي لا يجري إذا هي أرادت أن تغتسل فيه، لأنه يتقذر بالبول، أو يتنجس به، وهو فهم منطقي سليم، ويأتي الظاهري فيقول: لو أننَا تغوطنا في الماء الدائم ثم اغتسلنا فيه لما كان في ذلك من بأس، لأن النبي ﷺ نهى عن البول فقط، ولم ينه عن التغوط! واعجب أنت أيها المؤمن من هذا الفهم السقيم، واعجب أكثر من متظاهر الرائد، إذ يطلب من أمة الإسلام اليوم أن تتنكر للكتاب والسنة والإجماع والقياس، وتحلل الغناء والخنا والفحش وكل طريق يؤدي إلى الزنا، لأن ابن حزم يرى هذا!

فقط لأن ابن حزم يرى هذا!!

ولك ألا تعجب أيها المؤمن فإن (للمتظاهرين) عجائب وغرائب وأن منها ما طلع به علينا متظاهر اليوم من أن الكتاب والسنة لم يحرما الغناء والمعازف ولا الاستماع إليها، لأن الظاهري في هذا الباب لم تقنعه الكليات العامة في الكتاب والسنة، والتي فهمت منها الأمة الإسلامية جمعاء تحريم الغناء والمعازف، وإنما يريد أن ينزل القرآن يقول: المزمار حرام، والقيثارة حرام، المعازف والاستماع إليها حرام، وعندها يصدق ويفهم كما فهمت الأمة أنها حرام، مسكين هو الظاهري! ومسكين هو هذا المتظاهر الذي يخرج على المسلمين اليوم بفتنته العمياء يكتب بحروف غليظة حمراء، وبكل تبجح مزر، ووقاحة شائنة، ويقول: الكتاب والسنة لم يحرما الغناء ولا استعمال المعازف والمزامير ولا الاستماع إليها، وكأنه قد اكتشف على طول البحث عنصرًا هامًا من عناصر تقدم الأمة ورقيها، فجاء يعلن عن ابتهاجه وفرحته بما حققه الله على يديه من عثوره على رسالة لظاهري الأول، كان قد ضمنها إحدى سقطاته التي أشرنا إليها آنفًا، فنشر فصولاً منها بنصها وفصها تحت عنوانه: الكتاب والسنة لم يحرّما الغناء إلى آخر الهراء، مسكين هو هذا المتظاهر!! ألم يعلم أنه عندما يقول: الكتاب والسنة لم يحرما الغناء والمعازف، وبالخصوص في هذه الأيام، وعلى هذه الكيفية المعروفة اليوم، أنه يدعو إلى الخلاعة والمجون، وإلى التحلل والميوعة التي غيرت فطرة الشباب في

كثير من البلاد الإسلامية؟

ومسكين هو هذا المتظاهر عندما ذهب بدافع مناصرة الشر ومشايعة أهل الباطل، يقلب الأوراق البالية، ويبحث عن الآراء الخالية، تلك الآراء التي واراها الحق، وأقبرها اليقين، ولسوء حظه يعثر هذا المنقب على رأي عفن بالٍ عقيم هو رأي ابن حزم -غفر الله له وعفا عنه- في موضوع السماع فطار به فرحًا، ووقف على رأس مجلة «الرائد» يصيح: أيها الناس: الكتاب والسنة لم يحرّما الغناء.

مسكين هو هذا المتظاهر إذا كانت حجته في إباحة الغناء والمعازف هي هذه التي تبخرت ولم يبق منها شيء!

وأنت أيها المؤمن الصادق فهل تأبه لمثل هذه الترهات، وتعتقد تحليل ما حرم دينك؟ إن مثل هذا التضليل لا يغطي عليك شمس الحق، ولا يستر عنك نور اليقين، وكيف وأنت المؤمن الحق والمؤمن ينظر بنور الله.

ما وراء هذا التباكي؟

إن المتأمل في هذا الصراخ والبكاء والعويل الذي ما فتئت بعض الصحف المحلية للمملكة تنشره، وتعلق عليه بمزيد من الاستحسان والتحبيذ، هذا البكاء أو التباكي على إذاعة الوادي الأمين «مكة المكرمة» ووصفها بأنها جامدة، ومتأخرة، وأنها مهجورة لجمودها وتأخرها، وأن الشعب رغب عنها، وأصبح أفراده يستمعون إلى غيرها من إذاعات العالم إليها.

وأن مجهودات الحكومة وأموالها كلها ضائعة، حيث إن الشعب قد انصرف بتاتًا عن هذه الإذاعة الجامدة، وصاحوا ينبغي أن تنطلق الإذاعة من عقال الجمود، وأن تتحرر من ربقة التزمت والتحفظ الذي لا يليق، ينبغي أن تساير العصر، وتنافس إذاعات العالم حتى تكسب رضا الشعب، وتظفر بالسمعة اللائقة بها في دنيا المستمعين! إلى غير ذلك من البكاء والعويل.

وليس من شك في أن مرادهم من تحررها ومسايرتها للعصر، ومنافستها لإذاعات العالم هو أن تذيع الأغاني الخليعة الرخيصة لأشهر المخنثين والعاهرات في دنيا العهر والخلاعة، كل ذلك ليتلذذ السفهاء، ويتمتع أصحاب

الأهواء من رجال ونساء! ويومها تصبح الإذاعة السعودية إذاعة راقية تستحق احترام الشعب وتقديره!

ومن أجل هذا فيما يظهر قام المقنع اليوم يشكك، والمتظاهر يغالط ويضلل، ويدعيان -باطلاً- أن ما يطلبه هواة الأغاني والمولعون بالمعازف والمزامير هو من الحلال الذي لم يحرمه كتاب ولا سنة.

ونحن الآن نتساءل ونقول: ماذا وراء هذا التباكي يا ترى؟؟

ونجيب عن تساؤلنا إظهارًا للحقيقة وكشفًا للسر، وتدليلاً على إخلاصنا لهذه الحكومة الإسلامية التي لم يبق للإسلام في دنيا الوجود سواها[1]، والتي نود أن نحافظ على وجودها وقوتها وعزتها وطهارتها وصلاحها بأرواحنا ودمائنا، ويشهد الله على ذلك.

فنقول: إن نار الحسد التي تتأجج في صدور كثير من إخواننا في الدين والجنس، إن جحيم البغض والغيظ الذي يعيش فيه أعداء الإسلام من مسيح ويهود، ذلك الحسد وهذا البغض اللذان سببهما ما تتمتع به هذه الدولة المسلمة من سمعة طيبة لدى المسلمين عامة، وما تحمله لها القلوب المؤمنة من إجلال وإكبار، حتى إنه لا يوجد مسلم صحيح الإسلام، ولا مؤمن صادق الإيمان، وفي أي بلد إسلامي كان، إلا ويتمنى بكل قلبه أن يحكمه ابن السعود، وإنه لو يدعى إلى مبايعته ملكًا أو خليفة للمسلمين لما تردد طرفة عين، وكان ذلك من أجل أن هذه الدولة تمثل الإسلام وتقوم به، وتدعو إليه، وأن المسلمين في غيرها محرومون من لذة العيش تحت ظلال دولة القرآن، في حين أن المسلمين فيها وتحت رايتها ينعمون بالأمن، ويتمتعون بالعدالة، ويتلذذون بحياة الطهر والصفاء في الظاهر والباطن معًا.

ولا شك أن هذه حالة داعية إلى أن تحسد هذه الدولة في كرامتها ومكانتها، كما أنه قد يخاف منها إن دام لها مجدها وطهرها، وعم خيرها وطار وانتشر صيتها في الآفاق.

---

(١) بعد الله (ج).

ومن أجل ذلك -ولا شك- عمل الحساد والمبغضون بطريق الدس والخديعة في قوالب من النصح والتوجيه، عملوا على إنزال هذه الدولة التي كانت معجزة القرن الرابع عشر، هذه الدولة التي لا يواليها إلا مؤمن، ولا يعاديها إلى منافق كافر، مادامت قائمة بأمر الله، عملوا على إنزالها من علياء كرامتها وسماء مكانتها إلى المستوى الذي يعيشون هم فيه، فشوهدت فيها أمور أنكرها الصالحون، وأحوال غريبة لم يكن يعرفها المؤمنون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهاهي ذي قوى الشر اليوم تحاول النزول بالإذاعة السعودية، تلك الإذاعة التي تحمل راية لا إله إلا الله، وتمثل صوت القرآن، وشخصية الإسلام، تحاول النزول بها إلى أن تصبح تذيع كل قبيح وقذر، لا فرق بينها وبين إذاعة لندن وباريس، لتضحك رومة المسيحية، وتبكي مكة الإسلامية آه ثم آه ماذا يريد المنحرفون منا!!؟

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد! ومن يدرينا أن الأمر مُبَيَّت، والخطة مدبرة للمطالبة بوجود جوقة طرب للمحطة، يختار لها الفنانون المهرة، والفنانات الماهرات؟.

وما يدرينا أن هذه الحملة المسعورة على تحريم الغناء ما هي إلا مجرد مناورة فقط، وأن الأمر أوشك أن يتم، وتخرج (جوقة الطرب) إلى حيز الوجود، ويصبح يجلس فيها الفنان إلى جنب الفنانة بلا حجاب ولا ستار، لأن هذه طبيعة الجوقة حول أجهزة الإرسال، والأمور تجري دائمًا على طبائعها.

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد! وما يدرينا أننا سنسمع ضجة أخرى كهذه كذبة -أستغفر الله- كتبه جدد يطالبون بفتح معهد في جدة أو في مكة لتخريج المهرة من الفنانين والفنانات في العزف والغناء، بحجة أن الموجودين غير أكفاء، وإنما هم متطفلون على الفن، لأنهم لم يدرسوا دراسة خاصة، ولم يكن معهم من الشهادات ما يخولهم لهذا العمل الدقيق.

وإلى متى وأموال الحكومة ضائعة يأكلها من لا يستحقها؟ يجب أن يوجد معهد للفن في بلادنا بما يتفق ونهضتنا العلمية وتطورنا الاجتماعي الذي يرعاه أبو الشعب ملكنا المحبوب!!

ويوم يوجد هذا المعهد يأتي الشيطان بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على الفاسقين أعزة على الصالحين، أمثال دعاة الغناء والمزامير اليوم يكتبون بحروف حمراء وخضراء بارزة وظاهرة تحت عنوان: الكتاب والسنة لم يحرما العلم، بل يفرضانه على كل مسلم ومسلمة، وما فن الموسيقى والإيقاع والغناء إلا علم من العلوم التي لا تتم نهضة أمة من الأمم، ولا تكمل حضارتها إلا بها!.

ومن المقطوع به أنه عندما يصبح المعهد يخرج فنانين وفنانات يوظفون بألف ريال شهريًا في دار الإذاعة إننا لا نجد -إلا نادرًا- من يتورع ولا يطلب لابنه أو ابنته مقعدًا في هذا المعهد، ويضيق لذلك نطاق المعهد مما يضطر المسئولين إلى فتح معاهد تسد حاجة البلاد كما يقولون!.

ويومئذ يضحك الشيطان قائلاً: «على الطهر والصلاح العفاء»!.

وما قلناه وافترضناه في الإذاعة نقوله ونفترضه في تعليم البنت كذلك، فإن الضجة التي ثارت حول تعليم البنت لا تقل في شدتها وعنفها عما هو ثائر حول الإذاعة، فكم كتبت الصحف ونشرت المجلات؟ وكم بكى أنصار التحرر وتباكى أبطال التقدمية، وقالوا مسكينة هي البنت السعودية! محرومة هي البنت السعودية! إنها تعيش في ظلمة المنزل وظلمة الجهل!.

مسكينة هي البنت في هذه البلاد، محرومة من سلاح العلم، ومن زاد العرفان، وبكوا وتباكوا إلى أن خدعوا الحكومة الرشيدة وما أسهل خداع المؤمنين الصالحين.

وفتحت مدارس البنات، وهاهي ذي ابتدائية وقبل أن تكون ثانوية وقد أصبحنا ننكر ما كنا نعرفه من زي البنت المسلمة قبل، فرأينا الشعور تشذب وتهذب، والملابس تنمق وتزوق، والتكاليف ترتفع وتثقل، وكنتيجة حتمية

ستفتتح مدارس ثانوية، وبعد أعوام معدودة ولو كره المؤمنون أمثالنا ويومها لابد من السفور ثم الفجور، ومن قال: لمه؟ جوابنا له: إنها السنن، والمقدمات لا تعدم نتائجها.

والذي استفاد من هذا الفساد قطعًا المثلث المعادي: المسيحية والصهيونية والخرافيون، وليس غير ذلك!.

هذا وبما أننا على بينة من أمرنا نقول متحدين كل عنصر فاسد، ومعول هدام، وقلم مسخر أرونا نتيجة كل هدم هدمتموه في الإسلام غير محق للكرامة، وقتل للشخصية الإسلامية، وانتزاع للروح الدينية من نفوس المؤمنين نؤمن لكم ونتابعكم؟

أرونا نتيجة تعليم البنت، وفي سائر البلاد الإسلامية، والتي أصبحت البنت تملأ أكثر مقاعد المدارس المختلفة فيها، وهل تستطيعون أن ترونا غير الخلاعة والسفور، ومزاحمة الرجال في الأعمال، حتى كثرت البطالة في الرجال، وعظم دخل أفراد، ومات آخرون بالجوع والحرمان؟

أرونا نتيجة معاهد الفنون وتخريج المغنين والمغنيات، وهل ترونا غير الميوعة والتحلل؟

أرونا نتيجة المسارح والسينمات التي يود كثير بجدع أنوفهم أن لو توجد في هذه البلاد -لا أوجدها الله-.

أرونا نتيجة حلق اللحى والتزي بزي الكفرة والمشركين، وهل حقق شيئًا يذكر في عالم الحقائق سوى الانحطاط في الكرامة، وسوى محو لشخصية المسلم، تلك الشخصية التي طالما عمل الرسول ﷺ على تكوينها والمحافظة عليها بقوله: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**[1] وبقوله: **«المرء مع من**

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود رقم (٤٠٣١)، وأحمد (٢/٥٠، ٩٢)، وعبد بن حميد رقم (٨٤٨- منتخب)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٣١٣)، وغيرهم، من حديث ابن عمر، وسنده حسن، وله شواهد، وانظر الإرواء رقم (١٢٦٩)، وحجاب المرأة المسلمة.

أحب»[1] وبقوله: «**خالفوا المشركين: وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب**»[2]. وحافظ عليها خلفاؤه من بعده، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يمنع الذمي أن يتزيا بزي المسلم، كل ذلك من أجل أن يمتاز المسلم بشخصيته لأنه البشري الوحيد في هذا الوجود الذي أقيم وصيًا على البشرية يرشدها ويهديها، ويحرص على كمالها وسعادتها.

وإذا ذهبت الشخصية فمن للإنسانية؟

من للبشرية؟ قولوا -عباد الله- من؟؟ أروسيا البلشفية؟ أم المسيحية الوحشية؟ أم البوذية الهمجية؟ أم الصهيونية الإجرامية؟.

وخلاصة القول: فما فهمناه من وراء التباكي أن القوم -هداهم الله- يلحون من غير شعور، وفي إصرار وعناد على محو الشخصية الإسلامية، والمظاهر الدينية في هذا البلد المقدس لتصبح مكة كبيروت، والمدينة كالقاهرة، ولا فرق، وليصبح المسلم كالكافر، والأسرة المسلمة كالأسرة الكافرة، ويومها يقولون: تقدمنا، ومشينا شوطًا بعيدًا في طريق التمدن والحضارة، وكلمة أخيرة لابد من قولها -وإن غضب أناس- ولم يرض آخرون- لأننا لا نريد أن نرضي الناس بسخط الله، لأن رضا الناس غاية لا تدرك.

يا قوم: إننا شعب صغير إمكانياتنا معدودة، وطاقتنا محدودة، وإننا مهما تنكرنا لإسلامنا، وسلخنا ثوب إيماننا، لنكون شعبًا -كما تريدون- متحضرًا متمشيًا مع العصر، متطورًا مع الحياة، وفي كل شيء -كما تقولون- لن نبلغ مجدًا ولا عزًا، ولا كرامة، ولا أمنًا ولا عدالة، ولا قوة ولا منعة أكثر مما نحصل عليه من طريق تمسكنا بالإسلام أصلاً وفرعًا، في العقيدة، وفي

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦١٦٨، ٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠/١٦٥) من حديث ابن مسعود، وله شواهد.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩/٥٢-٥٤) من حديث ابن عمر، وله شواهد.

السلوك، في الزي وفي الهندام وفي كل مظهر من مظاهر الملة الحنيفية التي هي ملتنا، وإن أبيتم منا إلا التنكر لها، واسمعوا يا قوم: نروي لكم القصة التالية لعلكم تجدون فيها ما يقنعكم على صحة ما نقول:

إنه في عام ١٩٣٥م وفي باريس بالذات، وما أعظم باريس وحكومة باريس في ذلك الظرف بالخصوص، أي قبيل الحرب العالمية الثانية حدث حادث قتل، وصادف أن شهد المحاكمة مسلم جزائري، وفتحت المحكمة جلستها للمرافعة، وحكمت أخيرًا بسجن القاتل قتل عمد وعدوان خمس سنوات، وعندها وقف محامي أولياء القتل وقال ما معناه: يحيا ابن السعود، يعيش ابن السعود ليحكمنا ابن السعود، لأنه يقتل القاتل، ولا يملأ السجون! ودوت جنبات المحكمة بالتصفيق الحاد تصفيق الاستحسان ولم ينقطع حتى استخدم رئيس المحكمة رجال الشرطة في إسكات المصفقين وإنهاء الضوضاء، هذه هي القصة كما رويناها وسوف لا نعلق عليها بأكثر من قولنا انظروا يا قوم المدى الذي وصلت إليه سمعة دولتنا الإسلامية حتى تمناها شعب فرنسا الذي بلغ في الحضارة المادية مبلغًا لن يبلغه اليوم مريدو هذه الحضارة المائعة الفاجرة ولو مزقوا المصحف، وهدموا أركان البيت، وتخلصوا من الإسلام تمامًا ماداموا يرون ذلك طريقًا للرقي والتقدم، وسبيلاً للتطور والتمدن لما أصاب آراءهم من تعفن وأذواقهم من فساد، والعياذ بالله.

وما ذاك إلا أن هذه الدولة الإسلامية تمثل العدالة الإلهية في الأرض، تلك العدالة التي يهفو إليها القلب البشري بفطرته، ويميل إليها بطبيعته، ولو كان كافرًا لا يؤمن بالله العظيم.

بيان حقيقة
وخاتمة

لعل المنحرفين في دنيا المسلمين قد يتبادر إلى أذهانهم أننا بدعوتنا إلى الإسلام والتمسك به قلبًا وقالبًا، عقيدة وعملاً، مظهرًا ومخبرًا، ولعلهم يتبادر إلى أذهانهم أننا ندعو أمة الإسلام اليوم وحكوماتها إلى أكل الشعير، وفرش الحصير، وركوب الحمير، وإلى التسلح بالحصا والعصا، والرضا بالخنوع للغير، والخضوع تحت شعار المقادير، وإلى العجز والكسل باسم القضاء والقدر. لا، لا يا قوم والله، إننا لنعلم أننا نعيش في عصر الذرة والهيدروجين وغزو الفضاء، والبحث عن أسباب العروج إلى السماء، فلا تصفو -عفا الله عنكم- أفكارنا بالجمود، ولا عقولنا بالجفوف، إننا ويعلم الله لتقدميون، ولكن بالمعنى الصحيح، وإننا وايم الله، لمتحررون لكن من أسر الشرك والكفر، والخرافات والشهوات، أما من شعائر الدين، وتكاليف الإسلام، ومستلزمات الإيمان، فلا نريد تحررًا ولا تقدمًا، بل همنا وعزمنا، ورجاؤنا وأملنا أن نعيش لله عبيدًا مسخرين، وأرقاء مطيعين، نأتمر بأمر الله وأمر رسول الله ﷺ، وننتهي عما نهى عنه الله ورسول الله ﷺ، وسواء كان فيما يسر أو يضر، هذا شعارنا حتى نلقى ربنا، وسواء رضيتم أنتم يا أبناء الدنيا أم سخطتم هذه حقيقة خشينا أن تخفى عليكم فبيَّناها لكم والله ولينا وإليه المصير.

أما الخاتمة: فإننا بناء على ما أشرنا إليه في معرض كلامنا على الإذاعة وعلى تعليم البنت مما يفهم من أنه نقد خال من التوجيه نريد أن نبين فيها ما نرغب فيه من إصلاح للبنت وللإذاعة كذلك.

أما البنت: فإننا نريد لها أن تتعلم كما نريد لأمها كذلك أن تتعلم، ولكن لا على حساب الحجاب الذي فرضه الكتاب، ولا على الطهر الذي لا نريد الحياة بدونه.

نريد للبنت المسلمة مدارس، وللأم المسلمة مساجد، على أن يكون للمدارس مناهج دينية صالحة، ومعلمون صالحون، وللمساجد وعّاظ

راشدون، ومعلمون ربانيون، مع تحديد هدف تعلم البنت، وتشخيص غاية علمها، أما هدفها: فينبغي أن يكون معرفة ربها، وفهم مسائل دينها، ما يلزم خُلُقها من استقامة، ونفسها من إصلاح.

ويكون هذا بقصرها على تعلم مثل سورة (البقرة) و(النور) حفظًا وفهمًا، وعلى أحاديث نبوية صحيحة صريحة في العقيدة والخلق، وفي الطهارة والصلاة، وفي الصوم والزكاة، وفي العمرة والحج إلى بيت الله.

وأما غايتها فهي أن تتعلم كيف تصبر على لزوم بيتها، وتربية أولادها، وعلى طاعة الله، ثم طاعة زوجها.

هذا هو الهدف الذي نريده من تعلم البنت، وهذه هي الغاية التي نتوخّاها من وراء ذلك.

ولا نريد أبدًا أن يكون هدف البنت من التعلم أن تتحضر فتسفر وتفجر، وتزدري أمها، ومن تعاليم الإسلام تسخر؟.

كما لا نريد ولا نرضى بحال أن تكون غاية البنت من تعلمها الحصول على ورقة الشهادة لتتوظف -كما هي حال أخواتها- لتجمع الفلس وتوفر القرش، ولا لتبني به العش، ولكن لتتبرج به وتفحش.

وهذا ما لا نريده لابنتنا المسلمة ولا نرضاه لها بحال، ولما علمنا أن المسئولين عاجزون عن الضبط والتحديد، قلنا: من الخير للبنت المسلمة أن تترك جاهلة، فإن جهلها خير لنا ولها من سفورها وفجورها، وأن عدم علمها خير من إلحادها وكفرها، إن كنتم تعقلون.

وأما للإذاعة: فإننا نريد للإذاعة الإسلامية -وايم الله- أن تذيع أربعًا وعشرين ساعة لا تفتر دقيقة ولا تستريح ساعة.

وأما ما تذيعه وتنشره، وتبثه وتبذره، فإنا نريد أن يكون ما يعلم ويحلم، وما يؤدب ويهذب، وما يزكي الروح، وينمي الخلق.

نريد للإذاعة الإسلامية أن تنهض بأعباء الدولة المحمدية فتبلغها للأبيض والأسود، وللأسمر والأصفر، فتبلغ رسالة الله إلى كل أمة بلسانها وإلى كل

شعب بلغته ولهجته.

نريد للإذاعة الإسلامية أن يشعر المسئولون عنها، والقائمون بشئونها أنها نعمة يجب صرفها في طاعة المنعم لا في معصيته، فيجنبونها أن تذيع اللغو والباطل، وينزهونها أن تبث الزمر والغناء، أو تنشر بين المؤمنين وغير المؤمنين ألفاظ الفحش والبذاء.

نريد للإذاعة الإسلامية أن تكون لسان حال الإسلام والمسلمين فهي إذًا كالمسلم في نصحها وإرشادها، في طهرها وصفائها، وهي كالإسلام في مبادئه البناءة، وتعاليمه القيمة، وفي تبشيره للصالحين وتحذيره للمفسدين.

هذا ما نريده للإذاعة الإسلامية، ولا نريد لها غيره، أما إذاعة غير إسلامية فمن يلومها إن أذاعت الشر أو نشرت الفسق والكفر! أما أن تحسب الإذاعة على الإسلام وتذيع ما يتنافى مع طبيعة الإسلام فهذه جريمة في حق الإسلام، وخيانة ضد المسلمين، ومن أجل هذا صحنا نحن الصائحون في وجوه العابثين اللاعبين، وقلنا: يجب أن تبقى إذاعتنا طاهرة طهرنا وطهر إسلامنا، فلا فحش ولا خنا، ولا مزمار ولا غناء.

وختامًا، فهذه ومضة مما يعتلج في صدورنا، وما تختلج به عروقنا من إرادة للخير وحب للإصلاح، وليس لإخواننا السعوديين فحسب، بل لعامة المؤمنين والمسلمين.

ويعلم الله أننا ما نريد بما كتبناه ونشرناه غير ما يرضي الله ويصلح شأن المؤمنين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

السعادة .. حقيقتها .. وأسبابها[1]

أسأل الله بعزته وجلاله أن يجمعني بكم بذلك الحب في دار كرامته والله إني أقولها صادقًا إني أحبكم في الله، الله يعلم كم أشتاق لميقات أجتمع معكم على ذكر الله وطاعته، وجزاكم الله عني كل خير.

أما ما سألت عنه أخي في الله من الظن بأن السعادة تكون في مثل هذه الأمور.

أولاً: لا ينبغي أن يعمم الإنسان بالحكم أو يقول إن كثيرًا من البيوت فيها كذا وكذا، لازال ولله الحمد الخير موجودًا، ولا يزال ولله الحمد بقية الخير.

والبلاء بلاء الشر والخير موجود إلى قيام الساعة ومنذ زمان النبي ﷺ وهو في المدينة ومعه المنافقون والمرجفون في المدينة ويرى ويبتلى المؤمنون فهذا ابتلاء لكي يظهر صدق الصادقين وثبات الموقنين ويظهر والمعاذ بالله فساد المفسدين ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] إن الله سائلك عما ترى والله محاسبك عن هذه النعمة التي أنعم بها عليك، والله يعلم كم من كفيف بالبصر يتمنى لحظة يرى فيها أهله وولده، والله أنعم عليك بهذه النعمة وهو سائلك ومحاسبك ومجازيك بين يديك.

فليس لكم أقول ذلك القول ولكن أقول لمن ابتلي بهذا البلاء أن يتقي الله في نفسه إنني أرجو من الله أن لا يكون فينا من ابتلي بهذا الشيء.

ونسأله أن يحيينا على السلامة ولا نزكي أنفسنا على الله فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، هذا البلاء، وهو بلاء النظر سواء كان في رؤية هذه الأشياء أو غيرها، فلربما يفتن الإنسان في بصره وهو في طريقه إلى مسجده، عليك أن تعلم أن البصر نعمة، وأنه لن تزول قدمك بين يدي الله

---

(١) العلامة محمد المختار الشنقيطي، مكتبة أبي حذيفة السلفية، مصر.

حتى يسألك عن جميع ما أبصرت عيناك، وتراها أمام عينيك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثم اعلم أخي في الله أن النظر يؤثر على القلب وأن الله سبحانه وتعالى إذا تعرض العبد للفتنة قد يزيغ قلبه لا يهتدي أبدًا والعياذ بالله.

احذر الفتن فلربما فتنة واحدة تهلك الإنسان دهره كله نسأل الله السلامة والعافية، ولا تقل إنها لحظات يسيرة ولا تقل إنها ساعات قليلة، فإن الله سبحانه وتعالى إذا غضب يهلك عبده الذي يغضب عليه، ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه: ٨١]، الله يغضب بالبصر ويغضب باللسان ويغضب بالجوارح والأركان، يغضب ببصرك إذا نظرت للحرام، ويغضب باللسان إذا تكلمت بالآثام ويغضب بسبب جوارحك وأركانك إذا اقترفت ما لا يرضي الله من حرام.

ولذلك قال ﷺ: «**إن العبد ليتكلم الكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً يهوي بها أبعد ما بين المشرقين في نار جهنم**»، وفي رواية: «**يهوي بها في النار سبعين خريفًا**»[1].

فكم من نظرة فتكت في قلب صاحبها — فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها — في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته — لا خير في سرور قد جاء بالضرر

على المسلم أن يحمد نعمة الله على البصر ثم إذا تساهل في ذلك وأدخله على أهله وأولاده فإن الله يحاسبه وسيقف بين يدي الله في كل فتنة أدخلها على أهله وولده.

والله لن تزول قدمه بين يدي الله حتى يتعلق به أولاده فيقولون: يا رب سل أبانا كيف أدخل علينا هذا البلاء، وربما نظر الولد وهو حديث السن إليه نظرة واحدة فتنت قلبه إلى الأبد.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نعم إن الشهوات نارها عظيمة ومن زلق في الشهوات هلك، فعلى المسلم أن يحذر وأن يعلم أن هؤلاء الأولاد وهؤلاء الصبية خاصة إذا كانوا صغارًا أمانة في عنقه، والله عز وجل سائله عنهم ومحاسبه بين يديه عنهم، وإذا أشقى الوالد ولده بالسوء والفتنة فإنه يحمل وزره بين يدي الله عز وجل ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣].

فعلى المسلم أن يتقي الله وأن يحمد الله على العافية، فكم من أمور تسر بها العيون من ذكر الله وطاعة الله وتربية الأولاد على خير إن هذه الأشياء التي يفتخر بها ويبتهج بها فهي والله شقاء وبلاء وعناء إن هذا الذي يراه من المعصية والسوء والدعوة إلى الإثم بلاء على العبد في دينه ودنياه وآخرته، فينبغي على المسلم أن يتقي الله في نفسه وأن يتقي الله في أهله وولده وأن يحفظ هذه الرعية التي استرعاه الله إياها قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع وهو مسئول عن أهل بيته**»(١).

فليتق الله كل من ابتلي بهذا البلاء، فإذا كان مبتلى ولابد فليحفظه عن أولاده، وليحفظه عن زوجته حتى لا يبتلى بغضب الله عز وجل عليه وليحمل أوزارهم وأن يستديم أخذ الأسباب التي تحول بينه وبين البلاء، نسأل الله العظيم بعزته وجلاله وعظمته وكماله أن يمن بالهداية على ضال المسلمين.

اللهم اهد قلوبهم، واشرح صدورهم، اللهم أصلح شباب المسلمين.

الانتقال عن الشقاوة إلى السعادة:

هذا أحد الإخوة يقول فيه: من ظن أن السعادة في إشباع الرغبات والشهوات والإعراض عن طاعة الله ثم علم أن السعادة في غير ذلك فكيف يخرج من شراك هذه المعاصي، مع أنه شقي بها دهرًا طويلاً وهو يظن أنه يحسن عملاً فبالله يا فضيلة الشيخ أوصلني إلى الطريق أوصلك الله ووالديك

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

إلى الجنة ولا تنساني من الدعاء في هذا الجمع المبارك.

الجواب: لا يوصلك إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أخي في الله .. إذا أراد الله بعبده خيرًا رزقه قوة الرجاء والإيمان بالله سبحانه وتعالى، والشيطان قد قعد لك بالمرصاد ويقول لك لن تتوب، لن تترك هذه المعاصي مادمت قد ألفتها، ولكن والله ثم والله وأقسم موقنًا بالله إنك إن صدقت مع الله صدقك الله وأنك إن تركت شيئًا لله عوضك الله خيرًا منه.

يا من ابتلي بالشهوات والفتن الملهيات وأعرض عنها لله وفي الله، فإن الله لا يخيبه وسيعوضه إيمانًا يجد حلاوته في قلبه وفي حاله وسيجد عاقبة ما فعل من خير.

أخي في الله: لا تيأس ولا تظن أن هذه المعاصي والفتن تمنعك وتحول بينك وبين الله، في الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرتها لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك إن دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي**»[١].

الرجاء قوة اليقين في الله سبحانه وتعالى، كم من أناس نعلمهم وقد هلكوا وأسرفوا في المعاصي، ولكن الله مَنَّ عليهم في آخر اللحظات بقلوب أقبلت بالصدق وأقبلت باليقين فبدل الله أحوالهم، فلا إله إلا الله كيف بدلت سيئاتهم حسنات وكيف تأذن الله بغفران الخطيئات ورفعة الدرجات، والله يحكم ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، لا تعجز وكن قوي الإيمان بالله جل جلاله.

وأعرف رجلاً كنت معه وهو في السبعين من عمره حدثني وهو صائم في مسجد النبي ﷺ، أنه كان مبتلى بشرب الخمر أعاذنا الله وإياكم وكان في الخامسة عشرة حتى بلغ الأربعين، فدخل ذات يوم على طبيب، فوجد أن

---

(١) رواه الترمذي وأحمد من حديث أنس ﷺ، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٣٨)، والصحيحة (١٢٧).

الخمر قد استنفذت جسمه والعياذ بالله، فقال له الطبيب يا فلان لا دواء لك إلا الذي كنت فيه، فوقف الطبيب عاجزًا حائرًا، قال لي بلسانه، فلما قال لي ذلك كأنني انتبهت من المنام، وقلت له ليس عندك علاج؟ قال: ليس عندي علاج، فقال: بل العلاج موجود والدواء موجود، قال: ونزلت من ساعتي وأعلنتها توبة لله وصليت في مسجد النبي ﷺ وانطلقت إلى بيتي فلبست إحرامي تائبًا إلى الله، والله يحدثني وهو صائم، قال: فنظرت إلى مكة وكان بينه وبين مكة ثلاثة أيام، إن هذا يحدثني وعمره في السبعينيات وهذا في التسعينيات، قال: فلما وصلت إلى مكة وصلتها في السحر فوصلتها في ظلمة الليل قبل السحر، فأديت العمرة ولما خرجت من عمرتي جئت ولجأت إلى الله وبكيت وتضرعت وقلت: يا رب إما أن تشفيني وإما أن تقبض روحي وأنا تائب، قال: فشعرت في نفسي أن شيئًا يحركني أن أشرب من زمزم، قال: فنزلت إلى زمزم وكانت بالدلو أيامها، فأخذت دلوًا من شدة الجوع فشربته كاملاً، وهو رجل أعطاه الله غصة في الجسم حتى عند كبره، فلما شربت هذا الدلو إذا بباطني يتقلب، فشعرت بالقيء أكرمك الله فانطلقت فلم أشعر إلا عند باب إبراهيم وقد قذفتها من بطني وإذا بها أكرمكم الله قطع من الدم مظلمة سوداء داكنة فقذفتها فلما قذفتها شعرت براحة عظيمة، قال فشعرت بعظمة الله جل جلاله وأيقنت أن من التجأ إلى الله لا يخيب، وأن الله بيده من الخير ما لم يخطر على بال، فرجعت مرة ثانية في يقين أكثر وإيمان أعظم فدعوت وابتهلت وسألت الله وبكيت وقلت يا رب إما أن تشفيني وإما أن تميتني على هذه التوبة، قال: فإذا بنفسي تحدثني بزمزم مرة ثانية، فشربت الدلو مرة ثانية وحصل لي ما حصل في المرة الأولى، فانطلقت حتى بلغت الباب ويقول على عتبة الله أكرمكم الله: فقذفت، فإذا بالذي قذفته أهون من الذي قبل، فرجعت مرة ثالثة وإذا بي إيمان ويقين أكثر، لأنه نظر إلى عظمة الله وجلاله وقدرته سبحانه وتعالى، فلما دعوت وابتهلت إذا بي أحب الشرب فنزلت فشربت من زمزم في المرة الثالثة فتحرك كما في الأولى فقذفت فإذا هو ماء أصفر أكرمكم الله كأنه غسل من دم، قال:

فشعرت براحة عجيبة ما شعرت بها منذ أن بلغت، قال: فرجعت فدعوت الله سبحانه وتعالى وابتهلت إليه فألقى علي السكينة فنمت فما استيقظت إلا على أذان الفجر، فقلت: لا أخرج من هذا البيت ولن أفارق هذا البيت ثلاثة أيام، فمازال يبكي ويسأل الله العفو والمغفرة ويشرب من ماء زمزم، قال فرجعت إلى المدينة بعدها فلما دخلت واستقر بي المقام أتيت إلى الطبيب المداوي فوقف عليه فنظر في وجهي وإذا به قد استنار والحمد الله من الهداية.

قال: يا عبد الله إن الله قد أعطاك، يعني أن هذا الشيء في عرف الأطباء لا يمكن أن يصل إليه الطبيب، ولكن الله هو الذي تولاك ثم استقام من ساعته ثلاثين عامًا، يقول لي وأنا أحدثك اليوم صائمًا وأنتظر من الله حسن الخاتمة وقد توفي رحمه الله على خير.

منذ الخامسة عشرة إلى الأربعين يشرب الخمر، ومعروف فتنة الخمر وبلائه، ومع ذلك تاب إلى الله فتاب الله عليه.

لا إله إلا الله، الله أعلم كم من أبواب رحمة فتحها على المعذبين، الله أعلم كم من أبواب بر وإحسان أغدقها على عباده الموقنين.

أيقن بالله وثق بأن الله سبحانه وتعالى سيعطيك ولن يخيب الله رجاءك، من هذا الذي وقف بباب الله فطرده الله عن بابه، فثق ثقة تامة أن هذا الذي تفعله (ولكونك في هذا المجلس المبارك)، تعلنها توبة إلى الله فإن الله يحب منك ذلك، والله ما دعوت ربك ورجوته والله ما ملئت قلبك بحبه إلا وأراك الله السعادة في الدنيا والآخرة.

من أتاه يمشي أتاه هرولة، ومن تقرب إليه شبرًا تقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذارعًا تقرب منه باعًا[1]، ويفرح بتوبة التائبين سبحانه[2]، نذنب ونخطئ ونسيء ويفرح بتوبتنا، ما أحلمك يا رب، وما أرحمك وما أكرمك،

---

(١) صح هذا المعنى من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما مرفوعًا في الصحيحين وغيرهما.

(٢) فرح الله تبارك وتعالى بتوبة عبده، متفق عليه من حديث أنس ﷺ، وله ألفاظ متقاربة.

سبحانه لا إله إلا هو، يفرح بتوبة التائبين، والتوبة لنا، لن نبلغ ضره فنضره، ولن نبلغ نفعه فننفعه، **«يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا»**[1].

اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك، ونسألك أن تتوب علينا وعلى عبدك هذا وعلى جميع عبادك المؤمنين، اللهم تب علينا في التائبين، وانشر لنا من رحمتك يا أرحم الراحمين، واغفر لنا أنت خير الغافرين، والله تعالى أعلى وأعلم.

منزلة قيام الليل:

يقول السائل: إن من أسباب السعادة أن يوفق العبد لقيام الليل، وإني كلما بذلت ما أستطيع من أسباب للقيام بالليل أجدني لا أعان على ذلك فهل من كلمة توجهوها إلينا جزاكم الله خيرًا.

الجواب: قيام الليل من أجل الطاعات وأشرف القربات التي يرحم الله بها المؤمنين والمؤمنات.

وانظر إلى نصوص الكتاب والسنة، وما فيها من الدلائل العجيبة التي تدل على فضل هذه العبادة، فإن الله لما أوحى للنبي وأصبح في ذلك في تلك الليلة أوحى الله إليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [المزمل: ١، ٢]. فكان من أول ما أمره أن تنتصب قدمه بين يدي الله في جوف الليل.

إذا نامت العيون وهدأت الجفون، وقام العبد بين يدي الليل يتلو كتاب الله ويرجو رحمة الله، فهي ساعات الصالحين وأمنية المتقين وشعار عباد الله المفلحين، ما رزق أحد قيام الليل إلا أفلح ونجح وربحت تجارته في الدنيا والآخرة،﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ

---

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

ﭐلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩].

وفي الحديث: إن العبد إذا كان في جوف الليل وقام ليتهجد قام من عند زوجته وحبه، قال الله: يا ملائكتي، عبدي ما الذي أقامه من حبه وزوجه فيقولون والله أعلم: يرجو رحمتك ويخشى عذابك، فيقول الله: أشهدكم أني أمنته من عذابي، وأصبته برحمتي.

قيام الليل خير كثير، شأن الصالحين ودأب عباد الله المفلحين، ما حبب قيام الليل إلى عبد إلا رزقه الله عز وجل الصلاح والفلاح، وكم من دعوة مستجابة في ظلمات الليل، قيل: يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال ﷺ: «**جوف الليل الآخر**»(١)، جوف الليل الأظلم إذا نامت العيون وهدأت الجفون ثم إن هذه العبادة تربي في العبد الإخلاص لله جل جلاله.

فلا أحد يراك ولا يعلم بك إنما تتقلب بين يدي الله وهذه العبادة تعين الإنسان على كثير من الخير إذا أصبح ولذلك مما يعين على هذه الدنيا إحياء الليل في طاعة الله، فإن النبي ﷺ لما جاءته فاطمة كما في الصحيح تسأله خادمًا، قال لها: «**ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين ثلاثًا وثلاثين وتحمدين ثلاثًا وثلاثين وتكبرين الله أربعًا وثلاثين حين تأخذين مضجعك**»(٢)، فإن هذا الذكر من المجرب، إذا تركه وجد أثره في رزقه وحاله، فذكر الله في الليل فيه خير كثير.

ثم إن الإنسان إذا أصبح تلألأ وجهه من نور الصلاة، قال ﷺ: «**الصلاة نور والصدقة برهان**»(٣)، فمن أكثر من قيام الليل تلألأ وجهه من نور العبادة، ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم ﴾ [الفتح: ٢٩] هذا السيما نور العبادة.

قال بعض السلف: كان الرجل من الصحابة إذا أصبح كأن وجهه

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وغيرهما عن أبي أمامة رضي الله عنه وله شواهد.

(٢) متفق عليه.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

الشمس من نور العبادة يتقلب بين يدي الله في جوف الليل، فلا يزال العبد بخير إذا قام الليل وذكر الله في جوف الليل الأظلم وسأل الله في الساعة التي تستجاب فيها الدعوة وهي ثلث الليل الآخر[١].

وأما بالنسبة لأعظم الأسباب التي تعين على ذلك: فأعظمها وأجلها كثرة الدعاء أن يرزقك الله عز وجل قيام الليل والأمر الثاني: أن تكثر من تلاوة القرآن فإن القرآن يحبب في الطاعات كلها وبالأخص في قيام الليل ثم إن من المعين على قيام الليل علم الإنسان بعظيم أجره، وجزيل ثوابه فإن الركعة في جوف الليل الأظلم لها أجر كبير، خاصة إذا كانت على هدي النبي ﷺ فأطال قراءة القرآن وتلذذ بمناجاة الحليم الرحمن.

قال ﷺ: «**اقرأ**» حينما أخبره أنه قرأ سورة الكهف فجاءت سحابة أو غمامة فقال: «**اقرأ فلان! تلك السكينة تنزلت من قراءة القرآن**»[٢]، وإذا نزلت السكينة على العبد ثبت الله قلبه ولذلك قل أن تجد إنسان يحافظ على قيام الليل إلا وجدته في صباحه غالبًا مأمونًا من الفتنة بإذن الله عز وجل، فاحرص بارك الله فيك على هذا الخير.

أما ما يمنع الإنسان عن قيام الليل:

قال سفيان الثوري رحمه الله: أذنبت ذنبًا فحرمت قيام الليل ستة أشهر.

فإن عقوق الوالدين، وقطيعة الرحم -نسأل الله السلامة والعافية- والغيبة، واللمز وسب الناس واحتقار الناس هذه من أعظم الآفات التي تحول بين المهتدي، والهداية، وكم من شاب مهتدٍ التزم بدين الله كان في بداية هدايته عفيف اللسان عفيف الجنان، عفيف الجوارح والأركان فكان من

---

(١) حيث ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فينادي عباده فيستجيب الدعاء ويتوب على التائبين ويعطي السائلين، كما في الصحيحين وغيرهما، بل جزم الذهبي رحمه الله في العلو أنه متواتر.

(٢) الصحيح أنه كان يقرأ سورة البقرة، والصحابي هو أسيد بن حضير رضي الله عنه كما في الصحيح، والحديث متفق عليه.

أكمل الناس إيمانًا ولما غير، غير الله ما به فأصبح في زيد وعمرو وينتقص زيدًا وعمرًا وربما تكلم في عالم أو داعية أو نحو ذلك فبلي بالفتنة على قدر ما أصاب من الفتح.

ليتق الله من لسانه وليتفقد نفسه، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، نسأل الله العظيم أن يرزقنا السداد والرشاد، والله تعالى أعلم.

السعادة الزوجية:

يقول السائل: أشهد الله ثم أشهد هذا الجمع المبارك أني أحبك في الله حبًا شديدًا وآمل منك الإجابة على سؤالي وهي كيف يكون الرجل سعيدًا مع زوجته؟ مع العلم أني سعيد مع زوجتي، وهي من طبعها قليلة الكلام وأنا أجد في نفسي السأم والملل، وهي لا تتحدث معي، فما هي مقومات السعادة الزوجية حفظكم الله وبارك فيكم؟

الجواب: بالاختصار، الحقيقة، لا سعيد إلا من أسعده الله، وإذا أراد الله أن يسعد الزوج في زواجه والزوجة في زواجها رزقه الدعاء قبل الزواج.

وقبل أن يتحمل المسئولية ويبتلى بالأمانة يلهج بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يبارك الله في زوجه وأهله وأن يصلحها له، ولذلك قال الله عز وجل عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالذي أصلح لزكريا عليه السلام وأصلح لمن قبله يصلح لك زوجك، فأعظم أسباب السعادة كثرة الدعاء.

الأمر الثاني: حسنه النية في الزواج: ألا يتزوج الإنسان لشهوته، ولكن يتزوج أول ما يتزوج لكي يعف نفسه عن الحرام، ويبتعد عن الفواحش والآثام، وينوي بينه وبين الله أن يبارك الله في هذه الزوجة فيغض بصره عما حرمه الله، ويحصن فرجه عما نهاه الله عز وجل.

فإذا حسنت نيته بارك الله له لأنه يكون عبادة ويكون له طاعة وقربة ثم كذلك أيضًا مما يعين على السعادة الزوجية ترسم هدي النبي ﷺ في كل إلفه ومودته ومحبته لزوجه فتراه عليه الصلاة والسلام خير زوج لزوجه، يقول ﷺ:

«**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[١] فشهد وهو الصادق ﷺ أنه خير الناس لأهله وزوجته.

فكان إذا دخل من البيت بمجرد دخوله، لا يدخل وفي قلبه على أهله شيء، حتى كانت أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها تقول: كان إذا دخل لا يدخل من وجه الباب، يتخون أهله صلوات الله وسلامه عليه، حتى في كيفية الدخول.

وكان إذا دخل عليه الصلاة والسلام ابتدأ بالسواك[٢] حتى لا تشم منه إلا رائحته الطيبة لأنه طيب فطاب ﷺ وطيبه ربه، فكان يتفقد المشاعر والأحاسيس.

إذا خرج إلى الأمة وقف على منبره فأخشع القلوب لربه، وقاد جحافل الإيمان لنصرة القرآن والدين صلوات الله وسلامه عليه.

فكانت لا تأخذه في الله لومة لائم، فإذا دخل إلى بيت الزوجية دخل أكرم بعل وأكرم زوج على أهله صلوات الله وسلامه عليه.

دخل بشيء من الإلف والمحبة، لا يدخل وهو يشعرهم بأنه العظيم وأنه الكبير، وإذا بذلك التواضع وذلك الإلف، فإذا بالحياة الزوجية تحتاج لشيء من الحذر وتحتاج لشيء من التوقي وتلمس المشاعر، حتى في النداء يناديها ويقول: «**يا عائش**»[٣]، يرخم لها النداء حتى إذا نادى.

وما عاب طعامًا بين يديه قط[٤]، أبدًا صلوات الله وسلامه عليه، ولا سب ولا شتم امرأة[٥] بل ولم يسئ إلى أحد بلسانه صلوات الله وسلامه

---

(١) رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣١٤)، والصحيحة (٢٨٥).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) صح ذلك في عدة أحاديث، وانظر على سبيل المثال ما رواه البخاري (٦٢٠١).

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) حديث صحيح رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها.

عليه، إن وجد خيرًا حمد الله ورد الجميل بأجمل منه[1]، وإن وجد غير ذلك شكر وصبر وذكر الله جل جلاله، فيأتي إلى أم المؤمنين فيقول لها: **«هل عندكم طعام»**، قالت: لا والله، قال ﷺ: **«إني إذًا صائم»**[2].

ولو أن رجلاً منا جاء وقال: هل عندكم طعام؟ قالت: لا ما عندنا طعام، أقام الدنيا وأقعدها فضيق، فضيق الله عليه، وأساء فرأى عاقبة السوء، وما سميت السيئة سيئة إلا لأنها تسيء إلى صاحبها.

وإذا جرحت مشاعر الأهل بالسيئة، ساءتك السيئة التي خرجت من لسانك، فكان يحذر صلوات الله وسلامه عليه في كلامه وخطابه وندائه، ثم إذا وضع الطعام بين يديه، بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه، إذا بعائشة رضي الله عنها وأرضاها تقدم له الطعام، وتدني له الشراب، فيقسم عليها أن تشرب قبله[3]، تشرب قبل نبي الأمة وأحب الخلق إلى الله ﷺ.

إن كريم الأصل من طابت شمائله وآدابه، وهذا ينعكس على مشاعره وأحاسيسه، يدخل كما دخل نبي الرحمة ﷺ، ويعاشر كما يعاشر صلوات الله وسلامه عليه، فإذا جاءت المناسبات والأفراح أدخل السرور على أهله، وأدخل السرور على زوجه، ففي الصحيحين لما قام الحبشة يلعبون يوم العيد في المسجد، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أن تنظر إليهم، فانظر اليوم يوم عيد ويوم فرحة ما كسر الخواطر ﷺ، ولا قال لها: أنا أقف لك وأنا نبي الأمة أقف لك حتى تنظرين بل قام ﷺ ونعم القيام، قام فوقف على عضادتي الباب ووقفت أم المؤمنين تنظر إليهم وهم يلعبون من وراء ظهره ﷺ، فيقول: **«هل فرغت؟»** فتقول: لا بعد فيقول: **«هل فرغت»** فتقول: لا بعد[4].

---

(١) صح عنه ﷺ أنه كان يقبل الهدية ويثيب عليها.

(٢) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها موقفًا من هذه المواقف.

(٣) رواه النسائي عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

فانظر إلى وقوفها، وانظر إلى إصرارها وطول موقفها رضي الله عنها وأرضاها، تعلم رحمته وشفقته، فتدللت رضي الله عنها وأرضاها، وابتهجت تقول له لا بعد لا بعد تدللت مع الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعمره صلوات الله وسلامه عليه في الستينيات، وهي صبية تقول: اقدروا قدر الصبية الجهلاء، تقولها رضي الله عنها، يعني متى انتهت متى فرغت، كلما رأتهم يلعبون قالت: لا بعد يعني انتظر.

من منا يفعل هذا الفعل، نريد من زوجاتنا أن تكون الزوجة موطأة الكنف كثيرة الإحسان والتبعل لزوجها، ولكن لا ننظر ما الذي قدمنا لأزواجنا، وبمجرد أن يفكر الواحد منا في حسن العشرة، جاءه الشيطان من شياطين الإنس والجن فأقام له الدنيا وأقعدها وقال له: إن أحسنت إلى زوجتك فإنها تؤذيك في مستقبلك، إنك إن تواضعت لها ركبتك، وإن تذللت لها أهانتك وإنها تفعل وتفعل فلا يزال القلب يمتلئ بسوء الظن في الأهل حتى لا يستطيع الإنسان أن يلتمس خصلة من خصال البر معها، نسأل الله السلامة.

ومنهم من يدخل إلى بيته دائم العبوس، دائم العصبية شديد الصراخ، كثير الكلام، حتى إنك لتعجب والله من الواحد منا إذا جلس مع الناس تبسم وتهلل وجهه وتحبب إلى الناس، ولربما جاءه الرجل فأساء إليه، فيسعه بحلمه ويبدي له الصبر، ولكن ما إن يدخل إلى بيته -نسأل الله السلامة والعافية- إلا ابتدأ فكشر عن أنيابه وتغير وجهه، فأضر وأضر وآذى أهله.

لا والله، يقول ﷺ: «**ما أولئك من خياركم**»[1] أي الذين يضربون نساءهم، فخيار الأمة خيارهم للأهل. ما الذي نريد؟ نريد هدي النبي ﷺ، هذا الهدي الكريم الذي جمعه الله في آية واحدة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] الكلمة الطيبة، تلمس المشاعر والأحاسيس.

---

(١) روى نحوه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذياب وله شواهد، كما قال الحافظ في الفتح.

ومما يوصى به لاستقامة بيت الزوجية وللسعادة أن تتفكر دائمًا أنك مدين بالفضل، الرجل الكريم -وهذه من الحكم المعروفة المأثورة- أن الرجل الكريم لا تطيب شمائله إلا إذا تواضع للناس، ومن تواضعك للناس أن تحس دائمًا أنك لا تستوجب على الناس شيئًا، ولذلك أي إنسان أعطاه الله نعمة وأحس أن له فضلاً على الناس تعالى على الناس وأهان الناس وأذلهم وغمطهم حقوقهم نسأل الله السلامة والعافية.

فالرجل إذا شعر أنه هو صاحب الحق، وأنه ينبغي أن يكون على المرأة، نعم الرجل قواما على النساء ولكن هناك آداب وشمائل، زين الله بها أهل التقوى فإذا لم نكن طيبين بأخلاقنا وشمائلنا ولحمنا ودمنا لأهلنا فلمن نكون؟

وإذا لم تكن بيوتنا مبنية على المحبة والألفة، فأين تكون الألفة والمحبة؟

ومهما كان من زوجتك من إساءة فاصبر عليها، فإذا دخلت البيت ووجدتها قد طبخت طعامًا قلت: جزاك الله كل خير، وقلت كلمة الطيبة بارك الله فيك وأحسن الله إليك، هذه الدعوات الصالحة تجد أثرها وخيرها عليك في بيتك، من صنع إليكم معروفًا فكافئوه.

فالحمد لله أنك وجدت امرأة تطبخ لك، كم من امرأة تمردت على زوجها، وإذا رأيتها غسلت ثوبك أو أحسنت إليك، أو جاءت بالشيء قلت جزاك الله كل خير، أمام أولادها تثني عليها وتجلها فأولادك يجلونها، ثم هي تقابلك بالإجلال، فإذا بأولادك يحبونك ويحبونها ويكرمونك ويكرمونها، وإذا بالبيت تنتشر فيه الرحمة، وينتشر بينهم الحب والود الذي ينبغي أن تقوم عليه بيوت المسلمين.

والعكس بالعكس، فإذا أصبح الرجل يحس أنه ذلك المستحق، وأن أقل غلطة من المرأة لا تغتفر، وأنها إذا زلت بلسانها قام فسبها وشتمها وربما أمام أطفالها وأبنائها.

من أعظم العيب، وأقبحه أن المرأة تكون بين الخمسين والستين، وإذا

بزوجها يسفهها أمام أولادها، من أقبح العيب والله أن يكسر خاطرها ويهين كرامتها أمام أولادها، وهذا والله ليس من العشرة بالمعروف، راقب أفعالك وراقب تصرفاتك، إذا أردت السعادة تحتاج منك إلى ثمن كبير، وتحتاج منك إلى تضحية.

كان الصالحون يؤذون من زوجاتهم ويضطهدون فلا يسمع منهم إلا الخير، يقال: إن زكريا عليه السلام كانت امرأته تسبه وتشتمه وتهينه ومع ذلك كان صابرًا، فالمرأة ابتلاء من الله، يبتليها الله بك حتى بالاحتقار وأنت كريم.

كان رجل من علماء المدينة وقال لزوجته ذات يوم وكانت تهينه، قال: لها: تهينني هلا دخلت المسجد ونظرت إلى الناس؟ فجاءته إلى المسجد ونظر، وإذا بالأمة أصغت إليه وأطرقت برءوسها، ثم لما رجع إلى البيت قال لها: هل رأيت؟ قالت: وماذا رأيت؟ رأيت الناس في مسجد رسول الله ﷺ خاشعين إلا أنت، تصيح وترغي وتفعل وتفعل، لأنها تنظر بعين النقد، فنسأل الله السلامة والعافية.

فالمقصود، لابد من الصبر لابد من التجمل واحتساب الأجر، يبتليك الله بزوجتك لدرجة في الجنة لدرجة لا تبلغها بكثرة صلاة ولا صيام، فتدخل البيت فإن سمعت خيرًا قلت: الحمد لله الذي رزقني زوجة تخاف الله، وإذا رأيت غير ذلك قلت: اللهم لا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اهدها اللهم أصلحها، فإذا بأولادك يحبونك ويكرمونك.

يقولون عن رجل من العلماء أنه دخل عليه أحد طلابه، فوجد عنده ابنًا بارًا عجب من بره، فقال له: أتعجب من بره، والله لقد عشت مع أمه، عشرين أو ثلاثين عامًا مل تبسمت في وجهي يومًا قط، فصبرت فعوضني الله ما ترى. الذي يصبر ولابد من الصبر والتحمل الذي يريد السعادة يدخل إلى بيته بقلب واسع ما رأى من خير شكره، ويشعر أهله بأنه زوج وأنه كريم وإذا رآك أبناؤك بهذه الصفة أمهم تضع طعامها فتشكرها، تعودوا شكر الناس

على الإحسان، وإذا رأوك كريمًا مع زوجتك، تعلموا كيف يعيشون مع الناس كرامًا.

البيت مدرسة، فعلينا أن نتقي الله في أفعالنا وأقوالنا وما يصدر منا خاصة أمام الأبناء وأمام البنات، والسعيد من وفقه الله، فالسعادة الزوجية لا تكون ولن تكون إلا إذا عرف المسلم هدي رسول الله ﷺ، فطبقه وسار على نهجه واحتسب الأجر عند الله عز وجل نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يسعدنا وإياكم في الأهلين والله تعالى أعلم.

علاج قسوة القلب والمعاصي:

س: أنا شاب في ظاهري الصلاح، ولكن أحس بقسوة في قلبي وأحب فعل الطاعات وأعزم على فعلها، ولكن سرعان ما أقع في المعصية وأجد تأنيبًا من نفسي حتى إني أخشى على نفسي من القنوط واستحواذ الشيطان على قلبي، فهل من علاج لهذه المشكلة حفظكم الله وأمد في عمرك على طاعته.

الجواب: لا زال الخير موجودًا في قلبك، ما دمت أنك تندم وتتألم فأبشر بالخير، وكل من عصى الله وابتلي بالمعصية فإن الله إذا أراد به خيرًا ألهمه حسن الظن بالله.

إذا ابتليت بالمعصية، ولو مئات المرات بل وآلاف المرات بمجرد أن تقع في المعصية تب إلى الله، فإن الله يفرح وإن الله يحب منك أن تقول اللهم إني تائب إليك، والله يفرح وقد أخبر به النبي ﷺ فرحًا حقيقيًا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى: «**لله أفرح بتوبة أحدكم**»(١).

فإذا ابتليت بالمعصية إياك أن تقنط، واعلم أنه لو بلغت ذنوبك عنان السماء -كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ- فاستغفرت الله لغفرها لك وما يبالي، ولو أتيت بقراب الأرض خطايا، وتبت إلى الله توبة نصوحًا، لأتاك الله بقرابها مغفرة ولا يبالي.

قال يا عبادي، وانظر إلى هذا النداء ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

أنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣]، فمهما بلغت ذنوبك فمن أحب ما يكون لمن عصى أنه بعد المعصية يتوب الله عز وجل، وإذا تبت إلى الله فإنك تغيظ الشيطان، والذي أوصي به من وقع في أي ذنب بعد التزامه وهدايته، فإن الشيطان يقول به إن الذنب منك ليس من غيرك وأنت الآن ملتزم ومطيع فكيف تفعل هذه المعصية؟ أنت ما فيك خير بعد.

ثم إنك لما فعلت هذه المعصية، لو كان الله يحبك ما جعلك تعصيه، فالشيطان خبيث، فإذا قال ذلك، فقل: اخسأ عدو الله فإن رحمة الله وسعت كل شيء، وإن رسول الله ﷺ أصدق منك حينما قال: «**لله أفرح بتوبة عبده**» فتتوب إلى الله مباشرة، واعلم أن هذا الذي تفعله تغيظ به إبليس، فما أوصيك إلا بحسن الظن بالله، وأن تعرف أن الله يحب منك التوبة ونسأل الله العظيم أن يتوب علينا وهو أرحم الراحمين، والله تعالى أعلم.

معنى الصلاة على الوالدين:

س: هذا مجرد توضيح، إنك قلت في كلامك إن من بر الوالدين بعد الموت الصلاة عليهما، فكيف تكون الصلاة.

الجواب: الصلاة تطلق بمعنيين: الصلاة التي هي الصلاة على الميت فمن حق الوالد على ولده أن يشهد جنازته، ويصلي عليه وأن يدعو له في هذه الصلاة لأن هذا من أقرب الدعاء، وأن الشفقة والحنان التي بينك وبين والديك تجعلك تدعو بإخلاص وبصدق.

أما الأمر الثاني: وهو الذي فسره جمع من شراح الحديث أن الصلاة بمعنى الدعاء، وأن قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي ادْعُ لهم ولذلك قال ﷺ: «**الصلاة عليهما والاستغفار لهما**» قيل من باب عطف الخاص على العام، والاستغفار نوع من الدعاء، فعطف الاستغفار لفضله وشرفه، فأفضل ما تقول رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرًا.

سبحان الله، كلمة يسيرة ولربما يكون الوالد وتكون الوالدة في قبرها

وهي أحوج منك إلى دعوة، البر أصدق ما يكون بعد الموت لأنك لا تحابي ولا تحامل، وجرب يعني من الأمور الكريمة الطيبة التي وجدنا من آثارها الحميدة وعواقبها الحميدة خيرًا كثيرًا كثرة الدعاء للوالدين بعد الموت، فإنه قد يكون في كربة وفي ضيق من ضيق القبر، ينفس الله عنه بدعائك، بفضله سبحانه ثم بدعائك: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث**»، ومنها «**ولد صالح يدعو له**»[1].

فتذكر لو أنك أنت الميت، ما فتر لسان الوالد وما فتر لسان الوالدة عن الدعاء لك، فلا تشغلنك الدنيا عن والديك، وما الذي تخسره وأنت جالس تقول اللهم اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرًا، فاسأل الله لهما أن ينور لهما القبر، وأن يهون عليهما القبر، وأن يهون عليهما الحساب، وتسأل لهم من الدعوات، والله ما ذكرتهم بدعوة صالحة وهم الآن في ظلمة القبور وضيق القبور، إلا سخر الله لك من يدعو لك من بعد الممات، خاصة الأم فإن حقها كبير وفضلها كبير، قال رجل: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[2].

كثرة الدعاء للوالدة والترحم عليها، اللهم اغفر لها، اللهم ارحمها، اللهم سامحها، اللهم اغفر لأبي، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، اللهم سامحه، اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، ونحو ذلك من الدعوات الطيبة، والله عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ولربما تقول اللهم أفسح لأبي في قبره ونور له فيه، فيفسح له في قبره إلى نشره بهذه الدعوة الصالحة، ولربما تسأل الله لوالدك الرحمة في القبر، يرحم بها إلى الحشر والنشر.

فالله الله في كثرة الدعاء للوالدين والاستغفار لهما هذا مما ثبتت به السنة

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ.

عن النبي ﷺ وكذلك الصدقة، لأن سعدًا ﷺ كما في الصحيح قال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها يعني ماتت فجأة ولا أراها لو بقيت إلا أوصت، أفأتصدق عنها قال: «**نعم**»[١] فأوصاه بالصدقة عن والديه، فكان سعد رضي الله عنه قد تصدق ببستان كامل، صدقة عن أمه رضي الله عنها وأرضاها، فجعلت التمرة الواحدة يغتدي بها الرجل يومًا كاملاً، فما بالك ببستان كامل قد بناه للآخرة ورآه حقيرًا قليلاً يسيرًا أمام فضل أمه عليه، وكان من أبر الناس بأمه ﷺ وأرضاه.

فيحرص الإنسان على الدعاء، وألا يغفل عن ذلك ونحن فينا غفلة فلا ينسى الإنسان والديه خاصة بعد الموت يترحم عليهما ويجعل لهما من ماله صدقة ينظر إلى مكروب إلى أيتام ويجعل لهم قسطًا في الشهر، يأخذون من طعامهم صدقة جارية على والديه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

هذا والله هو الذي يبقى والمعروف لا يبلى، والخير لا ينسى، ومن زرع خيرًا وجده، ومن بذر المعروف حصده، نسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم ذلك الرجل، والله تعالى أعلم.

علامات قبول العمل والتوبة:

س: الأخ السائل يقول: إذا عمل الإنسان عملاً صالحًا فما هي علامات قبول ذلك العمل، وكذلك إذا تاب هل هناك علامات لقبول التوبة؟

الجواب: أما بالنسبة لأمارات القبول فهذا غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه، الله وحده هو الذي يعلم من المقبول ومن غير المقبول.

فعن علي ﷺ: إذا كانت آخر ليلة من رمضان صاح وبكى، وقال ﷺ: ألا ليت شعري، من هو المقبول فنهنيه؟ ومن هو المحروم فنعزيه؟ وقد يكون الذنب بين الإنسان وبين الله يحول بينه وبين القبول، فنسأل الله أن يتقبل منا ومنكم، وانظر إلى نبي الله الخليل حبيبه وصفيه عليه الصلاة والسلام، لما بنى القواعد من البيت وهو في العمل الصالح، يقول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] كما يسأل الله القبول، فاسأل الله دائمًا القبول.

ومن أمارات القبول: أن يكون الإنسان حاله بعد الطاعة أفضل من حاله قبل الطاعة ومن علامات القبول أن الإنسان بعد الطاعة يحس بانشراح لعمل طاعة أخرى.

فأنت مثلاً إذا استغفرت وتبت إلى الله وجدت بعد ذلك أنك تنشرح لزيارة العم والعمة والخال والخالة فتخرج لصلة رحمك لينسأ لك في أثرك، ويبسط لك في رزقك ويزاد لك في عمرك[1]، فتخرج تحتسب الأجر من الله، فما إن تفرغ من بر الوالدين إلا صدرك ينشرح، فبدلاً أن تذهب إلى بيتك تذهب إلى محاضرة، أو مجلس ذكر أو موعظة، تجد أن الطاعات يدخل بعضها إلى بعض.

فلا يزال العبد المقبول يتخوض في رحمات الله جل جلاله، من بر إلى بر ومن طاعة إلى طاعة، نسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياك ذلك الرجل، ومن علامات قبول العمل الصالح: ظهور آثاره على العبد، فإن الصلاة لها أثر عظيم ومن ذلك أنها تحفظ صاحبها بإذن الله عن الفحشاء والمنكر، فإذا وجد أنه بعد الصلاة إذا خرج من المسجد يغض بصره عن محارم الله، ويكف لسانه عن أذية المسلمين، ويحفظ فرجه عن حدود رب العالمين، فليعلم أن صلاته إن شاء الله مقبولة، تنهاه عن الفحشاء والمنكر.

فتجده بعد فعل الطاعة، إذا جاءه داعي الشر يدعوه يقول أعوذ بالله، فيخشى ويخاف، فمثل هذا، يرجى له القبول ونسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم ذلك الرجل، والله تعالى أعلم.

موعظة:

س: يقول الأخ إن الله تعالى يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾

---

(١) كما في حديث أنس رضي الله عنه المتفق عليه، ورواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**من أحب أن يبسط رزقه..**» إلخ.

[الزمر: ٢٢] وإن الناظر في أحوالنا يرى أن آيات الله تتلى عليهم وما فيها من الوعد والوعيد فلا القلوب تتأثر ولا تخشع ولا العيون تدمع ولا تنتهي عن نواهي القرآن، ولا تأتمر بأوامره، فهلا وعظتنا بما يلين القلوب ويحركها وهلا دعوت لنا بدعوات لنا ولإخواننا من المسلمين والمسلمات نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم؟

الجواب: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان، لا يستطيع الإنسان حقيقة أن يعرف ويفكر، يا إخوان الوعظ مسئولية عظيمة، وتذكير الناس وإلقاء المواد ليست كلمات تذكر، تحتاج إلى حلول قلب، وتحتاج أن أتفقد، وتحتاج قبل أن أعظكم أن أعظ نفسي، وتحتاج قبل أن أذكركم أن أذكر نفسي؟

والله من أصعب الأسئلة علي ومن أعظمها علي أن يقال عظنا، من أنا حتى أعظ، الكون كله يعظ ويذكر بالله جل جلاله، كم من أناس كانوا معنا في العام الماضي أين هم الآن، ومن الآباء والأمهات والإخوان والأخوات والأهلين والقرابات، كم من أناس كانوا في نعمة فأصبحوا في نقمة؟ كم من أناس كانوا في جمع فأصبحوا مفردين؟ كم وكم الليل يذكر بالله، النهار يذكر بالله، ما من شيء في هذا الوجود إلا وهو يعظك، وما من شمس تدنو إلى غروبها إلا وذكرتك بغروبك من الدنيا، غروبك منها فقط موقف تقفه إذا دنت الشمس من الغروب، أتتأمل تلك الساعة كانت الشمس في قوتها ووهيجها يستضيء الناس بنورها وحرارتها، وإذا هي عند الغروب قد أسلمت لله، وذلت لله جل جلاله، إذا بذلك الشعاع ينكسر، وإذا بتلك القوة تتبدد وتنفطر وإذا بها تأذن بالغروب.

يذكرك الله جل جلاله أن هذه النعمة التي تعيشها وأن هذا المنظر الذي تعيشه إن كنت في قوة، فستزول قوته وتنتهي صفوته، وتسلم روحه لله جل جلاله.

كل شيء يذكر بالله، الموعظة كلمات نقولها، ولكن أن تكون قلوبنا

حية، كل شيء تأمل فيه، بيتك الذي تدخل ومسكنك الذي تسكن، بالأمس جديد جميل، وإذا به يعود إلى هدم وإلى ضياع وإلى حالة أسوأ مما كان، يبدله الليل والنهار، ويغيره العشي والإبكار، فإذا كان هذا في الجماد فما بالك أنت؟

كل شيء يذكر بالله جل جلاله، ما من نظرة تنظرها في هذا الوجود، إلا وهو يذكر بالله سبحانه وتعالى، أما قسوة القلوب فمن آثار الذنوب، كل ما يوصى به الإنسان أن ينظر ما الذي يقوله، الله عز وجل سائلك ألا تقول إلا خيرًا، وألا تعمل إلا خيرًا، وليس من أجل المناظرة إلا أن يتذكر المسلم قول الله عز وجل ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨] ثقل موازينك بالطاعات، ثقل موازينك بالحسنات، أن يتذكر الإنسان لماذا خلق ولماذا أوجده الله؟

فكل لحظة ينبغي أن تسخرها لهذا الثقل، فتسبح وتحمد وتهلل وتكبر وتذكر الله جل جلاله لعل الله أن يثقل موازينك، فكم من كلمة يسيرة من ذكر الله جل جلاله ثقل الله بها ميزانك، وبيض بها وجهك.

فعلى المسلم أن يكون دائم الفكر في الله عز وجل، ومن عبرة إلى عبرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] وإذا جلست أي مجلس ذكر فإذا قمت قمت قلبك منكسر لله جل جلاله، وأنت تحاول أن تغير ما بك، فإن الله إذا نظر في نيتك الخير وفقك وسددك، فتقوم من مجالس الذكر[١] وأنت تنوي أن تغير ما بك، فإن هذه من الأسباب التي تزيل قسوة القلب.

كذلك مما يزيلها كثرة قراءة القرآن، لا تفتر عن تلاوة القرآن، ولو أن الإنسان لا يحفظ إلا الفاتحة يكررها ولو لم يحفظ إلا المعوذات يكررها،

---

(١) كل عمل صالح فهو ذكر ولا نعني بالذكر الرقص المنكر الذي نراه في الموالد.

فإن الحرف بعشر حسنات[1].

وكم من حافظ للقرآن إذا تلاه أمسى بملايين الحسنات وأصبح، فتاجر مع الله فإن ذلك مما يلين القلوب لله جل جلاله.

كذلك أيضًا مما يلين القلوب لله سبحانه وتعالى، أن يبتعد الإنسان عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن وأن يوطن نفسه على الخير.

واقع أليم ... وتبعة فردية

يا أختاه .. هذه إشارات وعلامات تضيء لك الطريق لكي تصلي إلى جنة الرحمن جل وعلا.

إنها الجنة يا أختاه[2]

إن الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة المسلمة لتتفطر منه القلوب وتدمع له العيون دمًا بدل الدموع، فقد خلعت الأمة المسلمة (إلا من رحم الله) ثوب العبودية لله جل وعلا وارتدت ثوب العبودية والذل للنفس والهوى والشيطان، فأصبحت المرأة المسلمة التي كانت تهز المهد بيمينها وتزلزل عروش الكفر بشمالها، تلكم المرأة التي كانت تصنع الرجال والأبطال أصبحت بلا هوية بل وتشبهت بالكافرات والساقطات في تلك المجتمعات التي سقطت من عين الله، توهمًا منها أن الحق مع ذاك السواد الأعظم ونسيت قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فكان هذا السواد الأعظم من الذين خلعوا ثوب العبودية فتنة لكل مسلمة لا تحمل العقيدة الراسخة بين جنباتها، فخرجت علينا الكثيرات ممن لا يعرفن من الإسلام إلا

---

(١) ورد ذكر هذه المضاعفة في حديث ابن مسعود ﷺ الذي رواه الترمذي والحاكم بلفظ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها...**» إلخ. وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) للعلامة محمود المصري حفظه الله ورعاه.

اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، فشاع وانتشر التبرج والسفور وقبل ذلك كله نسيان الآخرة والوقوف بين يدي من له الأولى والآخرة، وما علمت تلك الفتاة المسكينة التي تجردت من حيائها ودينها أن الدنيا بما فيها لن تغني عنها من الله شيئًا ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] وما علمت أن الإسلام تبعة فردية وأن الكل مسئول عن نفسه، ولذا قال الحق جل وعلا: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وأنذر عشيرتك الأقربين:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: لما أُنزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعمَّ وخص فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة ابن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من الناس، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها**» (أي سأصلها بصلتها)[1].

بل لقد خص النبي ﷺ قرة عينه وثمرة فؤاده بهذا النداء فقال لها: «**يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار**» إنه النداء الذي تتفطر له القلوب المؤمنة وتتصدع منه الجبال الراسية، إذا كان هذا هو حال النبي ﷺ مع ثمرة فؤاده وقرة عينه فاطمة رضي الله عنها فكيف بحالنا نحن.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة -كتاب الإيمان- باب وأنذر عشيرتك الأقربين.

ولذا فلا بد يا أختاه من وقفة نحاسب فيها أنفسنا لننظر ماذا قدمنا من الأعمال الصالحة لأنفسنا بين يدي الله تعالى وماذا قدمنا لدين الله، يقول الحق جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]، وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتجهزوا للعرض على الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]».

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [النور: ١٠١]، وقال ﷺ في جزء من حديث: «**ومن بَطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه**»[١].

فالكل مسئول عن نفسه ومحاسب عن عمله سواءً كان عمله صالحًا أم غير ذلك، ولذا قال تعالى: ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الممتحنة: ٣].

بل إن القرآن يقر تلك الحقيقة عن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

بل إن النبي ﷺ لم يستطع أن يكون سببًا في إسلام عمه أبي طالب الذي طالما دافع عنه ودفع عنه أذى المشركين، ويحزن النبي ﷺ لموت عمه على ملة الكفر وينزل القرآن يعزي النبي ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

فيا أختاه ... أنقذي نفسك من النار وحاسبي نفسك اليوم قبل أن تقفي بين يدي الله فيسألك عن كل شيء كما قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٦٥٧٧).

فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة:

إنها المرأة التي ضرب الله بها المثل في القرآن لكل مؤمنة إلى قيام الساعة فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

فعلى الرغم من أنها كانت زوجة فرعون إلا أن كفر زوجها لم يضرها لما آمنت بالله وذلك لتعلمي أيتها الأخت الفاضلة أن الإسلام تبعة فردية.

ضرب الله مثلاً للذين كفروا:

وعلى الوجه الآخر نجد أن الله عز وجل يضرب المثل بزوجتين لنبيين من أنبياء الله، يضرب المثل بكفرهما بل ويخلد كفرهما في كتابه الكريم، ألا وهما: زوجة نبي الله نوح عليه السلام وزوجة نبي الله لوط عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

مسلمات في زمن الغربة الثاني:

قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسوف يعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»[١]، وفي رواية: «**قيل: ومن الغرباء؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس**»[٢]، وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على**

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة -كتاب الإيمان- باب بدأ الإسلام غريبًا.

(٢) رواه أبو عمرو الداني في (السنن الواردة في الفتن) والترمذي وقال: حسن صحيح، السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

دينه كالقابض على الجمر»[١].

نعم يا أختاه إنك تعيشين الآن في زمن الغربة الثاني الذي أخبر عنه النبي ﷺ، والفتن تمد يدها إليك من كل حدب وصوب تريد منك أن تنزعي حجابك وحياءك بل تريد منك أن تنزعي ثوب الإسلام جملة واحدة.

فيا حفيدة عائشة وخديجة وأسماء وفاطمة تمسكي بدينك فلقد أجزل الله لك العطاء لثباتك على دينك في زمن الفتنة فإن: من تمسكت بدينها فلها أجر خمسين شهيدًا:

قد تعجبين يا أختاه عند قراءة ذلك، لكنها الحقيقة الثابتة التي أخبر بها الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم»**[٢].

أما ترضين يا أختاه أن يكون أجرك في هذا الزمان كأجر خمسين شهيدًا؟! فهنيئًا لك ذلك الأجر يا بنت الإسلام.

الوأد في زمن الغربة الثاني:

إن الوأد الذي يحدث في زماننا لأشد قبحًا من ذلك الوأد الذي فعله أهل الجاهلية الأولى، فإذا كان أهل الجاهلية يئدون البنات أحياءً فإن أهل زماننا قد وأدوا الحياء والدين والعفة والخلق في قلوب كثيرات من بناتنا (ولا حول ولا قوة إلا بالله) وتالله إن وأد الجسد لأخف وطأة من وأد الحياء والدين في قلب المسلمة.

احذري يا أختاه أن يؤتى الإسلام من قبلك:

قال حسان بن عطية: «ما أُتيت أمة قط إلا من قبل نسائهم»[٣]، وقال ﷺ: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**[٤].

ولما فطن أعداء الله إلى تلك الحقيقة جعلوا الهموم همًا واحدًا ألا وهو

---

(١) رواه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٢) رواه الطبراني عن ابن مسعود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/٧٦).

(٤) متفق عليه عن أسامة، صحيح الجامع (٥٥٩٧).

كيف يفسدون المرأة المسلمة ومن ثم الأمة المسلمة بجميع طوائفها.

ومن هنا كانت المخططات التي رسمها الأعداء ترمي إلى شل المرأة المسلمة عن وظيفتها البناءة سلبًا، ثم الزج بها إلى مواقع الفتنة وتدمير الأخلاق إيجابًا، تحت ستار خداع من المصطلحات البراقة كالتحرير والتجديد والتقدم.

كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية ما لا تفعله المدافع والصواريخ:

وهذا أحد أقطاب المستعمرين يقول: (كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات).

ولهذا فإني أقول لك يا أختاه: اعلمي أنك تقفين على ثغر من ثغور الإسلام فاحرصي كل الحرص على ألا يؤتى الإسلام من قبلك ولا تصغي سمعك لشياطين الإنس الذين يحاربون الله ليلاً ونهارًا.

دعوة للنجاة:

وها أنا يا أختاه أدعوك دعوة للنجاة، تلك النجاة التي يقدمها لك صاحب القلب الرحيم وصاحب الخلق الرفيع الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ فتأملي معي تلك الوصية واجعلي تلك الآية نصب عينيك: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار:

قال ﷺ: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فقالت امرأة منهن جزلة (أي ذات عقل ورأي): وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن وتكفرن العشير**»(١) أي الزوج، إنها وصية الحبيب ﷺ التي فيها النجاة كل النجاة.

---

(١) أخرجه مسلم عن ابن عمر -كتاب الزكاة- باب الترغيب في الصدقة.

المرأة بين سفح الجاهلية وقمة الإسلام:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام سلعة رخيصة لا قيمة لها، يقول عمر ﷺ «والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم»، ففي الجاهلية لم يكن لها حق الإرث، ولم يكن لها على زوجها أي حق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانوا في الجاهلية يُكرهون إماءهم على الزنا، ويأخذون أجورهن»، وقد كانت العدة في الجاهلية حولاً كاملاً، فلما جاء الإسلام كرّم المرأة وساوى بين الرجل والمرأة في أمر التكليف والمثوبة والجزاء الأخروي.

أوجه المساواة بين الرجل والمرأة:

ولقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في أمور كثيرة (وليست المساواة على إطلاقها كما يزعم بعضهم) فساوى الله بينهم في تكاليف الإيمان والجزاء المترتب على ذلك في الآخرة وتلك والله من أعظم صور المساواة.

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت**»(١).

بل لقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعًا فقال عز وجل: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات كتب الله له**

---

(١) رواه ابن حبان عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٦٦٠).

بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»(١).

تكريم الإسلام للمرأة:

لقد أشرقت شمس الإسلام فمسحت عن جبين المرأة غبار الجاهلية الجاثم على الصدور، فبعد أن كانت المرأة تُحرم من الميراث قرر الإسلام حقها في الميراث فقال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ٧]، وبعد أن كان وليها يستحوذ على مهرها جاء الإسلام فقرر حقها في المهر.

بل لقد أعطى الإسلام للمرأة حق التملك وكان هذا لا يحل لها قبل الإسلام، بل لقد حرم الحق عز وجل وأد البنات موضحًا أن الذكور والإناث هبة من الله وليس من حق المسلم أن يعترض على تلك الهبة لأنه ابتداءً وانتهاءً ليس له حق في تلك الهبة، وإنما هو محض فضل الله، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٢] فكان الإسلام ومازال هو طوق النجاة لتلكم المرأة المسكينة التي كانت تتقاذفها أمواج الضلال والجاهلية، فلم يعتبرها الإسلام جرثومة خبيثة كما اعتبرتها اليهودية والنصرانية بل اعتبرها جوهرة مكنونة يجب أن نحافظ عليها، فالمرأة ما هي إلا أمي وأختي وزوجتي وابنتي وهي مربية الأجيال وصانعة الرجال والأبطال.

المرأة آية من آيات الله:

بل أصبحت المرأة في ظل الإسلام آية من آيات الله فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن عبادة، صحيح الجامع (٦٠٢٦).

ءايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، فجعلها آية بل ونعمة من النعم التي يجب على الرجال أن يشكروا الله عليها بل لقد كرم الإسلام المرأة قبل ولادتها بأن أوصى أباها أن يحسن اختيار أمها، وكرمها بعد ولادتها بأن أوصى أباها أن يحمد الله على تلك النعمة ولا يسخط لأنها أنثى وأن يؤذن في أذنها اليمنى ويقيم الصلاة في أذنها اليسرى فبذلك تسمع أول ما تسمع كلمة التوحيد لله جل وعلا ثم يذبح ويعق عنها العقيقة، بل لقد أجزل الحق جل وعلا الأجر والمثوبة لكل من صبر على تربية البنات على شرع الله وأحسن إليهن فقال ﷺ: «**من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنَّ له سترًا من النار**»(١)، بل يحث النبي ﷺ على الإحسان إليهن حتى يكبرن فيقول: «**من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين**»(٢)، وإذا بلغت المرأة سن الزواج جعل الإسلام للمرأة الحق في اختيار زوجها ولم يبح زواجها بغير رغبتها فقال ﷺ: «**لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تُستأذن وإذنها الصموت**»(٣).

بل لقد رغب الإسلام في نكاح الطاهرات فقال ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك**»(٤).

ثم نجد بعد ذلك أن النبي ﷺ يوصي بالنساء خيرًا فيقول: «**خياركم خيركم لأهله**»(٥).

---

(١) متفق عليه عن عائشة، صحيح الجامع (٥٩٣٢).

(٢) أخرجه مسلم والترمذي عن أنس، صحيح الجامع (٦٣٩١).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٧٤٧١).

(٤) متفق عليه عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٣٠٠٣).

(٥) رواه الطبراني في الكبير عن أبي كبشة، صحيح الجامع (٣٢٦٦).

تكريم الإسلام للمرأة كأم:

في الوقت الذي نجد فيه أن الأم في عالم الغرب الكافر أو الشرق الملحد ليس لها أي قيمة فهي تفتقد إلى البر والرحمة من أولادها، بل هي لا تعرف شيئًا عن أولادها بعد بلوغهم سن المراهقة، وإذا أرادوا أن يكرموها فإنهم يجعلون لها يومًا واحدًا في السنة وهو ما يسمى ببدعة (عيد الأم) يقدمون لها شيئًا من حطام الدنيا ثم إنها إذا كبرت يلقونها في دار المسنين!

أما في ظل الإسلام فالأم هي مربية الأجيال وصانعة الرجال والأبطال ولذا فإن الحق جل وعلا قضى بالإحسان إليها فقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، بل وقرن الشكر له بالشكر لهما فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤] وجعل برها واجبًا على أبنائها في حياتها بل وبعد موتها.

كيف تختار المرأة الصالحة زوجها؟

إن الإسلام بتشريعه السامي قد وضع أمام كل من الخاطب والمخطوبة قواعد وأحكامًا إن التزم الناس بما فيها ساروا على نهجها عاشوا في سعادة واستطاع كل من الشباب والفتيات أن يصلوا إلى الزواج الذي أراده الله جل وعلا.

وإذا أرادت المرأة زوجًا صالحًا فعليها أن تمتثل هي وأهلها وصية الحبيب ﷺ حيث يقول: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»(١).

فهذا هو الزوج الذي رضيه لك رسول الله ﷺ، إنه صاحب الخلق والدين، ولذا قال ﷺ: «**فزوجوه**» والفاء هنا للتعقيب والسرعة، أي فاقبلوه وأسرعوا في قبوله وذلك لأن هذا الصنف من الرجال أصبح نادرًا في هذا

(١) رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٢٧٠).

الزمان.

كيف تؤدي الزوجة حق زوجها؟

أختاه ... قبل أن تؤدي حقوق الزوج أرجو أن تستحضري النية أن هذا العمل خالصًا لله حتى لا تندمي إذا وجدت الزوج لا يستحق ذاك الإحسان، فالعمل كله لله تعالى.

أما عن الحقوق فهي:

١ـ حسن المعاشرة:

وذلك بأن تعاشره بالحسنى والأدب الإسلامي، فحسن العشرة ذوق وفن وتربية اجتماعية عالية وبه دوام المحبة والألفة والرحمة وكثيرًا ما تُحل المشكلات المستعصية بالبسمة الحانية والنظرة الودود والمجاملة الرقيقة والأسلوب المهذب والخضوع اللين، والمرأة التي تطيع زوجها وتحسن عشرته تكسب ثقته ودوام حبه وشعوره بالسعادة معها فيعطيها أضعاف ما تعطيه[1].

علامات حسن المعاشرة:

◈ الإخلاص: وهو أن تعمل ما يُرضي الله عز وجل تجاه زوجها سواء كان يستحق أو لا يستحق.

◈ الصدق: بأن تكون صادقة مع زوجها.

◈ الأمانة: بأن تكون أمينة على دينها أولاً وأمينة على نفسها وعلى ماله وأولاده.

◈ الاهتمام بمظهر الزوج.

◈ لا تخرج من بيتها إلا بإذنه.

◈ مداعبته وملاطفته.

◈ حفظ أسرار الزوج: وبخاصة تلك الأسرار التي تتعلق بالعلاقات الزوجية بينهما، كما قال ﷺ: «**إن من أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة**

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، الشيخ حسن أيوب (ص٢٠١).

الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[١].

٢ـ طاعة الزوج (في غير معصية الله).

٣ـ تدبير المنزل وتهيئة أسباب المعيشة.

٤ـ التزين للزوج في حدود الشرع.

٥ـ أن تشكر لزوجها سعيه على رزقها ورزق أولادها.

قال ﷺ: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه»[٢].

٦ـ الاقتصاد والتدبير وعدم الإسراف في المعيشة:

فيجب أن تكون رحيمة بزوجها وإن كان غنيًا، فما زاد عن حاجتهم فليتصدقوا به للفقراء واليتامى، كما لا يجب عليها أن تنظر لغيرها من النساء بل يجب عليها أن تقتدي بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

٧ـ ألا تطالب الزوج بما فوق طاقته وقدرته بل عليها بالقناعة:

فعن أبي سعيد ﷺ أن نبي الله ﷺ خطب خطبة فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصيغ -أو قال: من الصيغة- ما تكلف امرأة الغني[٣].

٨ـ مشاركة زوجها في أفراحه وأحزانه:

فلا تفرح إذا كان حزينًا، ولا تحزن إذا كان فرحًا بل توافقه في كل الأحوال.

٩ـ إشاعة البهجة والسرور في البيت:

وذلك لتجعله ينسى مكابد الحياة والسعي على الأرزاق ويشعر بأن سعادته في بيته مع زوجته وأولاده.

١٠ـ غض الطرف عن الزلات والهفوات:

وعلى وجه الخصوص إن كان الزوج لا يقصد ذلك، فالكل يحاول أن يلتمس للآخر الأعذار حتى تسير المركب بهدوء في خضم الحياة.

١١ـ حسن معاملة أهل الزوج:

لأن ذلك يجعله يزداد حبًا لها يومًا بعد يوم.

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي سعيد (١٠/١٢).

(٢) رواه النسائي عن ابن عمر، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٩).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد، السلسلة الصحيحة (٥٩١).

١٢ـ وفاؤها لزوجها:

بأن تكون وفية له في السراء والضراء، بل تفديه بنفسها لو أمكنها ذلك.

١٣ـ إرضاع الأطفال والحنو عليهم وتربيتهم على شرع الله:

وصدق من قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من همِّ الحياة وخلفاه ذليلا

إن اليتيم هو الذي تلقى له أمًّا تخلت أو أبًا مشغولا

ومن هنا جاء الخطاب الإلهي يوجب على الأم إرضاع وليدها: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وعليها أن تتعهد أولادها بالرعاية والعناية والتربية على معالي الأمور من الطهارة والعفة والكرم والشجاعة والزهد ومحبة الله ورسوله والمؤمنين.

١٤ـ أن تسارع إلى مصالحة الزوج عند الغضب:

وما أجمل كلام أبي الدرداء ﷺ لزوجته: «إذا رأيتني غضبت فرضني وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب».

١٥ـ أن تحفظه في دينه وعرضه وأن تحافظ على أحاسيسه ومشاعره وتتحرى إرضاء الزوج في غير معصية الله.

١٦ـ خدمتها لزوجها:

وهي واجبة على الزوجة خلافًا لما يقوله البعض إن الخدمة ليست واجبة على الزوجة، فعن أنس ﷺ قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه».

١٧ـ إعفاف الزوج وسرعة إجابته:

قال ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[١].

قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه**

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٥٣٢).

فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها»[1].

يا من حرمت نعمة الولد .. هذا هو الطريق:

أيتها الأخت المسلمة .. يا من حُرمت من نعمة الولد إنني أود أن أوصي نفسي وإياك وكل المسلمين بأعظم وصية ألا وهي:

الرضا بقضاء الله:

وذلك لأنه ركن عظيم من أركان الإيمان بالله جل وعلا.

أختاه .. لا تقولي لماذا حرمني الله نعمة الولد بل تذكري كم أسبغ الله عليك من النعم:

هكذا تكون الأخت المؤمنة فهي تعلم أن الله أسبغ عليها النعم الكثيرة (وكفى بالإسلام نعمة) فإن كان الله حرمها نعمة واحدة فهي لا تنسى أبدًا سائر النعم وما أكثرها ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أختاه .. يبتلى المرء على قدر دينه:

قال ﷺ: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط**»[2] فهل يحزن الإنسان يا أختاه إذا علم أن الله يحبه؟!

أختاه .. تأملي الحكمة في قصة الخضر[3] **مع نبي الله موسى عليهما السلام:**

قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ ﴾ فتعجب نبي الله موسى عليه السلام ﴿ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴾ [الكهف: ٧٤] فجاءت الإجابة بعدها بآيات على لسان الخضر عليه السلام قائلاً: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٧٠٨٠).

(٢) رواه الترمذي عن أنس، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠).

(٣) أقدم العزاء للطرق الصوفية بوفاة الخضر وإلياس عليهما السلام.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨٠، ٨١].

أختاه .. عليك بالأسباب ولا تنسى رب الأسباب:

وعلى الرغم من ذلك يا أختاه فلا مانع من أن نأخذ بالأسباب شريطة ألا نظن أنها هي التي تجلب النفع والضر، بل لابد أن نتيقن من أنها مجرد أسباب وأن الذي يملك النفع والضر هو الحق جل جلاله.

السبب الأول: إقامة التوحيد لله جل وعلا:

فإن من أقام التوحيد في قلبه لله جل وعلا فإن الله ييسر له الخير كله في الدنيا والآخرة.

السبب الثاني: الدعاء:

قال ﷺ: «**إن الله تعالى حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»(١).

لا تنسى دعاء زكريا عليه السلام:

يخبرنا الحق جل وعلا في سورة الأنبياء أنه دعا بهذا الدعاء ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠]، فلا تنسي يا أختاه أن تدعين بهذا الدعاء أنت وزوجك.

السبب الثالث: التقوى سبب لإنجاب الأولاد بل ولحفظهم:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣] والأولاد رزق من عند الله جل وعلا، بل إن التقوى تكون سببًا لحفظ الأولاد بعد مجيئهم إلى تلك الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ

---

(١) رواه أحمد والترمذي عن سلمان، صحيح الجامع (١٧٥٧).

فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

والنتيجة العملية نأخذها من سورة الكهف ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٢].

السبب الرابع: الاستغفار من أعظم الأسباب في الرزق بالأولاد:

نعم والله فالاستغفار سبب في رفع قدرة الزوج على إتيان زوجته «وهذا استنباط استنبطه الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله» من خلال قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢] فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ فإن الله يعطي الرجل قوة فوق قوته لكثرة استغفاره، وكذلك فالاستغفار سبب في جميع أنواع الرزق بعمومها وشمولها، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٣].

بلسم الجراحات لأختي المريضة:

اعلمي أيتها الأخت المؤمنة أن المرض رحمة عظيمة من عند الله تعالى، قال ﷺ: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُصب منه**»[1]، أي من أراد الله بها خيرًا يبتليها بشيء من المرض أو غير ذلك من أنواع البلاء.

أختاه .. ما الذي يخفف عنك ثقل البلاء؟

هناك أشياء تخفف عنك ثقل البلاء ألا وهي:

---

(١) أخرجه البخاري وأحمد عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٦٦١٠).

١ـ معرفة أن الله يحبك:

قال ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه**» وإذا أحبك الله جاء ثمرة المحبة «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**».

٢ـ ملاحظة حسن الجزاء:

فلو جاء إنسان وقال سأضربك ضربة بيدي ثم أعطيك مائة ألف جنيه فهل تشعرين بألم الضربة؟! بالطبع لا (ولله المثل الأعلى)، فلك أن تتخيلي أن الله يبتليك ويقول لك إن ثمن هذا البلاء هو الجنة! لا شك أن حلاوة الأجر ستنسيك مرارة الألم.

٣ـ انتظار الفرج:

فإنك إذا جاءك المرض تكونين بين حالين، إما أن تموتي صابرة محتسبة فلك الأجر العظيم وإما أن تشفي محتسبة أيضًا فلك سعادة الدارين واعلمي أن الله لطيف بعباده، ومن لطفه تعالى بعباده أنك تكونين في قمة البلاء وعلى الرغم من ذلك يلقى الله في قلبك الراحة والرضا بقضائه والثقة في الأجر والثواب من عنده سبحانه وتعالى.

٤ـ تهوين البلية:

وذلك بأن تحمدي الله على أن البلاء في الدنيا وليس في الدين وتحمديه أيضًا أنها لم تكن أشد من ذلك.

٥ـ سماع سير أهل البلاء:

فإن ذلك يهون عليك البلاء ...[1].

أختاه .. عليك بالمداومة على العمل الصالح:

إن من أفضل القربات إلى الله تعالى المداومة على العمل الصالح، فالله عز وجل يحب صاحب القلب الحي الذي لا يفتر عن ذكره ولا عن شكره، الذي تجده واقفًا ومرابطًا على باب الرحيم الرحمن يرجو رحمته ويخشى

---

(١) من كتاب «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» للمصنف.

عذابه، لذا قال الحبيب ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلَّ**»[١].

ثمرة المداومة على العمل الصالح

١ـ أنها سبب لطهارة القلب من النفاق:

وكذلك هي سبب لاتصال القلب بالله، قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[٢].

٢ـ أن المداومة على العمل الصالح سبب لمحبة الله للعبد:

قال تعالى في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...**».

٣ـ أنها سبب لتفريج الكرب:

قال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك**»[٣]، وفي رواية: «**تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

قال الضحاك بن قيس: «اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، إن يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

وإن فرعون كان طاغيًا، ناسيًا لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال: آمنت بالله، فقال الله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١].

٤ـ أنها سبب لحسن الخاتمة:

قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**» قيل: كيف يستعمله؟ قال:

---

(١) متفق عليه عن عائشة، صحيح الجامع (١٧٣).

(٢) متفق عليه عن النعمان بن بشير، صحيح الجامع (٣١٩٣).

(٣) رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس، صحيح الجامع (٧٩٥٧).

«يوفقه لعملٍ صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه»[1].

٥- ترويض النفس على فعل الخيرات ومكابدة الهوى:

كما قال أحد السلف الصالح: تعذبت بالصلاة عشرين سنة وتلذذت بها عشرين سنة حتى إني لأدخل في الصلاة فأحمل هم خروجي منها.

٦- الأمن من الحسرة عند المرض والسفر:

فقد قال ﷺ: **«إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»**[2] فبذلك يأمن الإنسان من الحسرة على ضياع الأجر والثواب والمداومة على العمل الصالح.

٧- ترويض النفس على معالي الأمور:

فالمؤمن يسعى دائمًا للأفضل والأحسن، ولقد قال النبي ﷺ: **«أحَبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»**[3].

٨- إملال الشيطان وإضعافه وقطع الطريق عليه:

قال الحسن ﷺ: إذا رآك الشيطان مداومًا على العمل الصالح ملك وتركك أي أصابه الملل منك وإذا رآك لا تداوم سطا عليك.

الأسباب التي تعين على المداومة على العمل الصالح:

إن الأسباب المعينة على المداومة كثيرة ولكن حسبنا منها تلك الأسباب الثلاثة فإنها من أهمها.

١- أن تستعيني بالله جل وعلا أن يعينك على المداومة:

قال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: **«يا معاذ والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[4].

٢- الاعتدال في الطاعات:

وذلك بأن تنتقي من نوافل الأعمال قدرًا يسيرًا لكي تستطيعي أن

---

(١) رواه أحمد والترمذي عن أنس، وصححه الألباني في الجامع (٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري وأحمد عن أبي موسى، صحيح الجامع (٧٩٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه أحمد والنسائي عن معاذ، صحيح الجامع (٧٩٦٩).

تداومي عليه.

٣ـ صحبة الأخيار:

وهذا من أعظم الأسباب بعد الاستعانة بالله جل وعلا.

قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن:

إن من الآفات الشائعة بين النساء (آفة النظر إلى الرجال) وذلك لأن التي لا تغض بصرها تظن أن الأمر بغض البصر خاص بالرجال دون النساء ونسيت أن الله تعالى بعد أمره للرجال بغض البصر قال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

كيف تغض المؤمنة بصرها عن الرجال؟

ولعل سائلة تسأل كيف أغض بصري؟

والجواب عن ذلك في كلمة يسيرة تحمل في طياتها الخير الكثير ألا وهي أن من أقامت التوحيد لله في قلبها فلن تنظر إلى رجل أبدًا.

شروط حجاب المرأة المسلمة:

إن الحجاب فرضٌ على كل مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر ولكن كثيرًا من النساء لا يعرفن شيئًا عن الشروط التي يجب أن تتوافر في ذلك الحجاب فترى الواحدة منهن تلبس حجابًا (بينه وبين الحجاب حجاب) فهو حجاب يسيء إلى الإسلام والمسلمات أكثر من التبرج وذلك لأن أعداء الله (وما أكثرهم) لا يسلطون الأقلام والعدسات إلا على المحجبات، ولذا فقد رأينا يا أختاه أن نذكر شيئًا يسيرًا عن الشروط التي يجب توفرها في حجاب المرأة المسلمة:

الشرط الأول: استيعاب جميع البدن.

الشرط الثاني: أن لا يكون زينة في نفسه.

الإسلام يحذر من التبرج ويقرنه بالشرك والزنا والسرقة:

لقد رُوي أن أميمة بنت رقيقة جاءت إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال ﷺ: «**أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئًا ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا**

تنوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى»[(١)].

الشرط الثالث: أن لا يكون مبخرًا أو مطيبًا، قال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية**»[(٢)].

الشرط الرابع: أن لا يكون ضيقًا يصف شيئًا من جسمها.

الشرط الخامس: أن يكون صفيقًا لا يشف.

الشرط السادس: أن لا يشبه لباس الرجال، قال ابن عباس رضي الله عنهما «**لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال**»[(٣)].

الشرط السابع: أن لا يكون لباس شهرة، قال رسول الله ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة، ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله، ثم يلهب في النار**»[(٤)].

وثوب الشهرة هو: الثوب الذي يقصد بلبسه الاشتهار بين الناس.

الشرط الثامن: أن لا يشبه لباس الكافرات، قال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(٥)].

أختاه .. ها هي أسباب السعادة:

يا من تبحثين عن السعادة، ها هي أسباب السعادة أزفها إليك:

١ـ الإيمان بالله وكثرة العمل الصالح:

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

٢ـ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره:

إن السعادة لا يمكن أن تحصل إلا بالإيمان بالله، ومن الإيمان بالله

---

(١) رواه أحمد بسند حسن في مسنده (٢/١٩٦).

(٢) رواه أحمد والنسائي عن أبي موسى، صحيح الجامع (٢٧٠١).

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح (١٠/٣٣٢).

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر، صحيح الجامع (٦٥٢٦).

(٥) رواه أبو داود عن ابن عمر، صحيح الجامع (٦١٤٩).

الإيمان بقضائه وقدره.

٣ـ العلم الشرعي:

فالعلماء العارفون بالله هم السعداء.

٤ـ الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] فمن داوم على ذكر الله فهو من السعداء ومن أعرض عن ذكره فهو من الأشقياء التعساء، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

٥ـ انشراح الصدر وسلامته من الأدغال:

قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٦ـ الإحسان إلى الناس:

وهذا والله يا أختاه أمر لا يحتاج إلى توضيح، فالذي يحسن إلى الناس هو من أسعد الناس ومن أكثرهم قبولاً في الأرض.

٧ـ النظر إلى من هو دونك في أمور الدنيا وإلى من هو فوقك في أمور الآخرة:

قال ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله**»(١).

٨ـ قصر الأمل وعدم التعلق بالدنيا والاستعداد ليوم الرحيل:

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: الحياة قصيرة فلا تقصرها بالهم والأكدار.

٩ـ اليقين بأن سعادة المؤمن الحقيقية في الآخرة لا في الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة -باب انظروا إلى من أسفل منكم- كتاب الزهد والرقائق.

ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»(١).

١٠- مصاحبة الأخيار والرفقة الصالحة:

قال ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ...**»(٢).

١١- أن تعلمي أن أذى الناس خير لك ووبال عليهم:

قال إبراهيم التيمي: «إن الرجل ليظلمني، فأرحمه».

ويروى أن ابن تيمية أساء إليه عدد من العلماء وعدد من الناس، وسجن في الإسكندرية، فلما خرج، قيل له: أتريد أن تنتقم ممن أساء إليك؟ فقال: «قد أحللت كل من ظلمني، وعفوت عنه» أحلهم جميعًا، لأنه يعلم أن ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة.

١٢- الكلمة الطيبة ودفع السيئة بالحسنة:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]، فتأملي يا أختاه هذا الإرشاد الإلهي العظيم.

١٣- الالتجاء إلى الله- عز وجل- وكثرة الدعاء:

وكان ذلك من هدي النبي ﷺ فنجده مثلاً يدعو بصلاح دنياه وأخراه فيقول: «**اللهم أصلح لي ديني، الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي، التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي، التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر**»(٣).

قبسات من سير الصالحات:

إنني يا أختاه أسوق إليك في هذا الفصل بعض القصص التي تجعل

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٣٤١٢).

(٢) متفق عليه عن أبي موسى، صحيح الجامع (٢٣٦٨).

(٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة، صحيح الجامع (١٢٦٣).

همتك تعلو للاقتداء بسلفك الصالح، مع وضع عنوان لكل قصة لتأخذي العظة والعبرة من ورائها.

هاجر ... وحسن التوكل:

لما ترك إبراهيم عليه السلام جاريته هاجر التي أهدته إياها امرأته سارة، لما تركها وطفلها إسماعيل الرضيع عند مكان البيت بمكة المكرمة، وقفل راجعًا إلى فلسطين، قالت له: «آلله أمرك بهذا يا إبراهيم» تعني أمرك أن تتركني وطفلي ههنا حيث لا ماء، ولا أنيس، فقال إبراهيم عليه السلام: «نعم». قالت: «إذًا فاذهب فإنه لا يضيعنا»(١).

فضربت هاجر بذلك أروع مثل في التوكل على الله تعالى، وهل ضيعها الله تعالى؟ الجواب: لا، بل تولاهما، وأكرمهما أحسن إكرام، هكذا يكفي الله تعالى من يتوكل عليه، ويثق فيه.

وروي أن حاتم الأصم قال لأولاده: إني أريد الحج، فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا، وكان له بنت فقالت: دعوه يذهب فليس برازق، فخرج فباتوا جياعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت فقالت: اللهم لا تخجلني بينهم، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لي ماء، فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا فشرب فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم فرمى فيها صرة من ذهب وقال: من أحبني فليصنع مثلما صنعت، فرمى العسكر ما معهم من المال في هذا الإناء فجعلت البنت تبكي فقالت: أمها ما يبكيك وقد وسع الله علينا، فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا؟

وقوف في وجه العاصفة، وبشرى ببيت في الجنة:

عن عائشة رضي الله عنها أنه عندما رجع رسول الله ﷺ أول ما أوحي إليه من غار حراء فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الورع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر،

---

(١) أخرجه البخاري (٤/١٧٢-١٧٥).

لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى -ابن عم خديجة- وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يابن أخي ماذا ترى؟ فأخبر رسول الله ﷺ خبر ما رأى (أي في الغار).

فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيه جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال الرسول ﷺ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا[(١)]، ومع ما سمعته أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها من أن قوم الرسول ﷺ سيحاربونه ويخرجونه وهي تعرف صلابة قريش وقوتها، مع هذا قررت الوقوف في وجه العاصفة المتوقعة وقبلت في سبيل الله أن تتحمل الأذى والمشقة وأن تقبل هذه المهمة الصعبة وهي الوقوف في وجه قريش فهذا من أعظم الأمثلة للمؤمنات الصادقات ليقتدين بأم المؤمنين رضي الله عنها في تحملها المشقة والأذى لتؤازر زوجها رسول الله ﷺ وتقف خلفه ليتمكن بفضل الله من نشر دعوة الإسلام بين قومه ثم في جميع أنحاء المعمورة وليقيم دولة الإسلام، لذلك وبفضل الله بشرها الرسول ﷺ بالجنة حيث روى الإمام البخاري في صحيحه وغيره عن أبي هريرة قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».

يا أختاه .. إنما العلم هو الخشية:

لقد امتلأت صفحات تاريخنا المجيد بنماذج يعجز القلم عن وصفها من

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ٢٢).

النساء العالمات، كيف لا وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩] فشمرت كل واحدة منهن لطلب العلم لتزداد قربًا وخشية لله جل وعلا.

قالت أم سفيان الثوري لابنها سفيان وهو طالب يطلب العلم في أول أمره قالت له: «يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي» تريد أن لا تحوجه إلى العمل ليترك العلم وطلبه، يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة، تريد زيادة نور وخشية فإن لم تر زيادة فاعلم أنه لا ينفعك.

المرأة المسلمة والحرص على طلب العلم:

لقد بلغ حرص المرأة المسلمة على طلب العلم مبلغًا عظيمًا، ولقد بلغت الكثيرات من العالمات المسلمات منزلة علمية رفيعة، فكان منهن الأستاذات والمدرسات (للإمام الشافعي، والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حبان)[1]، وهذه ابنة سعيد بن المسيب لما أن دخل بها زوجها، وكان من أحد طلبة والدها، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد.

فلو كان النساء كمن ذكرنا لفَضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخر للهلال

إلهي قد غارت النجوم:

كانت الواحدة من نساء سلفنا الصالح تجد وتجتهد في عبادة الله جل وعلا، فإذا جاء الليل وغارت نجومه كانت تلقي بنفسها في مصلاها حتى الصباح تصلي وتتضرع لله جل وعلا.

بل كانت المرأة توقظ زوجها ليقيما الليل لله جل وعلا، أما نحن فلقد أصبح ليل أكثر المسلمين -إلا من رحم الله- على التلفاز والفيديو والمعاصي

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان (١/٢٧٩).

التي تناطح قمم السحاب، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال ﷺ: «**رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت في الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»[1].

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان:

اعلمي أيتها الأخت الفاضلة أن جوارحك أمانة من عند الله لينظر هل تستعملين تلك الجوارح في طاعته أم في معصيته، فإذا استعملت تلك الجوارح في معصية الله فاحذري فإن الجوارح والأركان تعترف يوم القيامة بجرائم الإنسان، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت: ١٩-٢٤].

وبالجملة فنحن نريد منك أن تحطمي أصنام الجاهلية كلها وأن تلتزمي بالإسلام قلبًا وقالبًا وبذلك يصبح المجتمع المسلم بل تصبح الأمة المسلمة

---

(١) رواه أحمد والنسائي عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٣٤٩٤).

خير أمة أخرجت للناس.

أختاه .. كيف تنالين محبة الله؟

لقد ذكر الإمام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين[1] عشرة أسباب تجلب محبة الله جل وعلا، فسوف نذكرها إن شاء الله مع الشرح اليسير.

١- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

٢- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

٣- دوام ذكره وعلى كل حال: باللسان والقلب والعمل والحال، فتصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

٤- إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

٥- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه.

٦- مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها الداعية إلى محبته.

٧- انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

٨- الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختام ذلك بالاستغفار والتوبة، وبخاصة في الثلث الأخير من الليل.

٩- مجالسة الطاهرات الصادقات والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما يُنتقى أطايب الثمر.

١٠- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل، فابحثي يا أختاه فإن كان الذي يحول بينك وبين الله صديقة غير صالحة فابتعدي عنها إن لم تستجب لدعوتك إياها إلى الخير، وإن كانت الأغاني والتلفاز فأخرجيها

---

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٣/١٧-١٨) بتصرف.

من بيتك وعمري بيتك بالقرآن والسنة.

أختاه .. كيف تثبتين على دين الله جل وعلا؟

إن الفتن التي تحيط بالمسلمين من كل حَدَب وصوب لتجعل الحليم حيرانًا، ولذا فإنني يا أختاه في تلك السطور أضع بين يديك بعض الأسباب والوسائل التي تعينك على الثبات على دين الله جل وعلا.

١ـ إقامة التوحيد لله جل وعلا:

إن أمر التوحيد ليس أمرًا ثانويًا حتى نؤجله أو نؤخره بل هو الأساس الذي عليه يقوم الدين كله، ولذا فإن الله لا يقبل من قوم شريعتهم حتى تصح عقيدتهم، فمن عاشت على (لا إله إلا الله) ماتت عليها ومن ماتت عليها بُعثت عليها إن شاء الله.

٢ـ قراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

٣ـ التزام شرع الله وكثرة العمل الصالح:

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال قتادة في تفسير ابن كثير، أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح وفي الآخرة أي في القبر وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦]، أي تثبيتًا لهم على الحق.

٤ـ المداومة على العمل الصالح:

قال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»(١)، وقال تعالى في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه**»(٢) ومن أحبه الله فقد فاز بأعظم تثبيت في الدنيا والآخرة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

٥ـ الدعاء:

قال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أَهْدِكُمْ**»[(١)] فعندما نتأمل هذا الحديث نعلم أن الهداية ابتداءً وانتهاءً من عند الله جل وعلا فنعلم أنه لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه فنرفع إليه أكف الضراعة ونسأله أن يثبت قلوبنا على دينه، ولا ننسى أبدًا أن الحبيب ﷺ لم يفتر لسانه عن هذا الدعاء: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[(٢)].

٦ـ ذكر الله:

اجعلي إدامك في الدنيا ذكر الله وفي الآخرة النظر إلى وجه الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، فجعله الله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد، وذكر الله يجعل القلب موصولاً بالله جل وعلا كما قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٧ـ الالتفاف حول العناصر المثبتة:

كالعلماء والصالحين والدعاة.

٨ـ التربية الإيمانية:

وتتجلى في إقامة الدين ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾ [الشورى: ١٣] وذلك بفعل كل ما يحبه الله والبعد عن كل ما يغضب الله جل وعلا.

٩ـ طلب العلم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[(٣)]، فحاشا لله أن يريد بك خيرًا ثم يحول قلبك عن الإيمان، قال ﷺ: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي ذر -باب في تحريم الظلم- كتاب الظلم.

(٢) رواه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٧).

(٣) متفق عليه عن معاوية، صحيح الجامع (٦٦١٢).

(٤) أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة، صحيح الجامع (٦٥٧٧).

الفصل الثالث

مفاتيح السعادة الزوجية



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فقد شرع الله تعالى الزواج للبشر لأمور مهمة وفوائد عظيمة للفرد والمجتمع منها على سبيل المثال:

١- صيانة وحفظ الأنساب.

٢- إكثار أمة محمد ﷺ.

٣- تحصين الفرج وغض البصر وقضاء الوطر فيما أباحه الله تعالى.

---

(١) مقدمة الطبعة المصرية لكتاب «**مفاتيح السعادة الزوجية**».

٤- حفظ النسل البشري ليعمر الأرض بعبادة الله.
٥- السكن النفسي.
٦- حماية المجتمعات من الأمراض الخلقية والجنسية.
٧- الامتثال لأمر الله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣].

ولكن مع مرور الزمن واتصال الدول بعضها ببعض وتأثر بعض المسلمين ببعض الأفكار الهدامة والأفلام المدمرة.

بدأت ظاهرة المشاكل الزوجية في الانتشار حتى أن أكثر من ٧٠٪ من قضايا المحاكم في المشاكل الزوجية.

لذلك عزيزي القارئ أقدم لك كتابنا «**مفاتيح السعادة الزوجية**».

وأسباب كتابتي لهذا الموضوع عدة أمور منها:

١- تأثر المسلمين والمسلمات بأفكار الغرب والأفلام الهدامة التي تصدر إلى مجتمعنا المسلم.
٢- انتشار الطلاق والخلع في مجتمعنا.
٣- كثرة المشاكل الزوجية.
٤- تمرد المرأة المسلمة والتشبه بالمرأة الكافرة الغربية المنحلة.
٥- تدخل النساء في أمور الرجال وتنازل بعض الرجال عن القوامة للمرأة.

ويجب أن يعلم الجميع أن ٨٠٪ من المشاكل بين الأزواج سببها المرأة، فقد جمعت هذا الكتيب المتواضع، وأرجو أن ينفع الله تعالى به الجنسين، ولا يفوتني أن أذكر أن المرأة العاقلة الحكيمة المستقيمة، تعرف كيف ترضي وتكسب ودّ زوجها بأخلاقها وانقيادها لأوامره وتلاطفها معه وتجملها له في كل وقت.

قال ﷺ لإحدى نساء الصحابة ﵃: «**أذات بعل؟**» قالت: نعم، قال: «**كيف أنت له؟**» قالت: لا آلو -أي لا أقصر- في طاعته إلا ما عجزت عنه قال: «**فانظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك**» صحيح الترمذي.

كما لا يخفى أن بعض الرجال مع الأسف يسيئون إلى زوجاتهم وكأنهن إماء لدى سيد جبار، فنراهم يتفننون في تعذيبهن وشتمهن وقد يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى الضرب الشديد، ويصل الأمر إلى الشرطة، والكشف الطبي والنيابة، ثم المحكمة، قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» رواه الترمذي وابن ماجه.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الاستقامة على دينه والسعادة في الدنيا والآخرة، اللهم هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.

أولاً: ما قبل الزواج

المهر[(١)]:

من حسن رعاية الإسلام للمرأة واحترامه لها، أن أعطاها حقها في التملك؛ إذ كانت في الجاهلية مهضومة الحق مهيضة الجناح؛ حتى أن وليها كان يتصرف في خالص مالها، لا يدع لها فرصة التملك، ولا يمكنها من التصرف.

فكان أن رفع الإسلام عنها هذا الإصر؛ وفرض لها المهر، وجعله حقًا على الرجل لها، وليس لأبيها، ولا لأقرب الناس إليها أن يأخذ شيئًا منها إلا في حال الرضا والاختيار قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء: ٤].

أي وآتوا النساء مهورهن عطاء مفروضًا لا يقابله عوض، فإن أعطين شيئًا من المهر بعد ما ملكن من غير إكراه ولا حياء ولا خديعة، فخذوه سائغًا، لا غصة فيه، ولا إثم معه.

فإذا أعطت الزوجة شيئًا من مالها حياء، أو خوفًا، أو خديعة؛ فلا يحل أخذه. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

وهذا المهر المفروض للمرأة، كما أنه يحقق هذا المعنى، فهو يطيب نفس المرأة ويرضيها بقوامة الرجل عليها.

قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤]، مع ما يضاف إلى ذلك من

---

(١) انظر الفصل الأول من كتاب «مفاتيح السعادة الزوجية».

توثيق الصلات، وإيجاد أسباب المودة والرحمة.

قدر المهر:

لم تجعل الشريعة حدًا لقلته، ولا لكثرته، إذ الناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق، ولكل جهة عاداتها وتقاليدها، فتركت التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته، وحسب حالته، وعادات عشيرته، وكل النصوص جاءت تشير إلى أن المهر لا يشترط فيه إلا أن يكون شيئًا له قيمة؛ بقطع النظر عن القلة والكثرة؛ فيجوز أن يكون خاتمًا من حديد، أو قدحًا من تمر أو تعليمًا لكتاب الله، وما شابه ذلك، إذا تراضى عليه المتعاقدان.

١- فعن عامر بن ربيعة أن امرأة من بني فزارة تزوجت على نعلين، فقال رسول الله ﷺ: «**أرضيت عن نفسك ومالك بنعلين؟**» فقالت: نعم. فأجازه. رواه أحمد وابن ماجه، والترمذي، وصححه.

٢- وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إني وهبت نفسي لك، فقامت قيامًا طويلاً، فقام رجل، فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة، فقال رسول الله ﷺ: «**هل عندك من شيء تصدقها إياه؟** فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال النبي ﷺ: **إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك، فالتمس شيئًا**، فقال: ما أجد شيئًا، **فقال: التمس ولو خاتمًا من حديد**، فالتمس فلم يجد شيئًا، فقال له النبي ﷺ: **هل معك من القرآن شيء؟** قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا، لسور يسميها، فقال النبي ﷺ: **قد زوجتكها بما معك من القرآن**». رواه البخاري ومسلم.

وقد جاء في بعض الروايات الصحيحة: «**علمها من القرآن**».

وفي رواية أبي هريرة: أنه قدر ذلك بعشرين آية.

٣- وعن أنس، أن أبا طلحة خطب أم سليم، فقال: والله ما مثلك يرد؛ ولكنك كافر وأنا مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك

مهري، ولا أسألك غيره، فكان ذلك مهرها.

فدلت هذه الأحاديث على جواز جعل المهر شيئًا قليلاً، وعلى جواز جعل المنفعة مهرًا، وأنَّ تعلم القرآن من المنفعة.

كراهة المغالاة في المهور:

ومهما يكن من شيء فإن الإسلام يحرص على إتاحة فرص الزواج لأكثر عدد ممكن من الرجال والنساء؛ ليستمتع كل بالحلال الطيب. ولا يتم ذلك إلا إذا كانت وسيلته مذللة، وطريقته ميسرة. بحيث يقدر عليه الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير، ولا سيما أنهم الأكثرية، فكره الإسلام التغالي في المهور، وأخبر أن المهر كلما كان قليلاً كان الزواج مباركًا، وأن قلة المهر من يمن المرأة.

فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**إن أعظم النكاح بركة، أيسره مؤنة**».

وقال: «**يمن المرأة خفة مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها**».

وكثير من الناس جهل هذه التعاليم، وحاد عنها وتعلق بعادات الجاهلية من التغالي في المهور، ورفض التزويج إلا إذا دفع الزوج قدرًا كبيرًا من المال يرهقه، ويضايقه؛ كأن المرأة سلعة يساوم عليها، ويتجر بها.

وقد أدى ذلك إلى كثرة الشكوى، وعانى الناس من أزمة الزواج التي أضرت بالرجال والنساء على السواء، ونتج عنها كثير من الشرور والمفاسد، وكسدت سوق الزواج، وأصبح الحلال أصعب منالاً من الحرام.

تعجيل المهر وتأجيله:

يجوز تعجيل المهر وتأجيله، أو تعجيل البعض، وتأجيل البعض الآخر، حسب عادات النساء، وعرفهم. ويستحب تعجيل جزء منه؛ لما روى ابن عباس: «**أن النبي ﷺ منع عليًا أن يدخل بفاطمة حتى يعطيها شيئًا. فقال: ما عندي شيء. فقال: فأين درعك الحُطَمية؟ فأعطاه إياه**». رواه أبو داود، والنسائي. والحاكم وصححه.

وروى أبو داود، وابن ماجه عن عائشة قالت: «أمرني رسول الله ﷺ أن أدخل امرأة على زوجها قبل أن يعطيها شيئًا».

فهذا الحديث يدل على أنه يجوز دخول المرأة قبل أن يقدم لها شيئًا من المهر.

وحديث ابن عباس يدل على أن المنع كان على سبيل الندب.

قال الأوزاعي: كان يستحسنون ألا يدخل عليها حتى يقدم لها شيئًا.

وقال الزهري: بلغنا في السنة ألا يدخل بامرأة حتى يقدم يكسو كسوة. ذلك مما عمل به المسلمون.

وللزوج أن يدخل على زوجته، وعليها أن تسلم نفسها إليه، ولا تمتنع عليه ولو لم يعطها ما اشترط تعجيله لها من المهر- وإن كان يحكم لها به.

متى يجب المهر المسمى كله؟

يجب المهر المسمى كله في إحدى الحالات الآتية:

١- إذا حصل الدخول الحقيقي لقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

٢- إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول، وهو مجمع عليه.

٣- ويرى أبو حنيفة: أنه إذا اختلى بها خلوة صحيحة؛ استحقت الصداق المسمى، وذلك بأن ينفرد الزوجان في مكان يأمنان فيه اطلاع أحد عليهما، ولم يكن بأحد منهما مانع شرعي؛ مثل أن يكون أحدهما صائمًا صيام فرض عليه، أو تكون حائضًا، أو مانع حسي؛ مثل مرض أحدهما مرضًا لا يستطيع معه الدخول الحقيقي، أو مانع طبيعي بأن يكون معهما ثالث.

وجوب المهر المسمى بالدخول في الزواج الفاسد

إذا عقد الرجل على المرأة، ودخل بها؛ ثم تبين فساد الزواج لسبب من الأسباب، وجب المهر المسمى كله، لما رواه أبو داود: أن بصرة بن أكثم

تزوج امرأة بكرًا في كسرها فدخل عليها، فإذا هي حبلى فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**لها الصداق بما استحللت من فرجها**» وفرق بينهما.

ففي هذا الحديث وجوب المهر المسمى في النكاح الفاسد كما أنه تضمن فساد النكاح وبطلانه إذا تزوجها فوجدها حبلى من الزنا.

الزواج بغير ذكر المهر:

الزواج بغير ذكر المهر، ويسمى «زواج التفويض» يصح في قول عامة أهل العلم، لقول الله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

ومعنى الآية: أنه لا إثم على من طلق زوجته قبل المسيس، وقبل أن يفرض لها مهرًا.

فإذا تزوج بغير ذكر المهر؛ واشترط أن لا مهر عليه فقيل: إن الزواج غير صحيح، وإلى هذا ذهبت المالكية وابن حزم. قال: وأما لو اشترط فيه أن لا صداق، فهو مفسوخ، لقول رسول الله ﷺ: «**كل شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل**».

وهذا شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل، بل في كتاب الله عز وجل إبطاله، قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤].

فإذن هو باطل، فالنكاح المذكور لم تنعقد صحته إلا على تصحيح ما لا يصح، فهو نكاح لا صحة له.

وجوب مهر المثل بالدخول أو بالموت قبله:

وإذا دخل بها الزوج، أو مات قبل الدخول بها؛ في هذه الحال، فللزوجة مهر المثل والميراث؛ لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود أنه قال في مثل هذه المسألة: أقول فيها برأيي -فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأ فمني-: أرى لها صداق امرأة من نسائها: لا وكس، ولا شطط[1]، وعليها

---

(١) لا وكس: لا نقص عن مهر نسائها. ولا شطط: ولا زيادة.

العدة؛ ولها الميراث، فقام معقل بن يسار، فقال: أشهد لقضيت فيها بقضاء رسول الله ﷺ في بروع بنت واشق.

وإلى هذا ذهب أبو حنيفة، وأحمد، وداود، وأصح قولي الشافعي.

مهر المثل:

مهر المثل هو المهر الذي تستحقه المرأة، مثل مهر من يماثلها وقت العقد في السن، والجمال، والمال، والعقل، والدين، والبكارة، والثيوبة، والبلد، وكل ما يختلف لأجله الصداق، كوجود الولد أو عدم وجوده؛ إذ إن قيمة المهر للمرأة تختلف عادة باختلاف هذه الصفات.

تشطير المهر:

يجب على الزوج نصف المهر إذا طلق زوجته قبل الدخول بها، وكان قد فرض لها قدر الصداق؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ[1] أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ[2] وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وجوب المتعة:

إذا طلق الرجل زوجته قبل الدخول، ولم يفرض لها صداقًا، وجب عليه المتعة تعويضًا لها عما فاتها.

وهذا نوع من التسريح الجميل، والتسريح بإحسان، قال الله تعالى: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقد أجمع العلماء على أن التي لم يفرض لها، ولم يدخل بها؛ لا شيء لها غير المتعة.

والمتعة تختلف باختلاف ثروة الرجل.

---

(١) يعفون: أي النساء المكلفات.

(٢) بيده عقدة النكاح: هو الزوج وقيل هو الولي.

وليس لها حد معين، قال الله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ[١] قَدَرُهُۥ[٢] وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ[٣] قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ[٤] حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

سقوط المهر:

ويسقط المهر كله عن الزوج، فلا يجب عليه شيء للزوجة في كل فرقة كانت قبل الدخول من قبل المرأة؛ كأن ارتدت عن الإسلام، أو فسخت العقد لإعساره، أو عيبه، أو فسخه هو بسبب عيبها، أو بسبب خيار البلوغ.

ولا يجب لها متعة، لأنها أتلفت المعوض قبل تسليمه، فسقط البدل كله كالبائع يتلف المبيع قبل تسليمه.

ويسقط المهر كذلك، إذا أبرأته قبل الدخول بها أو وهبته له؛ فإنه في هذه الحال يسقط بإسقاطها له، وهو حق خالص لها.

الجهاز

الجهاز هو الأثاث الذي تعده الزوجة هي وأهلها ليكون معها في البيت، إذا دخل بها الزوج.

وقد جرى العرف، على أن تقوم الزوجة، وأهلها، بإعداد الجهاز وتأثيث البيت، وهو أسلوب من أساليب إدخال السرور على الزوجة بمناسبة زفافها.

وقد روى النسائي عن علي ﷺ قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل، وقربة، ووسادة حشوها إذخر[٥]. وهذا مجرد عرف جرى عليه الناس.

وأما المسئول عن إعداد البيت إعدادًا شرعيًا، وتجهيز كل ما يحتاج له من

---

(١) الموسع: ذو السعة وهي البسطة والغنى.

(٢) قدره: طاقته.

(٣) المقتر: الفقير قليل المال.

(٤) متاعًا بالمعروف: المعروف ما يتعارف عليه الناس بينهم.

(٥) الخميل: القطيفة، وهي كل ثوب له خميل ووبر من أي شيء والإذخر نبت طيب الرائحة تحشى به الوسائد.

الأثاث، والفرش، والأدوات، فهو الزوج؛ والزوجة لا تسأل عن شيء من ذلك، مهما كان مهرها، حتى ولو كانت زيادة المهر من أجل الأثاث؛ لأن المهر إنما تستحقه الزوجة في مقابل الاستمتاع بها، لا من أجل إعداد الجهاز لبيت الزوجية، فالمهر حق خالص لها، ليس لأبيها، ولا لزوجها، ولا لأحد حق فيه.

الجهاز ملك خاص للزوجة:

والجهاز إذا اشترته الزوجة بمالها، أو اشتراه لها أبوها فهو ملك خالص لها، ولا حق للزوج ولا لغيره فيه، ولها أن تمكن زوجها وضيوفه من الانتفاع به؛ كما أن لها أن تمتنع عن التمكين من الانتفاع، وإذا امتنعت لا تجبر عليه.

وقال مالك: يجوز للزوج أن ينتفع بجهاز زوجته الانتفاع الذي جرى به العرف.

حكم الشبكة:

خطب فتاة وقدم إليها الشبكة المعروفة ولم يعقد عليها ثم فسخت الخطبة فهل يجب عليها رد الشبكة إلى الخاطب؟

الجواب: جرى عرف الكثير في مصر على أن يقدم الزوج قطعة حلي باسم الشبكة أو يدفع إليها مقدارًا من المال لتشتري به الشبكة التي تختارها.

وقد أصبح هذا من الأمور التي تشترط لإتمام الزواج كالمهر بحيث لا يهتم الزوج في الأوساط التي تفارضت ذلك إلا بتقديم الشبكة عينًا أو بدلاً ودفع المهر معًا، بل تعارفوا نقصان المهر بقدر قيمة الشبكة عند تقديمها، وزيادته بقدرها إذا لم تقدم، إذ إنها ستشتري منه بمعرفة الزوجة، فإذا فسخت الخطبة ولم يتم إجراء العقد لأي سبب، وجب على المخطوبة رد الشبكة إن كانت قائمة، ورد بدلها إن كانت هالكة أو مستهلكة وذلك لأن المعروف عرفًا والثابت واقعًا أن الخاطب إنما يدفعها على سبيل المعاوضة وعلى شريطة إتمام العقد وهذا العرف مما يعتبر شرعًا ويدار عليه الحكم فوجب أن يكون حكمها حكم المهر إذا عدلت المخطوبة عن الزواج، وكانت قد أخذته فإنه يجب رده كاملاً إن كان قائمًا، ورد بدله إن كان هالكًا أو مستهلكًا، على أن بعض الجهاز التي لم يجر العرف فيها بذلك، إذا قال الزوج إنه دفع

الشبكة على أن يتم العقد أو على أنها من المهر، وجب عند فسخ الخطب أن تردها المخطوبة لأن الزوج هو الدافع لها وهو أعلم بجهة دفعه فالقول له بيمينه ومن دفع شيئًا على أنه واجب عليه فظهر أنه ليس بواجب فله استرداده.

كراهية المغالاة في الجهاز:

كما تكره المغالاة في المهر تكره المغالاة في تجهيز بيت الزوجية فلا ينبغي أن يطلب الزوج من أهل الزوجة شيئًا يشق عليهم الإتيان به أو يكلفهم من أمرهم عسرًا، ولا ينبغي لأهل الزوجة أن يكلفوا الزوج ما ليس في طاقته حتى لا يضطر إلى الاستدانة أو تأخير الدخول أو الإعراض عن الزواج، وخير الأمور الوسط، والإسراف في كل شيء محظور شرعًا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

منكرات الأفراح:

الكلام في الأفراح لا يخرج عنه في الموالد، وإذا وزنت أعمال الناس في الأفراح اليوم بميزان الشرع الشريف ظهر لك الحكم فيما ابتدعوا فيها، ولا يعزب عنك أن الأفراح اليوم قد حوت من البدع ضروبًا كثيرة سواء كانت من اختصاصات الأفراد كالذي يعمل في الأعراس، وعند قدوم الحاج، وعند حدوث نعمة أو دفع نقمة، أو كانت من اختصاصات الأمم والجماعات

كالذي يصنع للملوك من عيد الجلوس والميلاد فإنك ترى الناس حتى العقلاء لا يقصدون منها إلا الرياء والافتخار، والبسطاء يضمون إلى ذلك خلع عذار الحياء يرون أن بالأفراح يرتفع التكليف فيأتون بالألاعيب المخجلة والأساليب المعيبة.

التعري وكشف العورات[١]:

فمن منكرات الأفراح: أن يجتمع إخوان العريس قبل الزفاف بليلة ويؤتى بالأسطى المزين ليخضب بالحناء يديه ورجليه مع أنه حرام على الرجال إلا من عذر، وفي ليلة الزفاف يحميه بالماء مكشوف العورة أمام الإخوان الذين يصفقون حوله مع الغناء، وكذا تصنع القابلة بالعروس وهذا كله من أعمال الجاهلية.

اجتماع الصغار بالشموع:

ومنها: اجتماع الأحداث يحملون الشموع وباقات الأزهار وينشدون الأناشيد، وكل ذلك منكر شرعًا لما فيه من إضاعة المال لغير غرض شرعي، وباجتماع الأحداث بثيابهم الفاخرة يعتادون الخلاعة وينشأون على سيّئ الأخلاق.

الغناء واللهو المحرم[٢]:

ومنها: آلات اللهو والطرب غير المباح، وربما كان المغني امرأة، والمسلم منهم إذا أحيا العرس بقراءة القرآن أو قصة المولد تقع قراءته على غير الوجه المشروع.

الإسراف في الجهاز:

ومن البدع الضارة: بدعة الإسراف في جهاز العروس والتغالي في مهرها، وقد انتشرت تلك البدعة في بلادنا اليوم فكانت عاقبتها خسرًا ووبالاً، ضرر بين، وفقر حاضر، وخراب عاجل.

وهم دائمًا يقولون لابد للعروس أن تصحب جهازًا فيه من الحلي ما غلا ثمنه وخف حمله، ومن الثياب ما علت قيمته، ولان ملمسه، وتعددت

---

(١) راجع الفصل الأول من الكتاب.

(٢) راجع الفصل الثاني منه.

أشكاله، وتنوعت أصنافه وأزياؤه يشرع والد العروس في إعداد ذلك الجهاز حتى إذا نفد ما في يده مدها إلى المرابين واستدان بالربا الفاحش خوفًا من انتقاد النساء فيستمر في الاستدانة ويستمر النساء في الطلب فما ينتهي من الجهاز إلا وقد أحاط الدين بماله إن كان ثريًا، تذهب العروس إلى بيت زوجها تفرح به ويفرح بها، وتأنس به ويأنس بها، وتترك والدها يقاسي هموم الدين ويذوق آلامه، ومعظم الجهاز قد فني وتبدد وما بقي منه فقلما يستعمل.

غلاء المهور:

ومن مضار ذلك الجهاز والتغالي فيه: أن والد الفتاة يلزم الخاطب بالمهر الفادح ليستعين به والد الخطيبة على هذا الجهاز الثقيل، وكثيرًا ما يلجأ الخاطب أو أهله إلى الاستدانة من المرابين نعوذ بالله من سخطه -فيبتدئ هذا الخاطب حياته بالهم الدائم والشقاء المستمر- يقول لقمان لابنه: يا بني إياك والدين فإنه هم بالليل وذل بالنهار.

لم هذا التفاني والتغالي في المهر؟ ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: «**خير الصداق أيسره**» [رواه أبو داود] أي أسهله على الخاطب، والخيرية بركة المرأة ففي الحديث: «**أبركهن أيسرهن مؤنة**» وروى أحمد وغيره من حديث عائشة: «**إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها**» فيستحب تخفيف المهر والرضا بما يطيقه الخاطب ويكره الغلو فيه هذا إلى ما في التغالي في المهور من إحجام الشبان عن الزواج وفي ذلك ما فيه من الشر والفساد.

ويا ليت هذا الإنفاق كان في شيء نافع للعروسين بل إن الجهاز في هذا الزمان أصبح من الأمور الصورية التي تتمتع بها الأنظار ولا ينتفع بها كثيرًا في مرافق الحياة، وقد أدرك ذلك بعض العقلاء فخففوا المهور، واقتصروا على النافع من الجهاز بل على الضروري منه، فعسى أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم فتحسن الحال وتحفظ الثروة من الضياع.

منكرات المعازيم:

ومن منكرات الأفراح: ما يكون في جماعة النساء اللاتي يدعون للعرس من الإسراف والتبذير: ثياب جديدة متنوعة الأزياء، وحلي بديعة متغايرة الأصناف والأشكال، وأموال تدفع للمغنيات والراقصات والماشطات مما يفقرن به أزواجهن ويحملهم ما لا يطيقون فلا يلبث أن ينقلب ذلك الفرح غمًا على أقارب العروسين وعبئًا ثقيلاً على جيرانهم وأحبابهم، وناهيك بما يكسبنه من الأخلاق الرديئة والصفات الذميمة والألفاظ البذيئة التي تكون عادة في أمثال تلك الأفراح، ولقد أدرك هذا أيضًا بعض العقلاء وفطنوا لما فيه من الخطر على الأخلاق فأصبحوا يقتصرون على دعوة أهل العروسين وبعض أقاربهم وإعداد ما لابد منه مما لا يحتاج إلى كثير من النفقات وبذلك حفظوا أموالهم من الضياع، وأقاموا الدين وأحيوا سنة سيد المرسلين.

فض البكارة بالأصبع:

منها: وهو من أشنع البدع وأقبح العادات فض البكارة بالإصبع فإنه مع مخالفته للسنة المحمدية كثيرًا ما يضر بالعروس ويسبب لها العقم ويورثها في الغالب داء الرهقان، وكل ذلك ضرر لا تخفى حرمته.

الطواف بدم البكارة:

ومنها: الطواف حول القرية بقميص العروس ملوثًا بدم البكارة بل دم الجناية على هذا العضو الرقيق من ذلك الوحش الذي لا يراقب الله تعالى في هذه المسكينة في أحرج الأوقات، ولهم في طوافهم بالقميص وحين فض البكارة كلام تخجل منه الإنسانية، وقد ماتت هذه البدعة السيئة لدى الأغنياء والأوساط الراقية ولكنها باقيةً مقدسةً في الفقراء والطبقات المنحطة وهي من بقايا الجاهلية.

ركعتا التحية:

ومنها: صلاة العروس ركعتي التحية عندما يقدم على ارتكاب هذه الجناية يفعلهما بين يديها وربما سجد بين شعبها كما تأمره القابلة نعوذ بالله من الضلال.

دعوة الأغنياء فقط:

ومنها: تخصيص الدعوة إلى الوليمة بالأغنياء وطرد الفقراء وقد قال ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء**» متفق عليه من حديث أبي هريرة.

الغناء المباح عند الزواج[1]:

ومما أباحه الإسلام وحبب فيه: الغناء عند الزواج، ترويحًا للنفوس، وتنشيطًا لها باللهو البريء، ويجب أن يخلو من المجون، والخلاعة، والميوعة، وفحش القول وهجره.

١- فعن عامر بن سعد ﷺ قال: دخلت على قرظة بن كعب، وأبي مسعود الأنصاري في عرس، وإذا جوار يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم!! فقالا: إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت فاذهب، قد رخص لنا في اللهو عند العرس.

٢- وزفت السيدة عائشة رضي الله عنها الفارعة بنت سعد، وسارت معها في زفافها إلى بيت زوجها -نبيط بن جابر الأنصاري- فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو**».

وفي بعض روايات هذا الحديث أنه قال: «**فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف، وتغني؟**» قالت عائشة: تقول ماذا يا رسول الله؟ قال: «**تقول:**

أتيناكم أتيناكم   فحيونا نحييكم

ولولا الذهب الأحمر   ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمراء   ما سمنت عذاريكم»

وعن الربيع بنت معوِّذ قالت: جاء النبي ﷺ حين بني بي فجلس على فراشي، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف، ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن:

---

(١) راجع الفصل الثاني منه.

وفينا نبي يعلم ما في غد

فقال لها: «**دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين**».

قرار هيئة كبار العلماء في تحديد مهور النساء[1]:

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء قد اطلع في دورته العاشرة المعقودة في مدينة الرياض فيما بين يوم ١٣٩٧/٣/٢١هـ و١٣٩٧/٤/٤هـ على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة من هيئة كبار العلماء في موضوع تحديد مهور النساء بناءً على ما قضى به أمر سمو نائب مجلس الوزراء من عرض هذا الموضوع على هيئة كبار العلماء لإفادة سموه بما يتقرر وجرى استعراض بعض ما رفع للجهات المسئولة عن تمادي الناس في المغالاة في المهور والتسابق في إظهار البذخ والإسراف في حفلات الزواج وبتجاوز الحد في الولائم وما يصحبها من إضاءات عظيمة خارجة عن حد الاعتدال ولهو وغناء بآلات طرب محرمة بأصوات عالية قد تستمر طوال الليل حتى تعلو في بعض الأحيان على أصوات المؤذنين في صلاة الصبح وما يسبق ذلك من ولائم الخطوبة وولائم عقد القران كما استعرض بعض ما ورد في الحث على تخفيف المهور والاعتدال في النفقات والبعد عن الإسراف والتبذير فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشًا قالت: أتدري ما النش؟ قلت: لا. قالت: نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم.

وقال عمر رضي الله عنه: ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئًا من نسائه ولا

---

(١) في المملكة العربية السعودية.

أنكح شيئًا من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية، قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ زوج امرأة رجلاً بما معه من القرآن.

وروى الترمذي وصححه أن عمر ﷺ قال: لا تغلوا في صداق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية وإن كان الرجل ليبتلى بصدقة امرأته حتى يكون عداوة في نفسه وحتى يقول: كلفت لك علق القربة.

والأحاديث والآثار في الحض على الاعتدال في النفقات والنهي عن تجاوز الحاجة كثيرة معلومة، وبناء على ذلك ولما يسببه هذا التمادي في المغالاة في المهور والمسابقة في التوسع في الولائم بتجاوز الحدود المعقولة وتعدادها قبل الزواج وبعده وما صاحب ذلك من أمور محرمة تدعو إلى تفسخ الأخلاق من غناء واختلاط النساء في الفنادق إذا أقيمت الحفلات فيها مما يعد من أفحش المنكرات ولما يسببه الانزلاق في هذا الميدان من عجز الكثير من الناس عن نفقات الزواج فيجرهم ذلك إلى الزواج من مجتمع لا يتفق في أخلاقه وتقاليده مع مجتمعنا فيكثر الانحراف في العقيدة والأخلاق، بل قد يجر هذا التوسع الفاحش إلى انحراف الشباب من بنين وبنات، ولذلك كله فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى ضرورة معالجة هذا الوضع معالجة جادة وحازمة بما يلي:

١- يرى المجلس منع الغناء الذي أحدث في حفلات الزواج بما يصحبه من آلات اللهو وما يستأجر له من مغنين ومغنيات وبآلات تكبير الصوت لأن ذلك منكر محرم يجب منعه ومعاقبة فاعله.

٢- منع اختلاط الرجال بالنساء في حفلات الزواج وغيرها ومنع دخول الزوج على زوجته بين النساء السافرات ومعاقبة من يحصل عندهم ذلك من زوج وأولياء الزوجة معاقبة تزجر عن مثل هذا المنكر.

٣- منع الإسراف وتجاوز الحد في ولائم الزواج وتحذير الناس من ذلك بواسطة مأذوني عقود الأنكحة وفي وسائل الإعلام وأن يرغب الناس في تخفيف المهور ويذم لهم الإسراف في ذلك على منابر المساجد وفي مجالس العلم وفي برامج التوعية التي تبث في أجهزة الإعلام.

٤- يرى المجلس بالأكثرية معاقبة من أسرف في ولائم الأعراس إسرافًا بينًا وأن يحال بواسطة أهل الحسبة إلى المحاكم لتعزيز من يثبت مجاوزته الحد بما يراه الحاكم الشرعي من عقوبة رادعة زاجرة تكبح جماح الناس عن هذا الميدان المخيف لأن من الناس من لا يمتنع إلا بعقوبة، وولي الأمر وفقه الله عليه أن يعالج مشاكل الأمة بما يصلحها ويقضي على أسباب انحرافها وأن يوقع على كل مخالف من العقوبة ما يكفي لكفه.

٥- يرى المجلس الحث على تقليل المهور والترغيب في ذلك على منابر المساجد وفي وسائل الإعلام وذكر الأمثلة التي تكون قدوة في تسهيل الزواج إذا وجد من الناس من يرد بعض ما يدفع إليه من مهر أو اقتصر على حفلة متواضعة لما في القدوة من التأثير.

٦- يرى المجلس أن من أنجح الوسائل في القضاء على السرف والإسراف أن يبدأ بذلك قادة الناس من الأمراء والعلماء وغيرهم من وجهاء الناس وأعيانهم وما لم يمتنع هؤلاء من الإسراف وإظهار البذخ والتبذير فإن عامة الناس لا يمتنعون من ذلك لأنهم تبع لرؤسائهم ويأمروا به ذوي خاصتهم قبل غيرهم ويؤكدوا على ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم واحتياطًا لمجتمعهم لئلا تتفشى فيه العزوبة التي ينتج عنها انحراف الأخلاق وشيوع الفساد، وولاة الأمر مسئولون أمام الله عن هذه الأمة وواجب عليهم كفهم عن السوء ومنع أسبابه عنهم وعليهم تقصي الأسباب

التي تثبط الشباب عن الزواج؛ ليعالجوها بما يقضي على هذه الظاهرة، والحكومة أعانها الله ووفقها قادرة بما أعطاها الله من إمكانات متوفرة ورغبة أكيدة في الإصلاح أن تقضي على كل ما يضر بهذا المجتمع أو يوجد فيه من أي انحراف وفقها الله لنصرة دينه وإعلاء كلمته وإصلاح عباده وأثابها أجزل الثواب في الدنيا والآخرة وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

هيئة كبار العلماء

ثانيًا كيف تسعد زوجتك؟[١]

الزواج:

الزوجية سنة من سنن الله تعالى في الخلق والتكوين، وهي عامة مطَّردة لا يشذ عنها عالم الإنسان، أو عالم الحيوان أو عالم النبات.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦].

وهي الأسلوب الذي اختاره الله تعالى للتوالد والتكاثر، واستمرار الحياة بعد أن أعد كلا الزوجين وهيأهما، بحيث يقوم كل منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١].

ولم يشأ الله تعالى أن يجعل الإنسان كغيره من العوالم، فيدع غرائزه تنطلق دون وعي، ويترك اتصال الذكر بالأنثى فوضى لا ضابط له، بل وضع النظام الملائم لسيادته، والذي من شأنه أن يحفظ شرفه، ويصون كرامته، فجعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريمًا، مبنيًا على رضاهما، وعلى إيجاب وقبول، كمظهرين لهذا الرضا، وعلى إشهاد، على أن كلاً منهما قد أصبح للآخر، وبهذا وضع للغريزة سبيلها المأمونة، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة على أن تكون كلأً مباحًا لكل راتع، ووضع نواة الأسرة التي تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة، فتنبت نباتًا حسنًا، وتثمر ثمارها اليانعة، وهذا النظام هو الذي ارتضاه الله تعالى وأبقى عليه الإسلام، وهدم كل ما عداه، [فقه السنة: ج٢ ص٨].

---

(١) تكلمنا عن أسباب السعادة في الفصل الثاني فارجع إليه.

اختيار الزوجة:

الزوجة سكن للزوج، وحرث له، وهي شريكة حياته، وربة بيته، وأم أولاده، ومهوى فؤاده، وموضع سره ونجواه.

وهي أهم ركن من أركان الأسرة، إذ هي المنجبة للأولاد، وعنها يرثون كثيرًا من المزايا والصفات، وفي أحضانها تتكون عواطف الطفل، وتتربى ملكاته ويتلقّى لغته، ويكتسب كثيرًا من تقاليده وعاداته، ويتعرف على دينه، ويتعود السلوك الاجتماعي.

من أجل هذا عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه.

وليس الصلاح إلا المحافظة على الدين، والتمسك بالفضائل، ورعاية حق الزوج، وحماية الأبناء، فهذا هو الذي ينبغي مراعاته.

وأما ما عدا ذلك من مظاهر الدنيا، فهو مما حظره الإسلام ونهى عنه إذا كان مجردًا من معاني الخير والفضل والصلاح.

وكثيرًا ما يتطلع الناس إلى المال الكثير، أو الجمال الفاتن، أو الجاه العريض، أو النسب العريق، أو إلى ما يعد من شرف الآباء، غير ملاحظين كمال النفوس وحسن التربية، فتكون ثمرة الزواج مُرَّة، وتنتهي بنتائج ضارة.

والقصد: ألا يكون القصد الأول من الزواج هو هذا الاتجاه نحو هذه الغايات الدنيا، فإنها لا ترفع من شأن صاحبها ولا تسمو به؛ بل الواجب أن يكون الدين متوفرًا أولاً، فإن الدين هداية العقل والضمير.

ثم تأتي بعد ذلك الصفات التي يرغب فيها الإنسان بطبعه، وتميل إليها نفسه، يقول الرسول ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**» [رواه البخاري ومسلم].

ويضع تحديدًا للمرأة الصالحة، وأنها الجميلة المطيعة البارة الأمينة، فيقول ﷺ: «**خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك**». [رواه النسائي].

ومن المزايا التي ينبغي توفرها في المرأة المخطوبة أن تكون من بيئة كريمة معروفة باعتدال المزاج، وهدوء الأعصاب، والبعد عن الانحرافات النفسية، فإنها أجدر أن تكون حانية على ولدها، راعية لحق زوجها.

خطب رسول الله ﷺ أم هانئ فاعتذرت إليه بأنها صاحبة أولاد، فقال: «**خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه** (يعني: أكثر شفقة) **على ولد في صغره، وأرعاه** (يعني: أحفظ وأصون) **على زوج في ذات يده** (يعني: المال)».

وطبيعة الأصل الكريم أن يتفرع عنه مثله؛ يقول الرسول ﷺ: «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».

من مقاصد الزواج:

ومن مقاصد الزواج الأولى إنجاب الأولاد؛ فينبغي أن تكون الزوجة منجبة، ويعرف ذلك بسلامة بدنها، وبقياسها على مثيلاتها من أخواتها وعماتها وخالاتها.

عدم إهمال الجمال:

والإنسان بطبيعته يعشق الجمال ويهواه، ويشعر دائمًا في قرارة نفسه بأنه فاقد لشيء من ذاته إذا كان الشيء الجميل بعيدًا عنه، فإذا أحرزه واستولى عليه شعر بسكن نفسي، وارتواء عاطفي وسعادة؛ ولهذا لم يسقط الإسلام الجمال من حسابه عند اختيار الزوجة؛ ففي الحديث الصحيح: «**إن الله جميل يحب الجمال**».

وخطب المغيرة بن شعبة امرأة فأخبر رسول الله ﷺ، فقال له: «**اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» أي تدوم بينكما المودة والعشرة.

ونصح الرسول ﷺ رجلاً خطب امرأة من الأنصار، وقال له: «**انظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا**».

وكان جابر بن عبد الله يختبئ لمن يريد التزوج بها، ليتمكن من رؤيتها والنظر إلى ما يدعوه إلى الزواج بها.

البكر أفضل من الثيب:

ويستحسن أن تكون الزوجة بكرًا، فإن البكر ساذجة لم يسبق لها عهد بالرجال، فيكون التزويج بها أدعى إلى تقوية عقدة النكاح، ويكون حبها لزوجها ألصق بقلبها فما الحب إلا للحبيب الأول.

ولما تزوج جابر بن عبد الله ثيبًا قال له رسول الله ﷺ: «**هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك؟**».

فأخبر رسول الله ﷺ بأن أباه قد ترك بنات صغارًا، وهن في حاجة إلى رعاية امرأة تقوم على شئونهن، وأن الثيب أقدر على هذه الرعاية من البكر التي لم تدرب على تدبير المنزل.

التقارب بين الزوجين:

ومما ينبغي ملاحظته أن يكون ثمة تقارب بين الزوج والزوجة من حيث السن والمركز الاجتماعي، والمستوى الثقافي والاقتصادي، فإن التقارب في هذه النواحي مما يعين على دوام العشرة، وبقاء الألفة.

هذه بعض المعاني التي أرشد الإسلام إليها، ليتخذها مريدو الزواج نبراسًا يستضيئون به، ويسيرون على هداه.

ولو أننا لاحظنا هذه المعاني عند اختيارنا للزوجة لأمكن أن نجعل من بيوتنا جنة ينعم فيها الصغير، ويسعد بها الزوج، وتعد للحياة أبناء صالحين، تحيا بهم أممهم حياة طيبة كريمة، [فقه السنة، ص٢٠، ج٢].

الحقوق الزوجية المتبادلة:

إذا وقع العقد صحيحًا نافذًا ترتبت عليه آثاره، ووجبت بمقتضاه الحقوق الزوجية.

وهذه الحقوق ثلاثة أقسام:

١- منها حقوق واجبة للزوجة على زوجها.

٢- ومنها حقوق واجبة للزوج على زوجته.

٣- ومنها حقوق مشتركة بينهما.

وقيام كل من الزوجين بواجبه، والاضطلاع بمسئولياته هو الذي يوفر

أسباب الاطمئنان والهدوء النفسي، وبذلك تتم السعادة الزوجية، وفيما يلي تفصيل وبيان بعض هذه الحقوق:

الحقوق المشتركة بين الزوجين:

والحقوق المشتركة بين الزوجين هي:

١- حل العشرة الزوجية واستمتاع كل من الزوجين بالآخر: وهذا الحل مشترك بينهما، فيحل للزوج من زوجته ما يحل لها منه، وهذا الاستمتاع حق للزوجين، ولا يحصل إلا بمشاركتهما معًا، لأنه لا يمكن أن يتفرد به أحدهما.

٢- حرمة المصاهرة: أي أن الزوجة تحرم على آباء الزوج، وأجداده، وأبنائه، وفروع أبنائه وبناته. كما يحرم هو على أمهاتها، وبناتها، وفروع أبنائها وبناتها.

٣- ثبوت التوارث بينهما بمجرد إتمام العقد: فإذا مات أحدهما بعد إتمام العقد ورثه الآخر ولو لم يتم الدخول.

٤- ثبوت نسب الولد من الزوج صاحب الفراش.

٥- المعاشرة بالمعروف: فيجب على كل من الزوجين أن يعاشر الآخر بالمعروف حتى يسودهما الوئام، ويظلهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

التوصية بالمرأة:

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضِلَعٍ أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء**» [متفق عليه].

وفي بعض روايات هذا الحديث: «**إن المرأة خُلقت من ضلع لن تستقيم على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها**» [رواه مسلم].

لقد سمع كثيرٌ منا بقصص رجال يسيئون إلى زوجاتهم كأنهن إماء لدى

سيد جبار، فنراهم يتفننون في تعذيبهن وشتمهن حتى يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى ضرب الوجه مما يجعل البيت جحيمًا لا يطاق، [نحو أسرة مسلمة للاستنبولي].

وكل ذلك ليس من صفات الرجال الصالحين، وقد نهى الإسلام عن مثل هذا السلوك، وكان من آخر وصايا الرسول ﷺ: «**.... ألا واستوصوا بالنساء خيرًا**» [متفق عليه].

أخي المسلم:

إنني أذكرك بلزوم الرفق بزوجتك وحسن معاملتها واحترام مكانتها وخاصة أمام أولادها فإن في إضعاف شخصيتها محاذير ومساوئ كثيرة «**وإن من أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**» [رواه الترمذي وحسنه].

أخي الرجل:

لا تطلب الكمال في هذا الكون، بل اطلب أحسن الموجود! وهلا فكرت في نفسك فيما إذا كنت كاملاً خاليًا من العيوب.

الحق أننا كلنا تحت الغربال فلا داعي لطلب الكمال من غيرنا ونحن في العيوب غارقون منتهزين فرصة ضعف المرأة وفقرها فإن كنا أقوياء عليها فإن الله أقوى منا علينا.

جاء في الحديث الشريف: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**» [رواه مسلم].

وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما: إن لي بُنية، وإنها تُخطب فممن أزوجها؟ فقال: زوجها ممن يتقي الله فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها، [العقد الفريد].

حقوق الزوجة:

للزوجة على زوجها حقوق كثيرة:

قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ﷺ: «**المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين**

الرحمن (وكلتا يديه يمين) الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُوا» [رواه مسلم].

وقال ابن عباس: إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي.

ومن حقوق الزوجة:

١- حسن العشرة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

٢- تعليم المرأة، يجب تعليم المرأة ما تحتاج إليه من أمور الدين وخاصة الواجبات.

٣- أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

٤- الاعتدال في الغيرة.

٥- الصداق، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

٦- النفقة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال ﷺ: **«كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول»** [متفق عليه].

٧- العدل في القسمة بين أكثر من زوجة، قال ﷺ: **«من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة أحد شقيه ساقطًا أو مائلاً»** [رواه أحمد وغيره].

٨- كف الأذى عنها ومراعاة شعورها، وكان ﷺ يقوم على خدمة أهله بنفسه ﷺ يخسف النعل، ويرقع الثوب، ويكنس الدار .... الحديث [متفق عليه].

٩- أن لا يفشي سرها وأن لا يذكر عيباً فيها قال ﷺ: **«إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم**

ينشر سرها» [رواه مسلم].

١٠- السماح لها بزيارة أهلها أو أقاربها وجيرانها.

١١- المحافظة على زوجته ومنع اختلاطها بالنساء الفاسقات أو المشبوهات ، وأن لا يسمح لها أن تشتري المجلات الخليعة والأفلام الساقطة .

١٢- أن لا يسهر الزوج خارج المنزل إلى ساعة متأخرة من الليل .قال رسول الله ﷺ: «**إن لأهلك عليك حقاً**»[رواه البخاري].

١٣- أن لا يطمع في مال زوجته الموظفة الذي آل إليها بالإرث أو نحوه، فيضيق عليها وينغص عليها حياتها حتى تتنازل له عن مالها أو بعضه أو بعض ثروتها وهي مكرهة من غير طيب نفس منها.

حقوق مشتركة:

١- غض الطرف عن الهفوات والأخطاء وخاصة غير المقصود منها.

٢- المشاركة الوجدانية في الأفراح والأحزان.

٣- النصيحة فيما بينهما.

٤- أن لا يذكر أحدهما قرينه بسوء بين الناس، ولا يفشي سره.

٥- المعاشرة بين الزوجين بما يضمن عفاف كل منهما.

٦- تزين الزوجين لبعضهما.

٧- الاحترام والتقدير فيما بينهما.

٨- تربية الأبناء تربية إسلامية، فجدير بالزوجين الاهتمام بتربية الأبناء عامة والبنات خاصة، قال ﷺ: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين**» وضم أصابعه [رواه مسلم].

لذلك يجب مراعاة ما يلي:

- تعويد البنات على الاحتشام والحجاب الساتر.
- ترهيبهن من لبس القصير.
- إشغال فراغهن بما ينفع من الأشرطة والكتب الإسلامية.
- تجنب شراء آلات اللهو وأشرطة الأغاني.
- عدم شراء المجلات الساقطة التي تهتم بالفنانين واللاعبين والنوادي.

حسن معاملة الزوجة:

من حسن معاملة الزوجة أن يتحبب إليها ويناديها بأحب الأسماء إليها وأن يكرمها بما يرضيها، ومن ذلك أن يكرمها في أهلها عن طريق الثناء عليهم أمام زوجته، ومبادلتهم الزيارات ودعوتهم في المناسبات، ومنها: أن يستمع إلى حديثها، ويحترم رأيها ويأخذ بمشورتها إذا أشارت عليه برأي صواب، وبالجملة فكل أمر يتصور في الدين والعرف أنه حسن فهو من المعاشرة بالمعروف.

ومنها: حسن الخلق معها واحتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها.

وأن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة، فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن، وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال.

قال عمر ﷺ: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلاً (أي في الأنس وسهولة الخلق على ألا تسقط هيبته).

وينبغي للزوج أن ينمي في نفسه صفات الفكاهة والمرح في بعض الأحيان في بيته وخاصة مع زوجته لإدخال السرور على قلبها، والتخفيف من قساوة الحياة وإزالة التوتر الناجم من مشاكل الحياة والعمل وكل ذلك يساعد على تقوية أواصر المحبة بين الزوجين.

وعن الزهري قال: قال أبو الدرداء لامرأته: إذا رأيتني غضبت ترضيني وإن رأيتك غضبت ترضيتك، وإلا لم نصطحب، قال الزهري: وهكذا يكون الإخوان.

أسباب المشاكل الزوجية:

١- الذنوب والمعاصي.

٢- الإهمال.

٣- عدم الإحساس بالمسئولية.

٤- تدخل الأقارب.

٥- الغيرة المذمومة.

٦- الوسوسة.

٧- التدخل فيما لا يعني.

٨- التسلط من أحد الزوجين.

٩- سوء الظن.

١٠- عدم التوافق النفسي وسوء فهم كل من الزوجين لطباع الآخر.

١١- الاعتقادات الفاسدة.

١٢- الرتابة في الحياة.

١٣- الأفلام الخليعة والمجلات الساقطة.

١٤- عدم الصراحة والصدق.

١٥- تأثير الجيران.

١٦- عدم القناعة بالأمور المادية.

١٧- فارق الطبقة الاجتماعية.

١٨- فارق التعليم.

١٩- فارق السن.

٢٠- الجلسات المختلطة.

٢١- تفضيل بعض الأولاد على بعض.

٢٢- عدم العدل بين الزوجات.

٢٣- كثرة خروج المرأة من المنزل.

٢٤- كثرة السهر خارج المنزل.

٢٥- السفر إلى الخارج لأغراض سيئة.

آفات المعاصي:

إن من أهم أسباب المشاكل الزوجية وانتشارها بين المسلمين: المعاصي والمنكرات، فإن المعصية سبب لهوان العبد عند الرب وعند الخلق.

قال ابن القيم:

من عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد

نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب.

ومن عقوبات المعاصي: سقط الجاه والمنزلة والكرامة عند الله وعند خلقه، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده، فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده، فعاش بينهم أسوأ عيش، خامل الذكر، ساقط القدر، زري الحال، لا حرمة له ولا فرح له ولا سرور.

وكثيرًا ما تشتكي بعض الزوجات من تغير أزواجهن وتبكي أيامه الحلوة وعبارات الحب المتبادلة بينهما والآن لا يسأل ولا يبالي بأحد من زوجة أو ولد.

قال الشيخ أحمد القطان عن ذلك:

الزوجة هي السبب في تغيره، فاسألي نفسك كثيرًا، أما قرأت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]

لعله بسبب معصية تصر عليها الزوجة أو الزوج!

فلنبحث عن الأسباب:

- أشدها ترك الصلاة والفرائض كالزكاة والصوم والحج.
- قد تؤخرين الاغتسال للحفاظ على تسريحة الشعر.
- عدم تحجب البنات وهن بالغات.
- قطيعة الرحم.
- إخفاء معاصي الأولاد عن والدهم.
- الغيبة والنميمة.
- أكل الربا.
- مشاهدة الأفلام الخليعة وسماع الأغاني.
- إدخال الخادمة والسائق إلى البيت بلا ضرورة.
- الاستهزاء بالدين والمتدينين.
- شرب الخمور والدخان.
- عقوق الوالدين.

◙ وغير ذلك.

فالواجب مراجعة النفس ومحاسبتها والتوبة والعودة إلى فعل الواجبات وترك المنهيات، وبإذن الله سيعود البيت يرفرف بالسعادة والأنس.

فتوى مهمة جدًا:

أجاب على هذا السؤال سماحة الشيخ العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: امرأة تشتكي من سوء تصرف زوجها؟

الجواب:

إذا كان الواقع من زوجك هو ما ذكرتيه في السؤال من تركه الصلاة وسبه الدين فإنه بذلك كافر ولا يحل لك المقام عنده ولا البقاء معه في البيت، بل يجب عليك الخروج إلى أهلك أو إلى أي مكان تأمنين فيه لقوله سبحانه في شأن المؤمنات لدى الكفار: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] ولقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**» رواه الترمذي والنسائي وغيرهم.

ولأن سب الدين كفر أكبر بإجماع المسلمين فالواجب عليك بغضه في الله ومفارقته وعدم تمكينه من نفسك والله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

يسر الله أمرك وخلصك من شره إن كنت صادقة وهداه الله للحق ومن عليه بالتوبة إنه سبحانه جواد كريم.

الزوج المرح:

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيت النبي ﷺ على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم، بين أذنه وعاتقه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، [رواه البخاري ومسلم].

وقالت رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى**» فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال:

«إذا كنت راضية: فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم» قالت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك [متفق عليه].

وقالت رضي الله عنها: إنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال لأصحابه: **«تقدموا»** فتقدموا ثم قال: **«تعالي أسابقك!»** فسابقته، فسبقته على رجلي، فلما كان بعد- وفي رواية فسكت عني حتى إذا حملت وبدنت ونسيت، خرجت معه في سفر فقال لأصحابه: **«تقدموا»** فتقدموا ثم قال: **«تعالي أسابقك!»**، ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله، وأنا على هذه الحال؟! فقال: **«لتفعلن»** فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وقال: **«هذه بتلك»**، [رواه أحمد وأبو داود وغيرهم].

لعل الرسول ﷺ أراد بهذه المسابقة تعليم الزوجين استحسان استمتاع كل منهما بصحبة شريك حياته، فيقومان معًا ببعض أوجه النشاط واللهو البريء معًا كيلا تكون الحياة الزوجية كلها جد على الدوام، فتكون مملة وتصبح قيدًا.

تزين الرجل لزوجته:

من المستحب أن يتزين الرجل لزوجته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن استنطف كل حقي الذي لي عليها، فتتوجب حقها الذي لها عليَّ، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

زوج يهدد بالطلاق:

على أتفه الأمور يهدد المسكين بالطلاق، إذا حصل سوء تفاهم بسيط هدد بالطلاق، إذا بكى الأطفال هدد بالطلاق، إذا كسر أحد الأطفال كأسًا

أو فنجانًا هدد بالطلاق، إذا تأخرت المسكينة في كي ثوب أو غيره هدد بالطلاق.

فيا أيها الأخ العاقل:

لا تجعل مملكتك يسودها القلق والأسى، لا تجعل حياتك تهديدًا ووعيدًا، اجعلها حبًا وودًا ووئامًا وتفاهمًا واحترامًا.

ومما يجدر التنبيه عليه موضوع الحلف بالطلاق حيث انتشر بين كثير من المسلمين، فتجد بعض الرجال في كل صغير وكبير يحلف بالطلاق وهذا الأمر ينبغي تجنبه لأن بعض العلماء يرى أنه طلاق وليس بيمين فالأولى الإعراض عنه وتجنبه.

زوجي أرجوك لا تسافر:

عندما يسافر الزوج تظل الزوجة في حيرة من أمرها، ماذا تفعل؟ كيف تتصرف؟ محرجة من أهلها، خجلة من أبنائها، تصارع اللوعات، تتجرع مرارة الألم.

ماذا تقول للأطفال حين يسألون عن أبيهم؟ هل تكذب؟ هل تخدع نفسها؟ إنها في حيرة وقلق ونكد.

فيا أيها الأزواج:

اتقوا الله في نسائكم، حافظوا عليهن، أدوا حق الله فيهن.

نصائح هامة للزوج:

أخي الزوج:

أذكر لك بعض النصائح والإرشادات الكفيلة بإذن الله تعالى إن عملت بها أن تعيش مع زوجتك في سعادة ووئام:

١- إياك والبخل.

٢- إياك وإهانة زوجتك أمام الناس.

٣- لا تتكلم بفحش مع أقارب زوجتك.

٤- تجمل لزوجتك.

٥- عليك بالرفق مع زوجتك وأولادك.

٦- احرص على تربية أبنائك تربية إسلامية.

٧- إياك وشراء الملابس القصيرة لبناتك.

٨- إياك وضرب زوجتك بدون سبب.

٩- هل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

١٠- اجعل لك ولعائلتك محل ذكر في بيتك.

١١- تجنب شراء الملابس التي فيها صور ذوات أرواح.

١٢- لا تكثر من الخروج إلى الأسواق.

١٣- أكثر من التبسم أمام زوجتك.

١٤- تهادوا تحابوا.

١٥- لا يطلع أحد على مشاكلكم الزوجية.

١٦- ما أطعمت لزوجتك فهو صدقة.

١٧- الدين النصيحة.

١٨- أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم.

أخي الفاضل ليس معنى إرضاء زوجتك أن تتنازل عن حقوقك أو تنزل عن القوامة التي بيدك، لأنه مع الأسف قد أصبح كثير من الناس بين إفراط وتفريط في موضوع القوامة.

فنجد بعض الرجال إذا أراد شراء سيارة أو أثاث منزل أو لون العمارة أو أراد أن يشتري ثوبًا أو .... أو .... جعل زوجته هي الكل في الكل بل هي التي تحدد الألوان والأشكال .... و .....

والفريق الآخر مستأثر برأيه لا يأخذ مشورة زوجته لا في القليل ولا في الكثير، لا في صغير ولا في كبير، والمقصود أن خير الأمور أوسطها، لا إفراط ولا تفريط فنحن أمة وسط في كل شيء.

كيف تسعدين زوجك؟

الترغيب في طاعة الزوج:

الدين الإسلامي جعل للمرأة حقوقًا وعليها واجبات، ومن أعظم الواجبات على المرأة حق زوجها، الذي هو بالنسبة لها جنتها أو نارها: أي هو سبب دخولها الجنة أو النار، وإليك عدة أحاديث في الترغيب في طاعة الزوج لمن أرادت السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

قال ﷺ: «**المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها، وأطاعت زوجها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت**» [صححه الألباني].

وقال ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة**» [رواه الترمذي].

وقال ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» [الترمذي وصححه ابن حبان].

وقيل لرسول الله ﷺ: أي النساء خير؟ قال: «**التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره**» [أبو داود والنسائي].

فضل الزوجة الصالحة:

الزوجة الصالحة هي السعادة في الدنيا وهي التي تعين زوجها على طاعة الله وتمنحه السكن النفسي والراحة التامة في جميع الأمور قال ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» [رواه مسلم].

رغَّب الإسلام الرجل في تحري أن تكون زوجته صالحة ذات دين، وجعل ذلك هو الأصل الذي ينبغي الاعتناء به ضمن الخصال المرغوبة فيها، فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها أزرت بزوجها وسوَّدت بين الناس وجهه، وشوهت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه، وأكثر الرسول ﷺ

في الحث على صاحبة الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عونًا على أعظم أمر يهم المسلم، ألا وهو الدين.

قال رسول الله ﷺ: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتَّق الله في الشطر الثاني**» [رواه الحاكم وصححه].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجاء السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق**» [رواه النسائي وصححه العراقي].

وقال ﷺ: «**خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**» وقال ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدِّين تربت يداك**» [متفق عليه].

استقبال الزوج إذا عاد إلى بيته:

خرج الرجل من العمل بعد تأدية الواجب متعبًا، من زحام السيارات ومن كثرة المراجعين، خرج يريد الهدوء والراحة والسكن النفسي في مملكته الخاصة، وخرج ليجد السعادة مع زوجته وأطفاله، فيا ترى كيف تستقبل الزوجة الصالحة المؤمنة زوجها حين يعود إلى البيت؟

من الزوجات من لا تكون في بيتها حين يعود زوجها إليه فلا يجدها فيه، وسواء أكانت الزوجة في عملها إذا كانت تعمل، أو كانت عند جيرانها أو صديقتها، أو عند أهلها فإن غيابها عن بيتها وقت عودة زوجها، سيترك أثره السلبي في نفس زوجها، زوجها الذي يريدها سكنًا له، بكل ما تحمله كلمة السكن من أمن وراحة واطمئنان، وقد تكون الزوجة في بيتها حين عودة زوجها، ولكنها لا تحسن استقباله فتنصرف عنه، ولا تهتم بمجيئه، وتنشغل عنه بأي شغل آخر، وقد يكون الأمر أسوأ من هذا وذاك، فتستقبله زوجته ولا تنشغل عنه، ولكن أي استقبال هذا؟ صراخ وشكوى وتبرم

وضيق، وجه عابس غاضب ونفس حانقة ثائرة، استقبال يجعل الزوج يتمنى لو أنه عاد من حيث أتى! هل تريدين أختي المسلمة أن أنقل إليك مثلاً من أمثلة الصحابيات وحسن استقبالهن لأزواجهن؟

أم سُليم تستقبل أبا طلحة:

الصحابية الجليلة أم سليم مات لها ولد من زوجها أبي طلحة رضي الله عنهم جميعًا، وكان الولد مريضًا، فلما عاد زوجها إلى الدار لم تخبره بموته إلا بعد أن قدَّمت إليه الطعام ونال منها ما ينال الزوج من زوجته.

استمعي إلى القصة كما جاءت في كتب الحديث: كان لأبي طلحة ﷺ ابن يشتكي، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت أبا طلحة، عارية استعارها قوم وكانت العارية عندهم ما قضى الله، وإن أهل العارية أرسلوا عاريتهم فقبضوها، ألهم أن يجزعوا؟ قال: لا. قالت: فإن ابنك قد فارق الدنيا قال: فأين هو؟ قالت: هاهو ذا في المخدع.

فكشف عنه واسترجع، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فلما أصبح ذهب إلى رسول الله ﷺ وحدثه بقول أم سليم، فقال: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**» فحملت، قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن.

يا الله ما أعظم حكمة أم سليم، وما أوسع أفقها! أي خبر أسوأ من أن يخبر الأب بوفاة ولده؟ وما أبلغ أثره، وما أكبر صدمته على الأب؟ مثل هذا الخبر المفجع تلقاه أبو طلحة بالرضا والتسليم؟ وكان الفضل في هذا لمن؟ لزوجته أم سليم رضي الله عنها وعنه، كان أول سؤال للزوج العائد إلى بيته عن ولده المريض: ما فعل ابني؟ هل تقول له: لقد مات! الحكيمة أم سليم لم تخبره وهو عائد بتعبه وقلقه، لكنها في الوقت نفسه لم تكذب عليه فماذا قالت؟

لقد قالت: هو أسكن ما كان، تورية طمأنته بها على ابنه، دون أن

تكذب عليه، فقد كان بموته أسكن ما كان فعلاً، ثم هاهي، قبل أن تخبر زوجها تقدم له العشاء الذي لم يكن ليأكل منه شيئًا لو أخبرته بموت ابنه، ثم تجعله ينال منها ما ينال الرجل من زوجته.

لقد أصبح زوجها مهيئًا لتلقي النبأ الحزين، هاهي تقدم له بمقدمة يؤمن بها ويسلم، تمهيدًا لتسليمه بقضاء الله تعالى، سألته: هل من حق أناس كانت عندهم أمانة لأناس آخرين، أن يجزعوا حين أراد أصحاب الأمانة استرجاع أمانتهم؟ فلما قال أبو طلحة: لا! فأخبرته رضي الله عنها بأن ابنه فارق الحياة؛ لأن ابنه أمانة من الله تعالى، والله استرد أمانته.

فهل تعلمين أختي المتزوجة، وأنت أختي المقبلة على الزواج إن شاء الله كيف تستقبلين زوجك؟

نموذج لزوجة صالحة:

هذا النموذج لامرأة لا أظن أنه يوجد في هذا الزمان مثلها وإنما ذكرتها هنا للاقتداء بها:

روي أن شريحًا القاضي قابل الشعبي يومًا، فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له: من عشرين عامًا لم أر ما يغضبني من أهلي، قال له: وكيف ذلك؟ قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي، رأيت فيها حسنًا فاتنًا، وجمالاً نادرًا، قلت في نفسي: فلأتطهر وأصلي ركعتين شكرًا لله، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها، فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان في قومك من تتزوجه من نسائكم، وفي قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولا، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله، فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع

فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على النبي وآله وسلم وبعد: فإنك قلت كلامًا إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها، فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلك قلت ما أحب أن يملّني أصهاري فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ومن تكره فأكره؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء، قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فإذا بفلانة في البيت، قلت: من هي؟ قالوا: ختنك أي أم زوجك، فالتفتت إلي، وسألتني: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة، قالت: يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين: إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شرًّا من المرأة المدللة فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذِّب ما شئت أن تهذب.

فمكثت معي عشرين عامًا لم أعقب عليها في شيء إلا مرة، وكنت لها ظالمًا. اهـ.

هكذا فليكن الزوج، وهكذا فلتكن الزوجات، وهكذا فلتكن أمهات الزوجات.

التجمل للزوج:

كثير من الزوجات في هذا الزمن، لا يعرفن التجمل والتزين والتعطر لأزواجهن، لكن إذا جاءت مناسبة.

فتجد العجب العجاب في الجلوس أمام المرآة لتسريح الشعر وتصفيفه ولاختيار أجمل الملابس -أما للزوج فحدث ولا حرج: ملابس الطبخ، رائحة الثوم والبصل وغير ذلك.

فلا أدري هل الزوجة مأمورة بالتجمل للنساء في المناسبات أم مأمورة بمراعاة الزوج؟

إن الزوجة الذكية هي التي تعرف كيف تكسب قلب زوجها، وأن تكون دائمًا زوجة جديدة في حياته، فالكلمة الحلوة زينة والبسمة المشرقة جمال

والرائحة الطيبة بهجة، والفستان الأنيق واللمسات اللطيفة للشعر والاختيار الموفق لبعض الحلي البسيط المنسجم، كل ذلك تكسب به قلب زوجها.

حق الزوج على الزوجة:

إن حق الزوج على الزوجة أعظم من حقها عليه لقوله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ولقوله ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**».

وقال ﷺ: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» [رواه الترمذي].

وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال: «**انظري أين أنت منه، فإنه جنتك ونارك**» [رواه أحمد والنسائي].

وقال ﷺ: «**نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا أوذيت أو آذت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول لا أذوق غمضًا حتى ترضى**» [رواه الطبراني].

وقال ﷺ: «**اثنان لا تجاوز صلاتهما رءوسهما عبد أبق من مواليه حتى يرجع وامرأة عصت زوجها حتى ترجع**» [رواه الحاكم وصححه الألباني].

وقال ﷺ: «**لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تجد حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قَتَب**» [رواه أحمد].

مما سبق يتضح لنا عظم حق الزوج فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تفتخر عليه ولا تتطاول عليه برفع صوتها كما تفعله ضعيفات الدين سخيفات العقول.

أسئلة وأجوبة نافعة

من هي أجمل النساء؟

الجمال هو جمال الروح والتربية والخلق ولكل امرأة حظها من الجمال

بشرط أن تبرزه وترعاه وتحافظ عليه، أما جمال الصورة وجمال الجسم فرغم تأثيره السريع إلا أنه لا يصل قط إلى مرتبة الجمال الروحي في بهائه وسناه وبقائه على مر الأيام.

من هي أسعد النساء؟

تلك التي فجر الحب الإنساني في أعماقها ينبوعًا أزليًا فأضاء نفسها وأشرق على عالمها نورًا وجمالاً ورقة وحنانًا وربيعًا دائمًا وحبًا وطاعة لربها.

من هي أتعس النساء؟

أتعس النساء تلك التي تتخلى عن الأنوثة وتظن أن الانطلاق هو أقصر الطرق إلى قلب الرجل، بينما هذه الحرية المطلقة تشوه صورتها في نظره وتزلزل مكانتها في قلبه، إن المرأة التعسة هي المرأة المبذرة التي تقدس الأزياء الأجنبية وحب الشهرة والظهور إلى درجة الجنون.

ماذا تفعل في عيوب الزوج؟

هنا تظهر براعة هذه الزوجة في معالجة الموقف والصبر على هذه المعالجة فلابد أن يكون النجاح حليفها، وخاصة إذا حازت على ثقته وحبه فإن الحب يولد الحب وهو خير طريق للإصلاح، وقال أحد العلماء: الحب قد يقوم النفوس الجامحة كما قد يقوض الدعائم ومن هنا برزت كيفية استعمالنا وكيفية فهمنا للحب.

والمرأة ببسمتها الجميلة، ومسحة الخير للجمال المنعشة من كل جارحة من جوارح وجهها إنما يمكن للإنسان أن يتصور مقدار أثر تلك البسمة الرائعة الحنون في نفس الرجل، إنها تعمل الكثير وتحقق الكثير.

كيف تحافظ على زوجها وتسعده؟

على الزوجة دور أكبر وأهم لإسعاد زوجها والحفاظ عليه من إغراءات خارج البيت وهي تحديات لها كثيرة ومتنوعة وخطرة، والمرأة البارعة هي التي تنسي زوجها إغراءات الشارع وتحول هذه التحديات لمصلحتها ويصبح كل ما يلفت نظر زوجها ويثيره إعدادًا له وإشعالاً لعواطفه التي تنصب وتنتهي لديها هي.

والزوجة الناجحة هي التي تعرف رغبات زوجها وما يثيره مثل الألوان

التي يفضلها كذلك الملابس الداخلية والخارجية ونوع الزينة، ومن أخطاء الزوجات القاتلة إهمال الملابس والزينة في البيت بحيث يطالعن أزواجهن عند عودتهم من أعمالهم برائحة المطبخ والشعر المنكوش أو المعصوب بإهمال.

لذلك لا تندهش عندما تجد زوجة جميلة يهملها زوجها وينظر إلى غيرها بينما تجد زوجة قليلة الحظ في الجمال ومع ذلك تمتلك قلب زوجها وعواطفه، إن الزوجة هي المسئولة وحدها.

إننا ننصح الزوجة بأن تُعني دائمًا بمظهرها وزينتها في البيت وألا تطالع زوجها عند عودته من عمله بالشكوى الملحة من الأولاد، وأن توفر له جوًا مريحًا بهيجًا في البيت، مثل الإضاءة المهدئة للأعصاب، وتقليل ضجيج الأولاد بإشغالهم بما يفيدهم ونشر الروائح المعطرة في أرجاء البيت، ومفاجأته بوجبات الطعام التي يحبها والعمل جملة على تهيئة الجو الذي يمسح عنه متاعب الحياة التي يلقاها في يومه.


الفصل الرابع
نداء الفطرة لدى
الرجل والمرأة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ: «**ليلة أسري به أتي بإناءين في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، فقال: أشرب أيهما شئت، فأخذ اللبن فشربه، فقيل: اخترت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك**»[1].

وفي لفظ: «**الحمد لله الذي هداك الفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك**».

وفي لفظ: «**أصبت أصاب الله بك، أمتك على الفطرة**»[2].

وهذا الحديث مدار موضوعنا هذا، فقد بين فيه النبي ﷺ ثلاث فوائد:

الأولى: أن الإنسان مفطور على أشياء كثيرة، ركب عليها، وهي ما يسمى بـ «**الفطرة**»، فالفطرة هي ما جبل عليه الإنسان في أصل الخلقة من الأشياء الظاهرة والباطنة، تلك الأشياء التي هي من مقتضى الإنسانية، والتي يكون الخروج عنها، أو الإخلال بها، خروجًا عن الإنسانية، أو إخلالاً بها.

وهذا المعنى يفهم من كلام كثير من الأئمة: كابن القيم وابن حجر، وابن دقيق العيد، والسيوطي، وغيرهم من المحدثين، والمفسرين.

يقول ابن القيم رحمه الله: والفطرة فطرتان: فطرة تتعلق بالقلب، وهي معرفة الله ومحبته، وإيثاره على ما سواه، وفطرة عملية، وهي هذه الخصال يعنى المذكورة في حديث «الفطرة خمس...

الأولى: تزكي الروح، وتطهر القلب».

والثانية: تطهر البدن ...

الثانية: أن الرسالات السماوية جاءت موافقة للفطرة، مؤيدة لها،

---

(١) كتاب نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة للعلامة سلمان بن فهد العودة.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (٦/٤٢٨، ٤٧٦) (٨/٣٩١) (١٠/٣٥، ٦٩)، ومسلم (١/١٤٤، ١٥١، ١٥٤) (٣/١٥٩).

منطلقة منها، ولذلك كان الإسلام دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

ويعبر عن ذلك في حديث شربه ﷺ للبن، فهو عبارة عن الإشباع الصحيح، والمنهج المنسجم مع الفطرة، وفي اللبن من الغذاء، والصحة، واللذة، والغناء، عن غيره ما فيه حتى قال فيه ﷺ في حديث ابن عباس: «**إنه ليس شيء يجزي مكان الطعام أو الشراب غير اللبن**»[(١)].

الثالثة: إن ثمة وسائل أخرى يمكن أن يسلكها الإنسان، وهي معارضة للفطرة، مخالفة لها، ويمثلها الخمر في الحديث، فهو رمز عن الإشباع المنحرف، وسلوك الطريق المصادمة للفطرة، وفي الخمر من الخبث، والطيش، والرجسية ما فيها، فهي تغتال العقول والأموال، والأديان والأبدان.

وسيكون حديثي في هذه الرسالة في ثلاث نقاط:

أولاها: ذكر الفطرة، والأشياء التي فطر عليها الإنسان.

والثانية: موقف الإسلام من الفطرة.

والثالثة: موقف الجاهلية والمناهج المنحرفة من الفطرة.

---

(١) الترمذي (٣٤٥٥)، وسنن أبي داود (٣٧٣٠)، وابن ماجه (٣٣٢٢) وحسنه الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار.

١ ـ الفطرة الإنسانية

الإنسان مفطور على أشياء كثيرة:

مفطور على حب الحياة: والتعلق بالبقاء، ولذلك تجد أن الطفل مثلاً وهو صبيّ لا يعقل لو هددته بأن تسقطه من فوق جدار، أو تسقطه في بئر، أو ترمي به من سيارة، فإنه يرتعد ويبكي خوفًا من الموت والفناء، وهذه فطرة لا يحتاج الطفل إلى تعلمها، بل هي مخلوقة معه، وكثيرًا ما تتحدث الإحصائيات عن نسبة الانتحار في العالم، لأنهم يعتبرون الانتحار تصرفًا شاذًا، يدل على انحراف في تربية هذا المجتمع أو ذاك.

مفطور على العبودية: فالإنسان بطبيعته ضعيف يحتاج إلى أن يتوجه إلى معبود يسد فقره، أيا كان هذا المعبود، سواء كان بحق أو بباطل، مفطور على حب الوطن، وحب الأرض التي نشأ فيها.

ومن الفطرة: أن كلا من الجنسين الذكر والأنثى يميل إلى الآخر بطبيعته.

ومن الفطرة: أن الإنسان يحب الولد، ويحب المال.

ومن الفطرة: أن الإنسان يميل إلى التستر، وألا ينكشف، أو يتعرى أمام الناس، ولذلك يصف المتحدثون عن المجتمعات البدائية المتخلفة بأنها مجتمعات عارية، ليس فيها حجاب ولا لباس، والطفل منذ صغره يحس شيئًا فشيئًا بالخجل من ظهور سوءته أمام الآخرين، وكذلك غريزة حب الملكية بكسر الميم فالإنسان منذ يولد يبدأ تعلقه بأشيائه التي يعتبرها خاصة، ويعدّ الاعتداء عليها ظلمًا له، فهو متعلق بلعبه، وحذائه، وملابسه، وفراشه، وقد تسول له نفسه السطو على أشياء الآخرين، وادعاء ملكيتها.

والظلم من شيم النفوس، فإن تجد ذا عفـــة فلعلّـــة لا يظلـــم

ومن الفطرة: أن الظلم من شيم النفوس، فإن تجد الإنسان يحب الاختلاط ببني جنسه، ومعاشرتهم، فهو «مدني بالطبع» كما يقول ابن خلدون نقلاً عن أرسطو وهكذا تجد أن هناك أشياء كثيرة جدًا، الإنسان

مفطور عليها، صحيح أنها قد تنمو مع نمو عقل الإنسان، ومع تربيته، ومع معايشته للمجتمع، لكنها موجودة في أصل الخلقة، بحيث لو لم يوجد شيء ينميها، ولا آخر يعارضها لبرزت، ونمت كما تنمو الشجرة من بذرتها، ولذلك قال ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1].

وقال أهل العلم: لو ترك مولود وشأنه وحيدًا في غرفة، أو صحراء، وكبر لنطق باسم «**الله**».

٢ ـ موقف الإسلام من الفطرة

إذا كان من البديهيات في حس كل مسلم ومسلمة أن خالق هذه الفطرة، هو منزل هذا القرآن، وهو الله تعالى فمن الطبيعي أن نعلم يقينًا أن هذا الدين لابد أن يكون موافقًا للفطرة، إذ يستحيل أن يكون في دين الله، أو شرعه أمرًا يخالف، ويعارض ما فطره عليه، فالحكيم العالم بما خلق، ومن خلق، يضع الشريعة المناسبة له، الملائمة لخلقه.

وكل أمر شرعي يخطر في بالك أنه يعارض الفطرة، فيجب أن تعلم أنه لا يخلو من أحد احتمالين:

- فإما أنه أمر شرعي، ولا يخالف الفطرة الصحيحة المستقيمة، فمخالفته للفطرة وهم.

- وإما أنه يخالف الفطرة فعلاً، ولكنه لا يكون أمرًا شرعيًا، وإن نسبه الناس إلى الدين بغير علم ولا هدى.

وألخص الكلام عن موقف الدين من الفطرة فيما يلي:

أ- جاء الدين مقرًّا بالفطرة، غير متنكر لها، فمثلاً: حب الحياة الذي هو فطرة مركوزة عند الإنسان، جاء في القرآن ما يؤكد ذلك، يقول الله عز وجل عن اليهود ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ [بالبقرة: ٩٦]،

---

(١) رواه البخاري (٣/٢١٨، ٢٤٦)، ومسلم (٤/٢٠٤٨).

«وأحرص» أفعل تفضيل تدل على اشتراك الناس جميعًا في الحرص على الحياة، ولكن اليهود أحرصهم عليها.

إذن فحب البقاء، والحرص على الحياة فطرة يؤكد القرآن وجودها في الإنسان، وكذلك غريزة حب المال، وحب الزوج، وحب الولد، بين الله تعالى وجودها في الناس: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

وهذا السياق بمجرده لا يدل على مدح ولا ذم، إنما هو إشارة إلى أنها فطرة فطر عليها الإنسان، وغريزة ركبت فيه، ويأتي بعد ذكر: متى تكون هذه الأشياء محمودة، ومتى تكون مذمومة؟ المهم أنها غريزة وفطرة.

ولذلك لما ذكر تعالى المؤمنين، ووصفهم بأنهم لفروجهم حافظون، عقب عليها بقوله: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المعارج: ٣٠]، فكأن القضية قضية غريزة جبلية ليست بذاتها محل مدح أو ذم، ولكنها تحمد، أو تذم بما يلابسها من القصد والنية، وطريقة الإشباع وآدابه.

وفي قضية الزواج والنكاح، قد يستقذر الإنسان الجانب الجسدي فيها، خاصة الإنسان الذي فيه سمو إشراق وحياء، ولهذا جاء ذلك التعقيب يدفع هذا الشعور المترفع، ويبين أن كمال الإنسان في الاستجابة لفطرته وفق ما يرضي الله.

وها هم رسل الله وأنبياؤه ينكحون، ويتزوجون: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

وقد روى أهل السير، وهو في سنن ابن ماجه عن حمنة بنت جحش رضي الله عنها وكان تحت مصعب بن عمير ﷺ فقتل أخوها وزوجها في أحد، فقيل لها: قتل أخوك، فقالت: رحمه الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون،

وقالوا: قتل زوجك، قالت: واحزناه فقال رسول الله ﷺ: **«إن للزوج من المرأة لشعبة ما هي لشيء»**[(١)]. والحديث في إسناده عبد الله بن عمر العمري، وهو ضعيف[(٢)].

وهذا المعنى الدال على فطرة الترابط بين الزوجين ثابت في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]. ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. وقل مثل ذلك في مسألة حب التستر والتصون، حيث يمتن الله على عباده باللباس الساتر الجميل:﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وتأمل هذه المعاني نفسها في قوله تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].

ب- وجاء الدين موافقًا لهذه الفطرة في عقائده وأحكامه، ولذلك سمي «دين الفطرة»، فالتوحيد الذي جاء به الأنبياء كلهم، والعبادة التي أمروا بها، توافق فطرة التوجه لله، والتذلل له المغروزة في قلب كل مخلوق. وقل مثل ذلك في قضايا التشريع.

فمثلاً: شرع الإسلام الزواج الذي يلبي فطرة غريزية عند الإنسان، وهي إشباع الظمأ العاطفي لدى الجنسين، وليس إشباع الغريزة الجنسية فحسب.

وأصل خلق الأنثى هو من الذكر: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا

---

(١) سنن ابن ماجه (٥٠٧/١).

(٢) ميزان الاعتدال (٤٦٥/٢)، والتاريخ الصغير للبخاري (١٥٩/٢)، والمجروحين لابن حبان (٦/٢).

زَوْجَهَا ﴾ . [النساء: ١]، فالإلف يحن لإلفه، والفرع يحن لأصله، وإذا لم تجد هذه العاطفة وهذه الغريزة الطريق الحلال، اتجهت إلى الطريق الحرام. وجاء الدين آذنًا بالكسب الحلال الذي يلبي حاجة الإنسان إلى التملك والاستقلال.

جـ- وجاء الدين منظمًا للفطرة، ففتح أمامها الأبواب، والطرق السليمة، التي تلبي حاجتها، وتشبع جوعها، لئلا تنحرف إلى غيرها، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. فأمام الفطرة (فطرة حب الملكية) طريقان: حلال يتمثل في البيع بجميع صوره المباحة، وهو مفتوح، وحرام يتمثل في الربا وهو من أخت ضروب المكاسب المحرمة.

ولذلك أيضًا قال ﷺ في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود : «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبَصَر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[1].

وقد قال كثير من أهل العلم: إن الزواج على القادر المحتاج إلى الزواج واجب، بدلالة هذا الحديث، خاصة عند خشية الفتنة، كما في هذا الوقت الذي أصبحت المثيرات فيه لا تكاد تفارق الشاب، حتى في بيته، بل في غرفته الخاصة.

وفي مقابل ذلك حرم الإسلام الزنا، وعده من الفواحش العظام، وهكذا لا يغلق الله تعالى في وجه عباده بابًا من أبواب الحرام، إلا ويفتح بابًا من أبواب الحلال، وهو خير منه، وأيسر، وأنظف، وأحمد عاقبة، ولا يعرض عن الطريق النظيف المشروع إلا منحرف الفطرة، ممسوخ الباطن.

ولذلك جاء في حديث أبي هريرة في قصة الإسراء الطويلة أنه ﷺ أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج، ولحم آخر في قدر خبيث فجعلوا يأكلون الخبيث، ويدعون النضيج الطيب، قال: «**يا جبريل؛ من هؤلاء؟**»

---

(١) رواه البخاري (١١٣/٩)، ومسلم (١٠٨/٢١).

قال: هذا الرجل من أمتك يقوم من عند امرأته حلالاً،فيأتي المرأة الخبيثة، فيبيت معها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبًا، فتأتي الرجل الخبيث فتبيت عنده حتى تصبح.

والحديث رواه ابن جرير في التفسير، والبيهقي في الدلائل، وابن أبي حاتم، والبزار، وغيرهم[١] وفيه غرابة، ولكن يشهد لصحة هذا المعنى أن عقوبة الزاني المحصن أغلظ من عقوبة البكر.

د- وجاء الدين مزكيًا للفطرة، موجهًا لها نحو الأفضل، والأطهر، انظر إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

إذًا فالإنسان يحب أباه، وابنه، وأخاه، وزوجه، وعشيرته، وماله، ومسكنه، ووطنه، لكن أن يصل ذلك إلى حد تفضيل هذه الأشياء على حب الله ورسوله، والجهاد في سبيله، فهذا هو «الفسق» الذي يهدد صاحبه، ويقال له: تربص وانتظر حتى يأتي الله بأمرها.

ولما ذكر الله تزيين الشهوات للإنسان، من النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، عقب بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

ولما ذكر أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا عقب بقوله: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ

---

(١) تفسير الطبري (٦/٨) سورة الإسراء، وزوائد البزار (٣٩/١) والدلائل للبيهقي (٣٩٨/٢).

ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦].

فرفع الإنسان من كونه حيوانًا يشبع غرائزه الفطرية، ثم يقف عند هذا الحد، إلى كونه مؤمنًا متطلعًا إلى اللذات الكاملة الدائمة في جنات النعيم.

وشتان بين لذة الدنيا الفانية، ولذة الآخرة الباقية، شتان بين لذة عابرة خاطفة في هذه الدار، قبلها الجوع، والعطش، والشبق، والحرمان، والبعد وبعدها الإعراض، والملل، والكراهية، وهو مشوبة بالأكدار والأحزان، والمخاوف، والآلام، وبين لذة في الجنة لا يسبقها حرمان، ولا يلحقها ملل، ولا يقارنها هم، ولا حزن.

وتأمل كل لذة في هذه الدنيا تجد قبلها، أو معها، أو بعدها، ما تستقذره النفس، وتشمئز منه، وهذه آية بينة لقوم يعقلون.

وحين كان المؤمنون يعون هذه المعاني، ويتذوقونها اعتدلت الموازين في نفوسهم، فلم يعرضوا عن المباح إعراض الرهبان، ولا أقبلوا عليه إقبال أهل الجحود والكفران، بل جعلوه سلمًا لترقية النفس، وتهذيبها، وضحوا به إذا دعا داعي البذل والجهاد.

وإذا كان حب الحياة من أعمق الغرائز في النفس، فانظر كيف استعلى المؤمنون على ذلك، فكانوا يحبون الموت في سبيل الله، كما يحب عدوهم الحياة.

فهذا عمر بن الخطاب ﷺ لما صدر من منى، أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه، واستلقى، ثم مد يديه إلى السماء، فقال: «اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع، ولا مفرط»، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل رحمه الله. رواه مالك(١).

وكان يقول كما في البخاري: «اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»(٢).

---

(١) موطأ مالك (٢/٨٢٤).

(٢) البخاري (٤/١٠٠).

وما المواقف الشجاعة التي وقفها عمير بن الحمام، وأنس بن النضر، ومصعب بن عمير، وعكرمة بن أبي جهل، والبراء بن مالك، ثم من بعدهم على مدار التاريخ إلا حلقات في هذه السلسلة المتصلة.

ولقد كان الطرماح بن حكيم يتحدث باسمهم جميعًا حين قال:

وإني لمقـــتاد جـــوادي فقـــاذف	**بـــه وبنفس العام إحدى المقاذف**
فـــيا رب إن حانت وفاتي فلا تكن	**على شَرْجَع يُعلى بخضر المطارف**
ولكـــن أحـــن يومي سعيدًا بعصبة	**يصـــابون في فج من الأرض خائف**
عصـــائب مـــن شيبان أَلَّف بينهم	**تقـــى الله، نـــزالون عند التزاحف**
إذا فارقـــوا دنياهُم فارقوا الأذى	**وصاروا إلى موعود ما في المصاحف**
فأقـــتل قعصًـــا ثم يرمى بأعظمي	**كضغث الخلا بين الرياح العواصف**
ويصـــبح قـــبري بطن نسر مقيله	**بجـــو الســـماء في نسور عواكف**

إن الموت في سبيل الله، مع هذه العصابة من فوارس بني شيبان الشجعان المغاوير، ممن تحابوا في ذات الله، وألف بينهم تقى الله، هو أقصى ما يتمناه، إذ هذه الميتة تعني مفارقة هذه الدنيا المليئة بالأذى والكدر، وتعني الوصول إلى جناب الله التي وعدها المتقين والشهداء، ولا يضير الشهيد أن يقتل قتلاً سريعًا، ثم يرمي عظامه في الصحراء لتتنازعها تلك النسور العواكف العوائف.

وهذا الوعد الموعود هو: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥] فإذا كان وجودك في هذه الدنيا مهددًا بالموت في كل لحظة، فالبقاء الأبدي الذي لا يطرأ عليه الفناء هو في الدار الآخرة الموعودة، وإذا كان الحب بين الزوجين غريزة موجودة، لحكمة مشهودة. فإن المنغصات بينهما كثيرة، والمكروهات الجسدية والنفسية قائمة، والحياة الزوجية السعيدة بكل معاني السعادة إنما هي في الآخرة، ولهذا

قال: ﴿ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥]، وفي هذا إشارة إلى وجوب تقديم ما عند الله على ما في الدنيا، والتضحية بهذه من أجل تلك إذا اقتضى الأمر.

ولذلك لما أراد أحد المسلمين وهو النابغة الجعدي الشاعر أن يخرج في سبيل الله مجاهدًا، أمسكت به زوجه، وهي تبكي، وتسأله: كيف تخرج، وتتركني وحدي؟ فولى، وهو يغالب عواطفه، ويقول:

باتت تذكرني بالله قاعدة ... والدمع ينهل من شأنيهما سبلا

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ... كرهًا وهل أمنعن الله ما فعلا

فإن رجعت فربُ الناس يرجعني ... وإن لحقت بربي فابتغي بدلا

ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ... أو ضارعًا من ضنى لم يستطع حولا

ومن الطريف في هذا المقام ما ذكره ابن إسحاق، وغيره من أهل السير عن فروة بن عمرو الجذامي، وهو ملك عرب الروم، وكان قد أسلم، فعلم به الروم. فحبسوه، وأرادوه على الكفر، فأبي، وأصر على الإسلام، فصلبوه إلى خشبة، وفوقوا إليه السهام، وهم يهددونه إن لم يرجع بالقتل.

ففي هذا الموقف الصعب يستمسك الرجل بعقيدته، وتمر في ذاكرته صورة المسلمين الذين لم ير منهم إلا أفرادًا قلائل، فيرسل إليهم السلام، ويبلغهم أنه صابر ثابت:

بلغ سراة المسلمين بأنني ... سلم لربي أعظمي ومقامي

نعم. أنا الآن أموت مسلمًا لله، قد خشع لله لحمي، وعظمي، وعصبي، ومخي، إنه شعور عظيم لدى هذا المسلم المغترب.

ثم يتذكر حليلته وقرينة سفره، وحيدة متأيمًا، فيقول:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرا فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم يطرق الفحل أمها ... مشذبة أطرافه بالمناجل

فهو مصلوب على ماء بفلسطين، اسمه (ماء عفراء) على خشبة مشذبة أطرافها بالمناجل، وقد شبهها بالراحلة.

وهذا أبو طلحة الأنصاري، يسمع قوله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] وكان أحب ماله إليه بيرحاء، وكان رسول الله ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، يأتي أبو طلحة لرسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾. وإن أحب مالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها، فضعها حيث أراك الله، فقال ﷺ: «**بخٍ بخٍ** - وهي كلمة تعجب- **ذاك مال رابح، ذاك مال رابح**» والحديث متفق عليه عن أنس[1].

وهكذا يستعلي المؤمن على ما يحب في هذه الدنيا من الأزواج، والشهوات، والأولاد، والأموال، والحياة لإيمانه بأن الحياة ليست نهاية المطاف، بل هي ساعات معدودة بالقياس إلى الخلود السرمدي الأبدي في الدار الآخرة.

وهل تظن أن المسلم الكريم وهو يضحي بهذه الأشياء لا يرغب فيها؟ كلا بل هو يحب المال، فينفق مما يحب، فيحب الحياة، فيبذلها رخيصة في سبيل الله.

ومـــن الـــذي بذل الحياة رخيصة ورأى رضـــاك أعز شيء فاشترى

أتظن أن المسلم، وهو يغالب شهواته، ويجاهد نفسه على الطهر، والعفاف لا يجيش في نفسه الهوى؟

كلا. بل يتحرك في نفسه من النوازع مثل ما في نفوس الفجار، أو أشد، ولكنه يخاف مقام ربه، فينهى النفس عن الهوى.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. وهذا رسول الله ﷺ أوتي قوة أربعين

---

(١) البخاري (٣٢٥/٣)، ومسلم (٦٩٢/٢).

رجلاً في الأكل، والشرب، والجماع، والشهوة، ومع هذا تصفه عائشة أم المؤمنين بأنه كان أملككم لإربه يعني لحاجته[1].

وهكذا يظهر كيف جاء الدين معترفًا بالفطرة، موافقًا لها، منظمًا لطريقة إشباعها، مزكيًا مهذبًا لها.

٣ـ موقف الجاهلية من الفطرة

ولقد أخذ الشيطان على نفسه عهدًا بقوله: ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٨، ١١٩].

والله تعالى يأمر عباده أن أقيموا وجوهكم للدين الحنيف الملائم للفطرة، ثم يقول: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠]. فيحاول الشيطان تغيير هذه الفطرة بالمسالك المنحرفة، فيدعوا الإنسان إلى ما يخالف فطرته الظاهرة والباطنة التي خلق عليها، فيدعوه إلى الشرك بالله بجميع صوره وأشكاله، ويدعوه إلى اتباع الأحكام والتشريعات الطاغوتية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن ذلك ما كان يفعله في أهل الجاهلية الأولى من تقطيعهم لآذان الأنعام علامة على أنها نسائك: للأوثان، والأنداد.

ومما يؤكد هذا المعني قوله ﷺ في حديث الفطرة: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟**»[2].

وعلى هذا فأمره لهم بتغيير خلق الله هو أمره لهم بمخالفة الفطرة الظاهرة والباطنة التي جاء الدين ملائمًا لها.

فيأمره بالشرك في عبادة غير الله من الأوثان، والطواغيت، سواء كانت

---

(١) مسلم (٢/٧٧٦).

(٢) سبق تخريجه.

من شجر، أو حجر، أو بشر، أو درهم ودينار، أو امرأة، أو رجل... وهذا تغيير للفطرة الباطنة. ويأمره بالتصرف في نفسه، أو أهله، أو ماله بما لم يأذن به الله، كمن يشقون آذان الأنعام لأصنامهم، أو يحلقون شعورهم المحرمة ... وهذا من تغيير الفطرة الظاهرة.

ومحادة الشيطان لله تعالى في هذا وفي غيره معروفة مكشوفة، ولكن العجب أن الناس ينساقون معها بوعي، أو بدون وعي، وأعجب من ذلك أن ينساق معها المسلمون الذين يؤمنون بأن الشيطان موجود فعلاً ومسلط على ابن آدم، وهذا تحد صارخ لشرائع الله، فالمرأة المأمورة شرعًا بالتستر صارت تتبرج يومًا بعد يوم، وتتحايل لإبراز زينتها بكل وسيلة، وتتنازل يومًا بعد آخر عن قدرٍ من الحجاب الشرعي الذي جملها به الخالق العظيم، وعلى النقيض من ذلك الرجل الذي صار يطيل ثيابه ويسحبها ذراعًا أو شبرًا.

وحين كانت المرأة تطيل ذيلها التزامًا بالأدب والستر، وجد من يسخر منها، ويدعو إلى نزع الحجاب، ويقول:

سيري كسير السحب، لا تأني ولا تتعجلي

لا تكنسي أرض الشوارع بالإزار المُسْبَلِ

ولكننا لم نجد من يقول ذلك بشجاعة للمسبلين!.

والمرأة أصبحت تنهك شعر رأسها بالقص الذي يشبه الحلق، حتى كأن رأسها شاب ما طال شعره، وفي الشعر من التميز، والزينة، والجمال ما جعل القرون تطبق على مدح المرأة به، وعلى النقيض من ذلك أصبح الشاب يطيل شعر رأسه، ويقضي وقتًا طويلاً في تسريحه ودهنه!

وهذه من سخريات الشيطان، الرجيم بمن يطيعونه في بعض الأمر، وبالجملة فإن موقف الشيطان، وحزبه من هذه الفطرة المركوزة في الإنسان متجدد في أحد موقفين:

الأول: مسخ الفطرة، وذلك بتوجيهها الوجهة المنحرفة، ومناقضة ما أمر الله به ورسله، فيفتحون الباب المحرم للإشباع، ويغلقون الباب المشروع ما استطاعوا فيستغل الشيطان حب الإنسان للتقليد مثلاً، أو حبه للوفاء لآبائه

وأجداده، ليغريه بالتمسك بالتراث الموروث عنهم، والعادات والتقاليد المنحرفة، ورفض الجديد، ولو كان حقًا، وكم من إنسان حال بينه وبين الحق أنه لم يعهد عليه مجتمعه وأباه وأمه.

ولذلك لما أسلم (بجير بن مالك) أرسل إليه أخوه (كعب بن مالك) الشاعر، قبل أن يسلم قصيدة يعاتبه فيها على الإسلام، ويقول:

ألا بلغا عني بجيراً رسالة　　فهل لك فيما قلت، ويحك هل لكا

فبين لنا، إن كنت لست بفاعل　　على أي شيء غير ذلك دلكا

على خلق لم تلف أُمًّا ولا أبا　　عليه، ولم تدرك عليه أخا لكا

وهكذا سائر المشركين، رفضوا الحق الجديد، محتجين بأنهم ألفوا آباءهم على شيء، فهم لا يستطيعون مخالفته: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ [الصفات: ٦٩، ٧٠].

إنها الحجة الداحضة، والطاغوت الأكبر الذي يغبر فيه المعاندون في وجه الحق: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٢١-٢٤].

وكم من الناس اليوم من المسلمين إذا دعي إلى حق لا يعرفه، ولم يجد عليه أباه وأمه، قال: هذا دين جديد، هذا شيء ما عرفناه، أنا عمري تسعون أو ثمانون سنة ما رأيت هذا ولا سمعت به.

وإذا كنت ما رأيت هذا ولا سمعت به يكون ماذا؟! إذا كان العالم يخفى عليه الكثير من العلم، فما بالك بأمثالك من الجهال الذين أضاعوا عمرهم في غير طائل.

وقد تجد من الناس اليوم من يهتم بما يسمى «الفلكلور» والتراث الشعبي أكثر مما يهتم بمعرفة الدين الذي ينتسب إليه، بل لعله لا يهتم بمعرفة الدين إلا باعتباره «جزءًا» من هذا التراث كما يزعمون، ولهم الويل مما يصفون.

ويستغل الشيطان حب الإنسان للبلد، وإلفه له، ليحول هذا الحب إلى تقديس، وعبادة صريحة، حيث نجد اليوم من يقول:

وطـني لـو صـوروه لي وثنًا — هممـت ألـثم ذلـك الوثـنا

أو يقول:

ويـا وطـني لقيـتك بعد يأس — كـأني قـد لقـيت بك الشبابا

أديـر إليك قبل البيت وجهي — إذا فِهْـتُ الشـهادة والمـتابا

فنجد رجلاً يفوه الشهادتين، والمتاب، ويدير وجهه إلى وطنه قبل أن يديره إلى الكعبة وتجد من يدعو إلى التجمع تحت مظلة «الوطن» و«الوطنية» التي يلتقي في ظلها المسلم والكافر على حدٍ سواء، حتى ليهتف شاعر، فيقول:

هـبوني ديـنًا يجعـل العرب أمة — وسيروا بجثماني على دين برهم

ألا حـبذا كفـر يـوحد بينـنا — ....

وكم حال التعلق بالوطن بين المسلم وبين الهجرة إلى الله ورسوله؟ وبينه وبين الانطلاق في الدعوة إلى الله؟ ودعاه إلى الذل، والركون، والاستسلام.

وحب الوطن أمر جبلي لا يحمد بذاته ولا يذم، وحديث «حب الوطن من الإيمان» حديث موضوع، ولو كره الوطنيون.

فإذا كان الحب للوطن مدعاة للدفاع عنه ضد العدو الظاهر الذي يريد احتلاله بالسلاح، وضد العدو المتستر الذي يريد احتلاله بالفكر، والانحلال فنعما هو:

بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيراني

ولست أبغي سوى الإسلام لي وطنًا ... الشام فيه ووادي النيل سيان

وحيثما ذكر اسم الله في بلد ... عددت أرجاءه من لب أوطاني

ويقول آخر:

أنا عالمي، ليس لي ... أرض أسميها بلادي

وطني هنا أو قل هنا ... لك حيث يبعثها المنادي

فالقفر أحلى من ريا ... ض في رباها القلب صادي

أما إذا كان حب الوطن مدعاة للعبودية له، والتضحية بالدين في سبيله، فهي عندئذ وثنية بلا قناع.

أما الحب الفطري الجبلي فلا يمدح ولا يذم، ولكنه كحب الزوج ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المعارج: ٣٠]، ويستغل الشيطان حب الإنسان للحياة، والبقاء ليثنيه به عن الجهاد في سبيل الله خوفًا من نيل الشهادة! وهكذا يجيء للابن من الناحية التي كاد فيها للأب ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه: ١٢٠].

وهذا يحدث في حبه لماله، وزوجه، وولده حيث يجعل منها الشيطان وسائل يعرقل بها سير العبد إلى ربه بالدعوة، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إما خوفًا عليهم، أو خوفًا من فراقهم.

وقد أشار النبي ﷺ إلى استغلال الشيطان لهذه الغرائز المركوزة في النفس، فقال في حديث سبرة بن الفاكه، قال ﷺ: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تسلم، وتذر دينك، ودين آبائك، وآباء أبيك؟ قال: فعصاه، فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر، وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول -يعني في الحبل-، قال: فعصاه، فهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: هو جهد النفس والمال، فتقاتل، فتقتل، فتنكح الزوجة، ويقسم المال،**

قال: فعصاه فجاهد ...»[1] الحديث.

فهذا تهييج شيطاني لفكرة التقليد للآباء، والوفاء لتراثهم، ليمتنع عن الإسلام، ثم تهييج آخر لحب الوطن ليمتنع عن الهجرة، وتهييج ثالث لحب البقاء، وحب الزوجة، وحب المال، ليمتنع عن الجهاد، ولكن الإنسان المؤمن يتمرد على وسوسة الشيطان، فيسلم، ويهاجر، ويجاهد، فيكون حقًا على الله أن يرضيه كما في الحديث نفسه.

ومن صور تلعُّب الشيطان بالإنسان في شأن الفطرة، أن الإنسان مفطور على الميل للجنس الآخر الذي يكمله، ففي الرجل ميل إلى المرأة، وفي المرأة ميل إلى الرجل، والشيطان وآله من شياطين الجن والإنس في كل عصر -وفي زمننا هذا خاصة- يحاولون أن يجعلوا من هذا الميل الغريزي خنجرًا يطعنون فيه الإسلام والمسلمين وذلك من خلال الخطط التالية:

١- العمل بكل وسيلة على تهييج الغريزة الجنسية وإثارتها، من خلال الصورة الجذابة الملونة المثيرة، ومن خلال المسلسل الذي يستلم الأجيال -من الجنسين- ليربيهم على كيفية الاقتناص، والحب الهابط، والخيانة، ويعطيهم الأسوة والقدوة بهؤلاء الممثلين.

ومن خلال المجلة التي تتاجر بالمرأة من مجلات الأزياء، والفن، والسينما، والرياضة، والجمال وغيرها، تُجبى إليه ثمرات كل شيء، ومن خلال الأغنية الهابطة التي تخاطب في الإنسان أحط ما فيه، بصورة مباشرة أحيانًا، وغير مباشرة أحيانًا أخرى، ومن خلال الدواوين الشعرية التي قصرت نفسها على دغدغة الأحاسيس الجنسية، ومن خلال القصص والروايات الغرامية التي تباع في قارعة الطريق.

ومن خلال الأفلام التي تصنعها أيدي اليهود لتدمير العالم أخلاقيًا حتى تمكن السيطرة عليه بسهولة، إلى آخر هذه المثيرات التي أصبح الواقع يضج

---

(١) مسند أحمد (٤/٤٨٣)، صحيح ابن حبان الإحسان (٧/٥٧)، النسائي (٦/٢١) بسند حسن.

بها ضجيجًا، وهي تلاحق الشاب والفتاة في البر والبحر والجو.

٢- وفي الوقت الذي يشحذ فيه الشيطان غريزة الإنسان، فإنه يقوم بعمل آخر متزامن مع هذا العمل، وهو سد الأبواب المشروعة للإشباع الفطري، وذلك بوضع العراقيل، والعقبات الحقيقية، والوهمية في هذا السبيل، ويختلق عوائق اجتماعية، وعوائق نفسية، وعوائق عقلية، وعوائق اقتصادية للتأثير على الشباب والشابات بمؤثرات كثيرة تقنعهم بأن قضية الزواج مسألة صعبة يجب عدم التفكير فيها الآن لأسباب عديدة، منها مواصلة الدراسة، والعمل على تأمين المستقبل، ومنها عدم توفر الإمكانيات اللازمة، ومنه الظروف البيتية، ومنها انصراف النفس أصلاً عن التفكير في هذا الموضوع وعدم التهيؤ له، بسبب مؤثرات تظهر بصمات إبليس في معظمها، وقد جند آلاف الصفحات والمطابع، والمحررين، والأجهزة المختلفة لتحقيق هذا المطلب، وتضخيم هذه العقبات.

أما الفتاة فهي لا تريد الزواج الآن لأنها لازالت طالبة في الجامعة، ويتقدم الأكفاء، فترفضهم بهذه الحجة، فلا تتخرج إلا وعمرها ثنتان وعشرون سنة -على أقل تقدير- فترغب أن تعمل لعدد من السنوات قبل الزواج، لأن من غير المعقول أن تستلم الشهادة الجامعية، وتعلقها في المطبخ -هكذا تقول- ثم تبدأ في فترة متأخرة تفكر في الزواج، وهي تحتفظ بشروطها العسيرة، فيمن ترضاه شريكًا لحياتها.

وتمر السنوات، والخُطاب يتناقصون، ونوعيتهم تضعف، والآمال تذبل، وكم من فتاة تبلغ الثلاثين والخامسة والثلاثين وهي رهينة ببيتها، وقد أوشكت شمعة عمرها -عمر الإنجاب- على الانطفاء، وهي لم تصح إلا متأخرة، وبعد فوات الأوان، فدفعت ثمن هذه التجربة غاليًا، لأن الزمن لا يرجع إلى الوراء.

وهناك نوع من العقبات قد يكون واقعًا، وهو ثقل التكاليف المالية، والتبعات، والإجراءات التي يتطلبها الزواج، وهذه هي الأخرى يسعى

الشيطان للزيادة فيها يومًا بعد يوم، ليحكم لعبته في الحيلولة بين الشباب، وبين تلبية نداء غرائزهم بالطريقة الشرعية.

وتقصي جوانب هذه المؤامرة المتمثلة في وضع العقبات، واختلاقها أمام الإشباع الصحيح أمر يطول، وهذه مجرد أمثلة تنبه على ما وراءها.

٣- فإذا هاجت الغريزة بفعل المؤثرات الكثيرة، ذهبت تبحث عن الطريق السليم، فوجدته مغلقًا فارتدت إلى الطرق المنحرفة فوجدتها مفتوحة على مصاريعها، والشيطان يرقص عندها، ويقول:

خـــلا لـــك الجَـــوُّ فغني واطربي وخـــربي مـــا شـــئت أن تخـــربي

فهو يعمل مباشرة، ومن خلال وكلائه ومندوبيه الذين يعرفون من ثمارهم، يعمل على تهيئة سبل الاتصال المحرم، فيدعو إلى خروج المرأة لتعمل على تحقيق ذاتها بالعمل دون قيد أو شرط، وإلى اختلاطها بالرجل في كل ميدان، وإلى السفور والتبرج، وإلى السفر إلى البلاد الإباحية التي ما عرفت الله يومًا من دهرها، ويسمي هذه الأشياء بأسماء براقة مثل: تحرير المرأة، الاختلاط البريء، تحريك نصف المجتمع العاطل، الانفتاح على العالم.

ومن خلال هذا الثالوث الرهيب تنهار المجتمعات: تتحرك غريزة الشاب، وتجعل جسمه يضطرم بالنار، فيسعى إلى السبيل الحلال، إن كان عنده دين وخوف من الله فيجد أمامه هذه العقبات الجسام، ويجد قوى خفية تجره إلى الطريق الحرام الميسر، فيسقط في المرة الأولى بحثًا عن اللذة، ثم يتحول إلى مدمن مولع بهذه المستنقعات الآسنة، يفر منها إليها:

وكـــأس شـــربت علـــى لـــذة وأخـــرى تـــداويت مـــنها بهـــا

وإحباط هذه المؤامرة إنما هو بأيدي أهل الإسلام -ذكرانهم وإناثهم-

بعد إرادة الله التي لا تغلب، وذلك بمقارعة أولياء الشيطان، ومنازلتهم في ميادين الخصومة والصراع، وفضح هذه المؤامرة على الملأ، وإحباطها عمليًّا بأن تنزع تأثيراتها الخفية من نفوسنا، ونفوس من حولنا، ونعمل على نقصها بالمبادرة إلى الزواج، وتقديمه على الأعمال الأخرى لا تساويه إذا لم يتسنّ الجمع بينهما، وتذليل العقبات المادية الاجتماعية، وتيسير أسبابه -مهما أمكن- ولنا قدوة في ذلك الصحابي الذي قال لرسول الله ﷺ: زوجني هذه المرأة، فالتمس مهرًا، فلم يجد ولا خاتمًا من حديد، فقال: ليس معي إلا إزاري هذا، فأصدقها نصفه، ولم يكن عليه رداء[1]. فهو مستعد لأن يتخلى عن جزء عن إزاره من أجل تحقيق هذا المطلب الحيوي المهم: الزواج.

ولا يمنع من ذلك قلة ذات اليد، فالنكاح من أسباب الغنى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢]، والشاب إذا تزوج شعر بالمسئولية، فاتجه للكسب، وتحصيل ما يحتاجه من المال.

ويجب كشف تناقضات الفاسقين المنادين بتحرير المرأة، وهم يريدونها قنية تعزف بين أيدهم، المطالبين بإخراجها من سلطة الأب، والأخ، والزوج لكي ترسف في قيودهم، المحاربين للتعدد، وهم يؤلبون الناس على قضاء إجازتهم في البلاد المنحلة.

ومن صور مسخ الشيطان للفطرة أن الإنسان مفطور على حب المعرفة والاستطلاع، فبدلاً من سلوك الوسيلة الشرعية عن طريق طلب العلم

---

(١) البخاري (٩/١٣١)، مسلم (٢/١٠٤٠).

وتحصيله، وعن طريق توقع النتائج من أسبابها ومقدماتها، وعن طريق الرؤيا الصالحة التي أخبر النبي ﷺ أنها من المبشرات، وأنها جزءًا من ستة وأربعين جزءً من النبوة، عن طريق الدعوة الصادقة التي يقول فيها القائل:

وإني لأدعـــو الله حـــتى كأنمـــا أرى بجمـــيل الظـــن ما الله صانع

وعن طريق معرفة التجارب التاريخية والانتفاع بها، فبدلاً من هذا كله يسلك الشيطان بالإنسان في إشباع غريزة حب الاطلاع مسالك الردى، فيغريه بالتشبع بثقافات الأمم الأخرى، خاصة وهي تحقق للإنسان تميزًا عمن حوله، والمولع بقراءة ما وقع في اليد من الغث والسمين، ومحاولة الولوج إلى كل مكان بقصد الاطلاع.

فإذا جاء شأن الغيبيات أغراه بزيارة الكهان والعرافين والمنجمين، وقارئ الكف، وقارئة الفنجان، وحظك هذا اليوم، وهذا كله شيء من حيل الشيطان في مسخ الفطرة، وهو الشق الأول من كيده لتغيير خلق الله.

أما الموقف الثاني: فهو نسخ الفطرة، وهو محاولة إلغائها بالكلية، فقد يغري الإنسان بالرهبانية التي تتنكر للفطرة، وتنهكها حتى تقضي عليها أو تكاد، وهذا يحدث لمن هو متطهر غير متقبل للانحراف والفساد.

وقد تسللت هذه الفكرة النصرانية إلى أمة التوحيد عن طريق الدعوات الصوفية المتأثرة بهذا المسلك، والتي تبالغ في تعظيم الجانب الروحيْ على حساب جوانب الشخصية الأخرى، وخير الهدي هدي الأنبياء: يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وجعلنا لهم أزواجًا وذرية.

ومن محاولة نسخ الفطرة القضاء على الغيرة التي توجد حتى في الكلاب. وتربية المجتمع على الدياثة، حتى ليفتخر الزوج في المجتمعات الغربية

بتعري امرأته أمام الملايين من المشاهدين، وهكذا يعود نظام المجتمع البدائي المتخلف، ولكن باسم الحضارة.

ومن محاولة نسخ الفطرة ما تدعو إليه الشيوعية من إلغاء الملكية الفردية، والإباحية الجنسية، وتأميم المواليد باعتبارهم أولادًا للدولة يربون في محاضنها، ليعملوا في مصانعها. ولكن الذي يغالب الفطرة، ويحاربها فإنما يحارب أمرًا جبليًا صنعه الله تعالى وأنزل الدين المناسب له، ومغالب الله تعالى مغلوب:

زعم المسفَّه أن يغالب ربه ... وليغلبن مغالب الغلاب

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين

يستمعون القول فيتّبعون أحسنه

والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الخطبة والزواج والمهر والحقوق المتبادلة

الفصل الثاني

بدع الأفراح وحكم الغناء والمعازف

الفصل الثالث

مفاتيح السعادة الزوجية

الفصل الرابع

نداء الفطرة لدى الرجل والمرأة

MAFĀTĪḤ AS-SAᶜĀDA AZ-ZAWJIYAH

Keys to marital happiness

by

Al- Šayẖ ᶜAli Abdul-ᶜāl Al- Tahtāwi

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon